وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

دستور معالم الحكم وماثور مكارم الشيم

من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

تأليف

الإمام القاضي أبي عبدالله محمّد بن سلامة القضاعيّ

المتوفي سنة 554 هـ

إصدار

المركز الوطني للبحوث والدراسات آل البيت – فلسطين

1436 هـ – 2015 رومي

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com

دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم

نسبة الكتاب:

ذكرت المصادر التي ترجمت للإمام القُضاعيّ بين مؤلَّفاته كتاب " دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشِّيم". وما يؤكِّد صِحّة هذه النِّسبة تلك الرّوايات المتعدّدة، وهاتيك السَّماعات والإجازات المدوَّنة على الصَّفحة الأولي والأخيرة من النّسخة النَّفيسة؛ التي طُبع هذا الكتاب – الطَّبعة الأولي- عنها. حيث أثبت الأستاذ جميل العظم روايات الكتاب على صفحة الغلاف الشّكل التالي:

(رواية الشّيخ أبي عبد الله محمّد بن بركات بن هلال السّعيديّ، النّحويّ –رحمه الله- عنه).

(رواية الشّريف الخطيب أبي الفتوح ناصر بن الحسن بن إسماعيل الحسيني الزّيديّ –رحمه الله- عنه).

(رواية القاضي الأجلّ الأسعد أبي عبدالله، بن محمّد العلاء الأجلّ، رضيّ الدّولة أبي عليّ الحسن بن محمّد العامريّ العدل، أدام الله نعماءه، وحرس حَوبَاءَهُ.

سماع منه، لمحمّد بن منصور بن خليفة بن منهال، ولصاحبه ولده منهال –نفعهما الله به- عنه).

وقد ذكر الأستاذ جميل العظم في تقديمه للكتاب، كيفيّة حصوله على النُّسخة المخطوطة في بعض أسفاره؛ حيث قال: (التقطت في بعض أسفاري هذا السّفر؛ بل اليتيمة التي لم يغص عليها باحث، ولا خُزِنت في خزانة. وهي مع كونها فريدة فقد تفرَّدت بمحاسن نادرة؛ منها: أنَّها منمّقةٌ بقلم القاضي عز القضاة، أبي عبد الله محمّد بن أبي الفتح منصور بن خليفة بن منهال، من جهابذة القرن السّادس. فرغ من كتابتها يوم الأربعاء ثامن ذي القعدة سنة إحدى عشرة وستّمائة، منقولة عن نسخة عليها خط الشَّريف الخطيب راوي الكتاب عن ابن بركات بن هلال النّحويّ عن مؤلِّفه. ومنها: أنَّها ملتقطةٌ بسماع راوٍ التقطها بسماعٍ، وهكذا عن الحبر البحر مؤلِّفها الإمام القاضي، أبي عبد الله، محمَّد بن سلامة القُضاعيّ. ومنها: أنَّها موشَّحة بصور سماع رُواتها؛ أوّلهم: السَّيد الشّريف القاضي الخطيب فخر الدَّولة أبو الفتوح، ناصر بن الحسن بن إسماعيل، الحسينيّ الزّيديّ. ثم القاضي الأجلّ الأسعد أبو عبد الله، محمّد بن القاضي

الأجلّ رضيّ الدولة أبو عليّ، الحسن بن محمّد العامريّ العدل. ثم كاتب

هذه النّسخة القاضي عزّ القضاة بن منهال الذي تقدّم ذكره)[1]. ثمّ يصف تلك المخطوطة قائلاً: (وهي مسطورة بخطٍّ واضح حسن مضبوط بشكل كامل؛ فهي بذلك قد استوفت المحاسن، كما انفردت فيما أعلم بالتَّفرُّد)[2]. والذي يهمّنا من عرض هذه السَّماعات وتلك الرّوايات تأكيد نسبة هذا الكتاب إلى الإمام القُضاعيّ –رحمه الله تعالى- ونكتفي بعرض سماع واحد من السَّماعات التي أُثبت على الصفحة الأولى من المخطوطة؛ لنتبيّن من خلالها صحّة نسبة الكتاب إلى مؤلّفه القُضاعيَ.

(صورة سماع سيّدنا القاضي الأجلّ الأسعد أبي عبد الله، محمّد بن القاضي الأجلّ، رضيّ الدّولة أبي عليّ، الحسن بن محمّد العامريّ العدل، زاد الله في أزمنة حياته. قال رضي الله عنه: قرأت كتاب الدُّستور، للقاضي أبي عبد الله

[1] دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشّيَم (طبعة المكتبة الأزهرية):2.

[2] المصدر نفسه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

القُضاعيّ، على سيّدنا الشّريف القاضي العالم الخطيب فخر الدّولة ومجدها، أبي الفتوح ناصر بن الحسن بن إسماعيل الحسينيّ الزّيديّ. أدام الله سعده. وسمع بقراءتي القاضي الأسعد أبو عبد الله بن القاضي رضيّ الدّولة أبي عليّ، الحسن بن محمّد بن عبيد الله المقدسيّ،

والفقيه. . . الفهريّ المالكيّ. وقد أذن لنا في روايته عنه بسنده إلى أبي عبد الله، محمّد بن بركات عن المصنِّف. وكتبه عليّ بن صادق سنة ثمان وخمسين وخمسمائة)[1]. فمثل هذا التّسلسل في الرّواية والسّماع، يقطع بصحّة نسبة الكتاب إلى مؤلّفه القُضاعيِّ، من دون أدنى شك.

دواعي تأليف الكتاب

ذكر الإمام القُضاعيّ في مقدِّمة كتابه الباعث الذي دفعه لتصنيف هذا الكتاب قائلاً: (... لَّما جمعت من حديث رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– ألف كلمةٍ ومئتي كلمة في الوصايا والأمثال والمواعظ والآداب. وضمَنتها كتاباً، وسمّيته بالشِّهاب. سألني بعض الإخوان أن أجمع من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب –كرَّم الله وجهه– نحواً من عدد الكلمات المذكورة...)[2]. فالباعث على تصنيفه –إذا– تلبية رغبة صديق له، طلب إليه أن يصنِّف كتاباً من حكم الإمام عليّ –كرّم الله وجهه– على غرار ما صنَّف من أحاديث المصطفي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وسلّم.

منهج القُضاعيّ في الكتاب.

لم يتَّبع القُضاعيّ طريقة عمليّة منهجيّة في كتابه؛ وهذا شأن سائر المؤلّفين في عصره؛ بل في العصور السَّابقة كلّها؛ لأنَّ المنهجيّة العلميّة لم تكن متَّبعة آنذاك، كما هي عليه في عصرنا الحاضر. ولهذا ، فقد جمع ما استطاع الحصول عليه من كلام الإمام عليّ –كرّم الله وجهه– من دون نقدٍ للرّوايات التي اعتمدها؛ بل ومن دون ذكر سند تلك الرِّوايات كما أوضح في مقدَّمته (.. وأن أعتمد في ذلك وأن أعتمد في ذلك على ما أرويه وأجده في مصنف من أثق به وأرتضيه، وأن أجعله مسروداً محذوف الأسانيد كفعلي في كتاب الشِّهاب)[3]. فهو يكتفي بمجرَّد الثقة بالمؤلّف، أو بالمصنَّف حتى ينقل منه المرويّ عن الإمام عليّ –كرّم الله وجهه– من دون اعتماد منهج "الجرح والتَّعديل" للتَّأكيد من صحّة الخبر والرّواية. وهو لا يهتمّ لذكر السَّند –كما هو واضح من كلامه السَّابق –الذي لم يلتزم به في مختلف أبواب كتابه كما ذكر في آخر مقدِّمته " وذكرت أسانيد الأخبار الطِّوال، وأعملتُ على كان منها وجادةً جيماً .." حيث اعتمد ذكر سند الرِّواية في عد من المواضيع؛ منها على سبيل المثال: (أخبرنا أبو محمّد عبدالرّحمن ابن عمر المعدَّل قال: أخبرنا أبو الطّاهر محمّد بن عبدالغنيّ قال: أخبرنا أبو طالب الخشَّاب قال: أخبرنا أبو عبدالله بن يزيد، قال: أخبرنا أحمد بن محمّد البغداديّ، قال يروي عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: أوصاني أبي رضي الله عنه قبل موته بثلاثين خصلةً، قال: يا بنيّ ...). وكذلك ذكر سند الرّواية في موضع آخر من كتابه: (أخبرني محمّد بن منصور بن عبدالله عن أبي عبدالله التُّستري إجازةً، قال: أخبرنا أبو الفضل، محمّد بن عمر بن محمّد الكوكبيّ الأديب ... عن كميل بن زياد، قال: أخذ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بيدي ...).

---

[1] المصدر نفسه:6.

[2] دستور معالم الحكم: (مقدّمة الكتاب) الصّفحة:46.

[3] المصدر نفسه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST

وهكذا، نجده ذر أسانيد بعض الرِّوايات في عدَّة مواضع أخري، و لم يلتزم بما وعد به في مقدَّمة الكتاب: (وأن أجعله مسروداً محذوف الأسانيد). ولكن ما تَجْدُرُ الإشارة إليه، أنَّه عندما ذكر تلك الأسانيد، لم يترَّض إلى مدى صحّتها ونسبتها، وإنّما ذكر تلك الأسانيد، من دون إشارة إلى رواتها، ومدى صدقهم وعدالتهم ف ينقلهم، وغير ذلك ممَّا يتعلَّق بعلم الجرح والتَّعديل. وأمّا بالنّسبة إلى خِطَّة الكتاب، فجعله في تسعة أبواب على النّحو التّالي:

الباب الأوّل: فيما روى عنه من فوائد حكمه.
الباب الثّاني: فيما روى عنه في ذمه الدنيا وتزهيده فيها.
الباب الثّالث: فيما روى عنه من المواعظ.
الباب الرّابع: فيما روى عنه من وصاياه ونواهيه.
الباب الخامس: في المروي عنه من أجوبته عن المسائل وسؤالاته.
الباب السّادس: في المروي عنه من غريب كلامه.
الباب السّابع: في المرويّ عنه من نوادر كلامه.
الباب الثّامن: في أدعيته ومناجاته.
الباب التّاسع: فيما انتهي إليه من شعره.

This file was downloaded from QuranicThought.com

صور السَّماعات والإجازات الاجازات المدوَّنة على الصّحفة الأولى والأخيرة من النّسخة النَّفيسة التي طُبع هذا الكتاب عنها – الطَّبعة الأولي – بمطبعة السَّعادة بجوار محافظة مصر، سنة 1332 من الهجرة الموافقة سنة 1914 من الميلاد وهي مثبتة في الصَّفحات: 6–7–8 من الطَّبعة المذكورة

صورة سماع سيّدنا القاضي الأجلّ الأسعد أبي عبد الله محمّد بن القاضي الأجلّ رضيّ الدّولة أبي عليّ الحسن بن محمّد العامريّ العدل زاد الله في أزمنة حياته. قال رضي الله عنه:

قرأت كتاب الدّستور، للقاضي أبي عبد الله القضاعيّ، على سيِّدنا الشريف القاضي العالم الخطيب، فخر الدَّولة ومجدها، أبي الفتوح، ناصر بن الحسن بن اسماعيل الحسينيّ الزّيدي أدام الله سعده. وسمع بقراءتي القاضي الأسعد أبو عبد الله بن القاضي رضيّ الدّولة، أبي عليّ الحسن بن محمَّد بن عبيد الله المقدسي والفقيه . . . الفهريّ المالكي. وقد أذن لنا في روايته عنه بسنده إلى أبي عبد الله، محمّد بن بركات عن المصنّف. وكتبه عليّ بن صادق سنة ثمان وخمسين وخمسمائة.

* * *

سمع هذا الكتاب عليّ، القاضي عزُّ القضاة، أبو عبد الله، محمد بن الشّيخ أبي الفتح منصور بن خليفة بن منهال، أدام الله توفيقه، وولده أبو الغيث منهال، وفّقه الله ومن ذكر في طبقة السّماع آخره، وأجزت لهم روايته إن أرادوا عن الشّيخين؛ الشّريف الخطيب أبي الفتوح، ناصر وأبي محمّد العلاء عن الشّيخ أبي عبد الله محمّد بن بركات عن المؤلّف. وكتبه محمّد بن الحسن بن محمّد بن عبد الله العامريّ المقدسيّ حامداً لله –تعالى– ومصليّاً على رسوله، وآله، وصحبه ومسلّماً عليهم أجمعين. وذلك في مدة آخرها . . . التّاسع من . . . سنة احدى عشرة وستّمائة.

* * *

(وفي ذيل الورقة التي فيها خطّ الشّريف الخطيب رحمه الله)

بخط القاضي الأشرف شرف الدّين بن عثمان أيّده الله ما مثاله: أخبرني بهذا الكتاب القاضي الشّريف الفاضل أبو محمّد عبد الله بن القاضي أبي الفضل عبد الرّحمن العثمانيّ مناولة الديباجيّ، عن الشَّيخ أبي الحسن عليّ بن المؤمّل، عليّ بن غسّان الكاتب قراءة منه عليه. وعن الشَّيخ أبي عبد الله، محمّد بن بركات بن هلال الصُّوفيّ السَّعديّ النّحويّ إجازة؛ كلاهما عن مؤلّفه. وكتبه حمزة بن عليّ بن عثمان المخزوميّ في الحادي عشر من شهر ربيع الأوّل سنة تسع وستّمائة. مثال خطّ المناول. للقاضي الأشرف أبي القاسم حمزة نفعه الله والمسلمين به. وكتبه عبد الله بن عبد الرّحمن العثمانيّ في التّاريخ المذكور.

* * *

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

صورة خطّ الشّريف الخطيب تحت هذه الطّبقة

كتبه أبو الفتوح ناصر بن الحسن بن إسماعيل الحسينيّ الزّيديّ

ووجدت في آخر كتاب الشّيخ القاضي الأسعد المنتسخ بخطّه وذكره . . . على هذه الطّريق. وهذه صورة خطّه وفّقه الله. ورويت أيضاً عن الفقيه أبي محمّد . . . بن عبد الغالب الأنصاريّ في شوّال سنة ثمانين وخمسمائة، عن الشّيخ الفقيه أبي عبد الله، محمد بن بركات بن هلال النّحويّ . . . قرأت جميع هذا الكتاب على . . . أبي بكر محمّد بن الحافظ أبي . . ابن عبد الله الأنصاريّ . . من الشّيخ أبي عبيد الله . . بن محمّد . . . وجماعة أسماؤهم مثبتة في النّسخة. التي نقلت منها هذه النّسخة. وعارضت بها غير واحد في الحادي من شهور سنة احدى وثمانين وستّمائة. كتبه العبد أحمد بن عليّ بن أبي عبد الله، عفا الله والحمد لله.

* * *

بلغ السّماع لجميع الدّستور على القاضي الأجلّ العالم الأوحد الأسعد الأمين سناء الدّين . . بن الأجلّ بن عليّ الحسن بن محمّد بن عبيد الله المقدسيّ، أيده الله بحقّ سماعه من الشّريف الخطيب، عن أبي عبد الله محمّد بن بركات النّحويّ، عن مؤلّفه . . .

* * *

(صورة ما كتب في آخر النّسخة الأصلية التي طبعنا عليها هذه النّسخة)

كتبه محمّد بن منصور بن خليفة بن منهال برسم ولده منهال، نفعه الله بالعلم، وزيّنه بالحلم. وكان الفراغ من نقله يوم الأربعاء ثامن ذي القعدة من سنة إحدى عشرة وستّمائة. ونُقلت هذه النّسخة من نسخة عليها خطّ الشّريف الخطيب، رحمه الله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

كتاب دستور معالم الحكم

أخْبَرَنَا القَاضِي الأَجَلُّ الأَوْحَدُ، العَالِمُ الفَاضِلُ الأَسْعَدُ، سَناءُ الدِّينِ، أبو عَبْدِ الله، مُحَمَّدُ بن القَاضِي الأَجَلّ، رَضِيّ الدَّوْلَةِ أبي عَلِيٍّ، الحَسَنِ بن مُحَمَّدٍ بن عُبَيْدِ الله العَامِرِيّ، أدَامَ الله نَعْمَاءَهُ، وَحَرَسَ حَوْبَاءَهُ[1]، قِرَاءَةً عَلَيْهِ، وَأَنَا أَسْمَعُ بِفُسْطَاطِ[2] مِصْرَفِي ذِي القَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ إِحْدى عَشْرَةَ وَسِتِّمائَةٍ. قَالَ: أخْبَرَنَا سَيِّدُنَا الشَّرِيفُ الأَجلُّ القَاضِي؛ الخَطِيبُ، فَخْرُ الدَّوْلَةِ وَمَجْدُهَا، أبو الفُتُوحِ نَاصِرُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ إسْمَاعِيلَ، الحُسَيْنِيُّ الزَّيْدِيُّ -رَضِيَ الله عَنْهُ- فِي المُحَرَّمِ الَّذِي مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسمائَةٍ. قال: قَرَأْتُ هذَا الكِتَابَ عَلى شَيْخِنَا أبي عَبْدِ الله، مُحَمَّدِ بن بَرَكَاتِ بْنِ هِلاَلٍ السَّعِيدِيِّ النَّحْوِيِّ، اللُّغَوِيِّ، رَضِيَ الله عَنْهُ. قالَ: قَالَ القَاضِي الأجَلُّ أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَمَةَ بْنِ جَعْفَرَ بْنِ عَلِيٍّ القُضَاعِيُّ رَحِمَهُ الله الَّذِي وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمُهُ، ونَفَذَ فِي كُلِّ مَصنُوعٍ قضَاؤُهُ وَحُكْمُهُ، وَعَمَّ جَمِيعَ العِبَادِ عَفْوُهُ وَحِلْمُهُ؛ الَّذِي يَخْتَصُّ بالحِكْمَةِ[3] مَنْ يَشَاءُ مِنْ أوْلِيائِهِ. وَيَخْتَارُ لَهَا المُخْلِصِينَ مِنْ أصْفِيَائِهِ. نعْمَةً مِنْهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، وَفَضْلاً كَبِيراً ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة: 269). فَتَعَالى الله الحَكِيمُ الخَبِيرُ الَّذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ. وَصَلَّى الله عَلى المخْصُوصِ مِنَ الحِكْمَةِ بأفْصَحِهَا لِساناً، وَأوْضَحِهَا دِلاَلَةً وَبَيَاناً، وَأظْهَرِهَا حُجَّةً وَسُلْطَاناً، مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَالمُؤَيَّدِ بالهِدَايَةِ وَالعِصْمَةِ، وَالكَاشِفِ لغَيَاهِبِ[4] العمَى وَالظُّلْمَةِ، حَتَّى أشْرَقَتْ أحْكَامُ الإيمَانِ، وَبَسَقَتْ[5] أعْلاَمُ القُرْآنِ، وَنَطَقَتِ الأَلْسِنَةُ مُخْلِصَةً بتَوْحِيدِ الرَّحْمنِ، وَزَهَقَتْ[6] أبَاطِيلُ الضَّلاَلَةِ وَالبُهْتَانِ، وَعَلى آلِهِ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ لِوِرَاثَةِ كِتَابِهِ. وَحَبَاهُمْ بالنَّصِيبِ الأَوْفَى[7] مِنْ ثَوَابِهِ. وَجَعَلَهُمْ لِلأُمَّةِ هُدَاةً وأعْلاَماً، وَبأحْكَامِ دِينِهِ قُوَّاماً وَحُكَّاماً. وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ تَسْلِيماً.

أمَّا بعد: فَإِنِّي لَمَّا جَمَعْتُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أَلْفَ كَلِمَةٍ وَمَائَتَيْ كَلِمَةٍ فِي الوَصَايَا وَالأَمْثَالِ، وَالمَوَاعِظِ، وَالآدَابِ، وَضَمَّنْتُهَا كِتاباً، وَسَمَّيْتُهُ بالشِّهَابِ. سَأَلَنِي بَعْضُ الإِخْوَانِ أنْ أجْمَعَ مِنْ كَلاَمِ أمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أبي طَالِبٍ -كرّم الله وجهه- نَحْواً مِنْ عَدَدِ الكَلِمَاتِ المَذْكُورَةِ وَأنْ أعْتَمِدَ فِي ذلِكَ عَلَى مَا أرْوِيهِ، وَأجِدُهُ فِي مُصَنَّفِ مَنْ أثِقُ بِهِ وَأرْتَضِيهِ، وأنْ أجْعَلَهُ مَسْرُوداً[8]، مَحْذُوفَ الأسَانِيدِ[9]، كَفِعْلِي فِي كِتَابِ الشِّهَابِ؛

---

[1] الحوباء: هي النّفس.

[2] القسطاط: مجتمع أهل الكورة، وعلم مصر العتيقة التي بناها عمرو بن العاص.

[3] الحكمة: هي العلم النّافع.

[4] الغياهب: الظّلمات؛ جمع غيهب.

[5] بسقت: أي طالت وارتفعت.

[6] زهقت: أي اضمحلّت وذهبت.

[7] حباهم بالنّصيب الأوفى: أي أعطاهم أو في نصيب.

[8] مسروداً: أي جيداً حسن السّياق.

[9] محذوف الأسانيد: أي غير مرفوع إلى قائله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

فَاسْتَخَرْتُ اللهَ –جَلَّتْ قُدْرَتُهُ– وَجَمَعْتُ مِنْ كَلاَمِهِ –كرّم الله وجهه– وَبَلاَغَتِهِ، وَحِكَمِهِ، وَعِظَاتِهِ[1]، وَآدَابِهِ، وَجَوَابَاتِهِ، وَأَدْعِيَتِهِ، وَمُنَاجَاتِهِ[2]، وَالمَحْفُوظِ مِنْ شِعْرِهِ، وَتَمْثِيلاَتِهِ، تِسْعَةَ أَبْوَابٍ مُنَوَّعَةً أَنْوَاعاً:

فَالبَابُ الأَوَّلُ: فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ مِنْ فَوَائِدِ حِكَمِهِ.

وَالبَابُ الثَّانِي: فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ فِي ذَمِّهِ الدُّنْيَا وتَزْهِيدِهِ فِيهَا.

وَالبَابُ الثَّالِثُ: فِيمَا رُوِيَ عَنْهُ مِنَ المَوَاعِظِ.

وَالبَابُ الرَّابِعُ: فِيما رُوِيَ عَنْهُ مِنَ وَصَايَاهُ وَنَواهِيهِ.

وَالبابُ الخامسُ: فِي المَرْوِيِّ عَنْهُ مِنْ أَجْوِبَتِهِ عَنِ المَسَائِلِ وَسُؤَالاَتِهِ.

وَالبابُ السَّادِسُ: فِي المَرْوِيِّ عَنْهُ مِنْ غَرِيبِ كَلاَمه.

والبابُ السَّابِعُ: فِي المَرْوِيِّ عَنْهُ مِنْ نَوَادِرِ كَلاَمِهِ.

والبابُ الثَّامنُ: فِي أَدْعِيَتِهِ وَمُنَاجَاتِهِ.

وَالبابُ التَّاسِعُ: فِيمَا انْتَهى إِلَيَّ مِنْ شعْرِهِ.

وَقَدْ أَعْلَمْتُ عِنْدَ الكَلِمَةِ الَّتِي أَروِيهَا عَلاَمَةً، يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلى رَاوِيهَا عَلى مَا أَبيِّنُهُ آخِرَ هذَا الكِتَاب، وَذَكَرْتُ أَسَانِيدَ الأَخْبَارِ الطِّوَالِ، وَأَعْلَمْتُ عَلى مَا كَانَ مِنْهَا وِجَادَةً[3] (جيماً)، وَأَنَا أَرْغَبُ إِلَى اللهِ –تَعَالَى– فِي حُسْنِ التَّوْفِيقِ لِمَا يُرْضِيهِ، وَالمَعُونَةِ عَلى العَمَلِ، بِمَا يُزْلِفُ[4] لَدَيْهِ؛ وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الوَكِيلُ.

[1] عظات: جمع عِظة؛ أي الموعظة؛ وهي النّصيحة والإرشاد والتّذكير في العواقب.

[2] المناجاة: المُسارَّة في الكلام؛ من النَّجوى بمعنى السِّرّ.

[3] الوجادة: أن توجد أحاديث، أو غير ذلك، بخطّ يُعرف كاتبه.

[4] يُزلِف لديه: يقرِّب لديه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الباب الأول

(فيما روي عنه – كرّم الله وجهَهُ –من فَوائد حكمه

خِيْرُ مَا جربت ما وَعَظَكَ[1]، خيرُ أهلكَ من كَفَاكَ. خيرُ المَقَال ما صَدَّقَهُ الفَعَالُ[2]، خَيرُ البِلاَدِ مَا حَمَلَكَ، خَيْرُ الأُمُورِ أوْسَاطُهَا، لِكُلِّ أمْرٍ عَاقِبَةٌ[3]، لِكُلِّ حياةٍ أجَلٌ[4]، لِكلِّ مقبل إدبار[5]، لِكلِّ زمن قوت[6]، وأنت قُوتُ الموت، التاجر مخاطر التَّثَبُّتُ حَزْمٌ[7]. الصاحبُ مَناسبٌ. القِلَّةُ[8] ذِلَّةٌ. الإنْصَافُ راحَةٌ وَاللَّجَاجُ[9] وَقَاحةٌ[10]. التَّوَانِي[11] إضَاعَةٌ. الحِرصُ[12] مَحْقَرَةٌ. الزِّنَا مَفقرَةٌ. السَّخَاءُ قُربَةٌ. اللُّؤْمُ غُرْبَةٌ[13]. التَّذَلُّلُ مَسْكَنَةٌ[14]. العَجْزُ مَهَانَةٌ. العَجْزُ آفَةٌ. العَجَلَةُ زَلَلٌ. الإبْطَاءُ مَلَلٌ. الصَّبرُ شَجَاعَةٌ. الجُبْنُ مَنْقَصَةٌ. البُخْلُ عَارٌ. الكَذِبُ ذلٌّ. الحَزْمُ كِيَاسَةٌ. الأَدَبُ رِيَاسَةٌ. الفَاحِشَةُ[15] كاسْمِهَا. الصُّدُودُ [16]آيَةُ المَقْتِ[17]. كَثْرَةُ العِلَلِ[18] آيَةُ البُخْلِ. التَّجَرُّمُ[19] وَجْهُ القَطِيعَةِ. العِبَادَةُ انْتِظَارُ الفَرَجِ. الفِكْرَة مرْآةٌ صَافِيَةٌ. البَشَاشَةُ مُخُّ[20] المَوَدَّةِ[21]. الصَّبْرُ جُنَّةٌ مِنَ الفَاقَةِ[22]. الحِرْصُ عَلاَمَةُ الفَقْرِ. التَّخَلّي جلْبَابُ[23] المَسْكَنَةِ. المَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ. الإعْجَابُ ضِدُّ الصَّوَابِ. الاعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ.

---

1 وعظك: (الوعظ) النَصحّ والإرشاد والتّذكير بالعواقب؛ والسَّعيد من وُعِظ بغيره، والشَقي من اتَعظَ به غيرُه.

2 الفَعَال: الخِصالُ الحميدةُ؛ والفَعَال: الوصف الحسن والقبيح أيضاً؛ يُقال: فبيحُ الفَعال، كما يُقال: حَسَن الفَعال.

3 عاقبة: آخِرةُ كلّ شيء ونهايته؛ قال الخليل: عاقبة كلّ شيءٍ آخرُه.

4 أجل: غاية الوقت فب محلّ الدّين وغيره، وأجل الحياة: نهايتها.

5 إدبار: (الإدبارُ) عكسُ الإقبال.

6 القوت: الطّعام؛ يقال: قاته فاقتات؛ نحو رزقه فارتزق.

7 حزم: الحزم ضَبْطُ الرجل أمره، وأخذه بالثّقة.

8 القلة: الفاقة أو العدمُ، والفقرُ الشديد.

9 اللَّجَاجُ: كثرة الكلام في الخصومة.

10 وقاحة: وَقُحَ وقاحةً، إذا قلّ حياؤه؛ فالوقاحة: قلة الحياء.

11 التَّوَاني: التقصير في طلب الحاجة.

12 الحِرصُ: الطَّمعُ: يقال: حَرَص على الدّنيا من باب (ضرب) إذا رَغِبَ مذمومةً، فهو حريصٌ، وجَمْعُهُ حِراص.

13 اللؤم: ضد الكرم من فعل لؤم لوما فهو لئيم؛ وجمعه لئام ولُؤمان ولُؤماء.

14 مسكنة: خضوعٌ وذلٌّ من استكان، إذا خضع وذلَّ، ولو كان غنيّاً؛ قال تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾.

15 الفاحشة: كلُّ فعلٍ قبيح، وكلُّ شيءٍ جاوز الحد فهو فاحش، أفحش الرّجل: إذا أتي بالقول السَّيِّئ.

16 الصُّدُودُ: الإعراض؛ فعله: صَدّ يَصُدُّ صدوداً، إذا أعرض.

17 المَقْتِ: أشدُّ البُغْض.

18 كَثْرَةُ العِلَلِ: العِلَلُ جَمْعُ عِلَّةٍ وَهِيَ المرضُ الشَّاغِلُ.

19 التَّجَرُّمُ: تجرَّ عليه: إذا ادَّعى عليه ذنباً لم يفْلَه.

20 مُخُّ: خالِص.

21 المَوَدَّةِ: المَحَبّة.

22 جُنَّةٌ مِنَ الفَاقَة: وقاية من الحاجة والفقر.

23 جلْبَابُ: الجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرّداء؛ وقيل: ما يعطى به من ثوبٍ وغيره.

This file was downloaded from QuranicThought.com

الاعْتِبَارُ يُفِيدُكَ الرَّشَادَ. الشُّحُّ يَجْلُبُ المَلاَلَة[1]. الصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ. الهَوى شَرِيكُ العَمى. عاقَبَهُ الكَذِب الذَّمُّ. المُزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ[2]. الاجْتِهَادُ أَرْبَحُ بِضَاعَةٍ. الاقتِصَادُ[3] يُنْمِي اليَسِيرَ[4]. الفَسَادُ يُبِيدُ[5] الكَثِيرَ. صَدْرُ العَاقِلَ صُنْدُوقُ سِرِّهِ. الغَرِيبُ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَبِيبٌ. المُقِلُّ[6] غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ. الاحْتِمَالُ قَبْرُ الخُرْقِ[7]. رأْسُ الأَمْرِ مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى وَعَمُودُهُ طَاعَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. السَّلاَمَةُ مَعَ الاسْتِقَامَةِ. العَجَلُ مَعَ الزَّلَلِ. الدُّعاءُ مِفْتَاحُ الرَّحْمَةِ. الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ. تَمَامُ الإِخْلاَصِ تَجَنُّبُ المَعَاصِي. الهُدى يُجَلِّي العَمى. رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقلِكَ. مِنْكَ مَنْ أَعْتَبَكَ[8]. العَاقِلُ مَنْ وَعظَتْهُ التَّجَارِبُ. المُخَافُ شَرُّهُ يُخَافُ. المَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ. ظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلم. العَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ. العَفَافُ زِينَةُ الفَقْرِ. الشُّكر زِينَةُ الغِنى. الشُّكْرُ وَالوَرَعُ جُنَّةٌ[9].

الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصَرُ الأَمَل. الزُّهْدُ قُرْبَةٌ. الحِلْمُ سَجِيَّةٌ فَاضِلَةٌ. العِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ. الفِكْرَةُ نُورٌ وَالغَفْلَةُ ضَلاَلَةٌ. الحَقُّ مِثَالٌ. وَالبَاطِلُ خَبَالٌ[10]. الحَقُّ يُنْجِي، وَالبَاطِلُ يُرْدِي. دَوَاءُ كُلِّ داءٍ[11] كِتْمَانُهُ. الآدَابُ حُلَلٌ[12] مُجَدَّدَةٌ.

حُسْنُ الخُلُقِ خَيْرُ قَرِينٍ. التَّوفِيقُ خَيْرُ قَائِدٍ. الآدَابُ خَيْرُ مِيرَاثٍ. إِمَامٌ عَادِلٌ، خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ وَابِلٍ[13] مُوَاصَلَةُ المُعْدِمِ خَيْرٌ مِنْ جَافٍ مُكْثِرٍ[14]. سَبُعٌ حَطُومٌ أَكُولٌ خَيْرٌ مِنْ وَالٍ غَشُومٍ[15]ظَلُوم. وَوَالٍ غَشُومٌ ظَلُوم خَيْرٌ مَنْ فِتنَةٍ تَدُومُ. رَأْيُ الشَّيْخِ خَيْرٌ مَنْ مَشْهَدِ الغُلاَمِ[16]. كَدَرُ الجَمَاعَةِ خَيْرٌ مَنْ صَفْوِ الفُرْقَةِ[17]. العِفَّةُ مَعَ الحِرْفَةِ[18] خَيْرٌ لَكَ مَنْ سُرُورٍ مَعَ فجُورٍ. قُرِنَتِ الهَيْبَةُ بالخَيْبَةِ، وَالحَيَاءُ بالحِرْمَانِ. حُسْنُ اليَاس خَيْرٌ مَنْ الطَّلَبِ إِلَى النَّاس. حُسْنُ

---

[1] الشُّحُّ: البخل الشّديد.

[2] الضَّغَائِنَ: الأحقاد.

[3] الاقتِصَادُ: التَّوسط في الإنفاق.

[4] يُنْمِي: يزيد.

[5] يُبِيدُ: يهلك.

[6] المُقِلُّ: الفقر المعدم.

[7] الخُرْقِ: ضد الرِّفق.

[8] أَعْتَبَكَ: من أذن لك باسترضائه؛ فأرضاك، فهو منك.

[9] جُنَّةٌ: وقاية.

[10] خَبَال: فَساد.

[11] داء: مرض، وغلب على المرض الذي لا يُرجي برؤه.

[12] حُلَل: جمع حُلَّة؛ وهي إزار ورداء، ولا تُسمَّى حُلّة حتى تكون ثوبين؛ والحُلَل: برود اليمن.

[13] وابل: مطر شديد.

[14] جاف مكثر: جافٍ غنيّ.

[15] حَطوم غشوم: صيغة مبالغة من الحَطْم؛ وهو الكسر؛ وهنا بمعنى المفترس الفاتك. وأَكُول: كثير الأكل. وغشوم: صيغة مبالغة من الغَشْم؛ وهو الظّلم؛ والوالي الغشوم: الكثير الظّلم.

[16] الغلام: من حين يُولد إلى أن يشبّ.

[17] الكدر: عكس الصَّفاء.

[18] الحرفة: المهنة التي يِّتخذها الإنسان.

This file was downloaded from QuranicThought.com

التَّدْبِيرِ مَعَ الكَفَافِ[1]، أَكْفى لَكَ مِنَ الكَثِيرِ مَعَ الإِسْرَافِ. المَعْرُوفُ أَفْضَلُ الكُنُوزِ وَأَحْصَنُ الحُصُونَ. الفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الخَيْرِ. حِفْظُ مَا فِي يَدِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ غَيْرِكَ. تَلافِيكَ[2] مَا فَرَّطْتَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مَنْ مَنْطِقِكَ. تَذِلُّ الأُمُورُ لِلْمقَادِيرِ[3] حَتَّى يَكُونَ الحَتْفُ فِي التَّدْبِيرِ. قِلَّةُ الثِّقَةِ بِعِزِّ اللهِ ذِلَّةٌ. قَطِيعَةُ الجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ العَاقِلِ. كُفْرُ النِّعْمَةِ لُؤمٌ. وَصُحْبَةُ الجَاهِلِ شُؤْمٌ[4]. أَخْلِقْ[5] بِمَنْ غَدَرَ أَنَ لاَ يُوفَى لَهُ. فِي القُنُوطِ التَّفْرِيطُ. فِي الصَّمْتَ السَّلاَمَةُ مِنَ النَّدَامَةِ. فِي سَعَةِ الأَخْلاَقِ كُنُوزُ الأَرْزَاقِ. فِي خِلاَفِ النُّفُوسِ رُشْدٌ. فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ. لِقَاءُ الخَيْرِ عِمَارَةُ القُلُوبِ. إِنَّ مِنَ الكَرَمِ الوَفَاءَ بِالذِّمَمِ. لَبَعْضُ إِمْسَاكِكَ عَنْ أَخِيكَ مَعَ لُطْفٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْ بَذْلٍ مَعَ حَيْفٍ[6]. مِنَ الكَرَمِ لِينُ الشِّيَمِ. مِنَ الكَرَمِ صِلَةُ الرَّحِمِ. مِنَ الكَرَمِ مَنْعُ[7] الحُرَمِ. مِنَ الحَزْمِ العَزْمُ مِنْ خَيْرِ حَظْ امْرِئٍ قَرِينٌ صَالِحٌ. مَنْ سَبَبِ الْحِرْمَانِ التَّوانِي[8].مِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ[9].مِنْ شَرِّ مَا صَحِبَ الْمَرْءَ الْحَسَّدُ .

مِنَ التَّوْفِيقِ الْوُقُوفُ عِنْدَ الْحَيْرَةِ. مَرْتَبَةُ الرَّجُلِ بِحُسْنِ عَقَلَهِ. عزُّ الْمُؤْمِنِ غَنَّاهُ عَنِ النَّاسِ.

الْمُؤْمِنِ لَا يَحِيفُ[10] عَلى مَنْ يَبْغُضُ. الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ فَلَا يَغْشُهُ وَلَا يَعِيبُهُ وَلَا يَدَعُ نُصْرَتَهُ

الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ[11] الْمُؤْمِنِ؛ فَاطْلُبْ ضَالَّتَكَ وَلَوْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ .الْمَوْعِظَةُ كَهْفٌ لِمَن وَعَاهَا.

التَّوَاضُعُ يُرْشَدُ إِلَى السَّلاَمَةِ. السَّاعَاتُ تَهْضَمُ عُمُرَكَ. الرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ التَّعِبِ، وَمَطِيَّةُ النَّصَبِ.

الشَّرَهُ[12] جَامِعٌ لِمَسَاوِي[13] الْعُيُوبِ. الْحَسَدُ آفَةُ الدِّينِ.خَسِرَ مُرُوأَتَهُ مَنْ ضَعُفَتْ نَفْسُهُ. أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ اُسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ.هانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ.رَضِيَ بِالذِّلِّ مَنْ كَشَفَ ضُرَّهُ.

قَدْ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ مَنِ اِسْتَغْنَى بِرَايِهِ، قَدْ يُدْرَكُ بِشُكْرِ الشَّاكِرِ مَا يَضِيعُ بِجُحُودِ الْكَافِرِ.

قَدْ يَكُونُ اليَأْسُ إِدْرَاكًا إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلاَكًا. أَوْحَشُ الوَحْشَةِ العُجْبُ. أَكْرَمُ الحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ

الحِرْصُ دَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ[14] فِي الذُّنُوبِ. أَنْفَعُ الْكُنُوزِ مَحَبَّةُ القُلُوبِ الفَقْرُ يُخْرِسُ الفَطِنَ[1] عَنْ حُجَّتِهِ[2]

---

[1] الكفاف: الرِّزق الذي يكفي الإنسان؛ وهو ما فوق النَّزر ودون السَّعة.

[2] تلافيك: تداركك.

[3] المقادير: جمع مقدار؛ وهي هنا بمعنى "الأقدار" جمع القَدَر؛ وهو ما يقدّره الله –تعالى– من القضاء على العبادة.

[4] شؤم: الشُّؤم ضد اليمن. وهنا بمعنى الشرّ والنّحس.

[5] أخلِق بمن غدر: حريّ بمن غدر.

[6] حيف: ظُلم.

[7] منع الحُرَم: صون الحُرَم؛ والحُرَم: النِّساء، وما يحميه الإنسان ويدافع عنه.

8 التّواني: التقصير.

9 الزّاد: المراد – هنا – التّزوّد من العمل الصالح.

10 لا يحيف: لا يجوز.

11 ضالة: ضائعة، وهنا شبّه الحكمة بالشّيء الضّائع الذي يبحث عنه الإنسان، فهو يبحث عنه في أيّ مكان.

12 الشَّره: المراد –هنا– غَلبة الحِرْص وشِدَّة البخل.

13 مَسَاوِي: مساوئ.

14 التّقحّم: (التّقحّم في الأمر) الدّخول فيه بغير تفكُّر في العواقب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

التَّدْبيرُ قَبلَ العَمَلِ، يُؤْمِنُكَ مِن النَّدَمِ أَغْنَى الغِنى تَرْكُ المُنى أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ التَّوَاضُعُ يَكْسُوكَ السَّلاَمَةَ أَبَى اللهَ إلا خَرَابَ الدُّنْيَا وَعِمَارَةَ الْآخِرَةِ الْمَغْبُونُ[3] مَنْ غُبِنَ نَصِيبَهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الحَيَاءُ سَبَبٌ إِلَى كُلِّ جَمِيلٍ أَوْكَدُ[4] سَبَبٍ أَخَذْتَهُ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ. أَعْمَالُ العِبَادِ فِي عَاجِلِهِم نَصبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ.
بِرُّ الوَالِدَينِ مِنْ أَكْرَمِ الطَّبَائِعِ. لَمْ يَهْلِكْ مَنِ اقْتَصَدَ، وَلَمْ يَفْتَقِرْ مَنْ زَهِدَ. تُنْبِئُ عن امْرِئٍ دِخلَتُهُ[5]
شُكْرُ كُلِّ نعمَةٍ الوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ. إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقًا[6]، كانَ الخُرْقُ رِفْقاً. إِذَا قَوِيتَ فاقْوَ عَلى طَاعَةِ اللهِ،
وَإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. إِذَا تَغَيَّرَ السُّلطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ إِذَا كُنْتَ فِي إِدبارٍ وَالمَوْتُ فِي إِقْبالٍ،
فَمَا أَسْرَعَ المُلْتَقى! إِذَا ظَهَرَ الرِّبَا فِي قَوْمٍ بُلُوا بِالْوَبَاءِ[7] وَإِذَا مَنَعُوا الخُمُسَ[8]، بُلُوا بِالسِّنِينَ الجَدْبَةِ.
إِذَا هُدِيتَ لِقَصدِكَ، فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ. إِذَا قَارَفْتَ[9] سَيِّئَةً، فَعَاجِلْ مَحْوَهَا بالتَّوْبَةِ.
إِنْ كُنْتَ جَازِعًا[10] عَلى مَا يَفْلُتُ مِنْ يَدَيكَ، فَاجْزَعْ عَلى مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيكَ. إِنَّ أَغْنَى الغِنى العَقْلُ، وَأَكْثَرَ الفَقْرِ الحُمْقُ.
نِعْمَ القَرِينُ الرِّضى نِعْمَ الخُلُقُ الصَّبْرُ. نِعْمَ حَظُّ المُؤْمِنِ القُنُوعُ. نَعْمَ طَارِدُ الهَمِّ اليَقِينَ نِعْمَ الخُلُقُ التَّكَرُّمُ
نِعْمَ وَزِيرُ العِلْمِ سَمْتٌ صَالِحٌ[11]. نِعْمَ عَوِينُ[12] الدِّينِ الصَّبْرُ. بِئْسَ الطَّعامُ الْحَرامَ.
بِئسَ القِلاَدَةُ[13] لِلْخَيِّرِ العَفِيفِ قِلاَدَةُ الدِّينِ قَلَّ ما يُنْصِفُكَ اللِّسَانُ فِي نَشْرِ قَبِيحٍ أَوْ إِحْسَانٍ قَلَّ مَا تَصْدُقُكَ الأُمْنِيَّةُ[14]
ما كلُّ مَا تَخْشَى يَكُونُ. مَا أَقْرَبَ النِّقْمَةَ مِنْ أَهْلِ البَغْيِ ما كلُّ مفْتُونٍ يُعَاتَبُ مَا خَيْرُ خَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ! مَا شَرُّ شَرٍّ بَعْدَهُ الجَنَّةُ؟!. مَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلاَّ بِشَرٍّ، وَيُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلاَّ بِعُسْرٍ؟!. مَا أَقْبَحَ القَطِيعَةَ بَعْدَ الصِّلَةِ، وَالجَفَاءَ بَعْدَ الإِخَاءِ[15]
وَالعَدَاوَةَ بَعْدَ المَوَدَّةِ، وَالخِيَانَةَ لِمَنِ ائْتَمَنَكَ، وَالغَدْرَ لِمَنِ اسْتَسْلَمَ إِلَيْكَ! مَا أَقْبَحَ الخُضُوعَ عِنْدَ الحاجَةِ، وَالجَفَاءَ
عِنْدَ الغِنى!. مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ حَتَّى أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. الرِّزْقُ رِزْقَانِ؛ وَرِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ

---

1 الفَطِنَ: الذّكيّ.
2 حُجَّتِهِ: البرهان.
3 الْمَغْبُونُ: المنقوص في الثمن أو غيره.
4 أَوْكَدُ: أوثق.
5 دِخلَتُهُ: نيته، مقصده.
6 الخرق: عكس الرفق.
7 الوباء: المرض الذي يعمّ انتشاره.
8 الخُمس: أي منعوا خمس الغنائم عن الفقراء.
9 قارفت: (قارف الشّيء) إذا قاربه، وخالطه، أو فعله.
10 جازعاً: خائفاً.
11 سمت: هيئة.
12 عَوين: عون؛ و (العون) الظَّهير على الأمر.
13 قلادة: الطّوق الذي يكون حول العنق.
14 الأمنية: ما يتمنّاه الإنسان في الحياة.
15 الإخاء: المؤاخاة والصِّلة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

كَمْ مِنْ عَاكِفٍ عَلى ذَنْبِهِ، تَابَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ! كَمْ مِنْ دَنِفٍ[1] قَدْ نَجَا، وَصَحِيحٍ قَدْ هَوى! أَلَأَمُ اللُّؤْمِ البَغيُ عِنْدَ القُدْرَةِ. وَيْلٌ لِلْبَاغِينَ مِنْ أَحْكَمِ الحَاكِمينَ لَوْ كَانَ الصَّبْرُ رَجلًا، لَكَانَ رَجُلاً صَالِحاً. إنَّ مِنْ كُنُوزِ البِرِّ الصَّبْرَ عَلى الرَّزَايَا[2]، وَكِتْمَانَ المَصَائِبِ. إنَّ مِنَ الغِرَّةِ[3] بِاللهِ أَنْ يُصِرَّ العَبْدُ عَلى المَعْصِيَةِ، وَيَتَمَنَّى عَلى اللهِ المَغْفِرَةَ.

إنَّ القُلُوبَ تَمَلُّ كَما تَمَلُّ الأَبْدَانُ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ[4] الحِكْمَةِ. إنَّ اللهَ –تَعَالَى– لَيُدْخِلُ الفَاسِقَ فِي دِينِهِ، الجَرِيءَ عَلى خَلْقِهِ الجَنَّةَ بِسَخَائِهِ. إنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ. إذَا مَاتَ العَالِمُ انْثَلَمَ بِمَوْتِهِ فِي الإِسْلاَمِ ثُلْمَةٌ[5] لاَ تُسَدُّ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ. إذا وَصَلتْ إلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ، فَلاَ تُنَفِّرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ، إنَّ اليَسِيرَ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنَ الكَثِيرِ مِنَ خَلْقِهِ، وَإنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ. مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلى عَبْدٍ نِعْمَةً فَشَكَرَهَا بِقَلْبِهِ، إلاَّ اسْتَوْجَبَ المَزِيدَ مِنْهَا، قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ شُكْرُهَا عَلى لِسَانِهِ. مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً، إلاَّ ظَهَرَ مِنْ فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ. مَا أَوْضَحَ الحَقَّ لِذِي عَيْنَيْنِ. إنَّ الرَّحِيلَ حَقُّ أَحَدِ اليَوْمَيْنِ. مَا أُبَالِي باليَسِيرِ رُمِيتُ أَمْ بِالعَسِيرِ؛ لأَنَّ حَقَّ اللهِ –تَعَالَى– فِي العُسْرِ الرِّضى، وَفِي اليُسْرِ الشُّكْرُ. يَا بَرْدَهَا عَلى الكَبِدِ إذا سُئِلَ العَالِمُ عَمَّا لاَ يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: اللهُ أَعْلَمُ! العَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ: تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ إلاَّ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَوَاحِدٌ فِي تَرْكِ مُجَالَسَةِ السُّفَهَاءِ[6]. مَا المُبْتَلى إنِ اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ بِأَحَقَّ بالدُّعَاءِ مِنَ المُعَافَى لأَنَّهُ لاَ يَأْمَنُ مِنَ البَلاَءِ. الجِهَادُ ثَلاَثَةٌ: أَوَّلُ مَا يُغْلَبُ عَلَيْهِ مِنَ الجِهَادِ اليَدُ، ثُمَّ اللِّسَانُ ثُمَّ القَلْبُ؛ فَإِذَا كَانَ القَلْبَ لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفاً. وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَراً، نُكِسَ فَجُعِلَ أَعْلاَهُ أَسْفَلَهُ. أَرْبَعٌ يُمِتْنَ القَلْبَ: الذَّنْبُ عَلى الذَّنْبِ، وَمُلاَحَاةُ[7] الأَحْمَقِ[8] وَكَثْرَةُ مُثَافَنَةِ[9] النِّسَاءِ، وَالجُلُوسُ مَعَ المَوْتَى. قَالُوا: وَمَنِ المَوْتَى، يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ قالَ: كُلُّ عَبْدٍ مُتْرَفٍ[10]. كَفى بالعِلْمِ شَرَفاً أَنَّهُ يَدَّعِيهِ مَنْ لاَ يُحْسِنُهُ، وَيَفْرَحُ بِهِ إذَا نُسِبَ إلَيْهِ. الإِيمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ[11] الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ على الكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ. الدَّاهِيَةُ[12] مِنَ الرِّجَالِ مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ مِمَّنْ يُحِبُّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَشْهَرَهُ عِنْدَ غَضَبٍ مِنَ المُسْتَوْدَعِ؛ وَالصُّلْبُ مَنِ اشْتَدَّتْ عَارِضَتُهُ[13] فِي اليَقِينِ وَظَهَرَ حَزْمُهُ فِي التَّوَكُّلِ. الخَيْرُ الَّذِي لاَ شَرَّ فِيهِ الشُّكْرُ مَعَ النِّعْمَةِ وَالصَّبْرُ عِنْدَ النَّازِلَةِ. أَوَّلُ عِوَضِ الحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ، أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارٌ لَهُ عَلى الجَاهِلِ. العَالِمُ أَفْضَلُ مِنَ الصَّائِمِ

---

1 الدَّنف: الدَّنِف والدَّنَف: هو المريض مرضاً ملازماً.

2 الرّزايا: جمع رزيّة؛ وهي المصيبة العظيمة.

3 الغِرّة: المراد –هنا– الاغترار.

4 طرائف الحكمة: الحكمة اللّطيفة.

5 ثلمة: فُرجة.

6 السّفهاء: جمع سفيه؛ وهو الطّائش عكس الحكيم؛ والسّفهاء – هنا – الجهّال من النّاس.

7 ملاحاة: (ملاحاة الأحمق) منازعته.

8 الأحمق: قليل العقل والفهم.

9 مثافنة النّساء: مجالستهنّ.

10 مُترَف: متنعّم.

11 تؤثر: تفضّل.

12 الدّاهية: العاقل الجيِّد الرّأي من الرِّجال.

13 عارضته: (العارضة) البيان، واللّسن، والجَلَد، والصّداقة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

القَائِمِ الغازي فِي سَبِيلِ الله. العالِمُ بِمَنْزِلَةِ النَّخلة، تَنتَظِرُ مَتى يَسقُطُ عَلَيكَ مِنْهَا شَيءٌ. العالِمُ بِلاَ عَمَلٍ كالرَّامِي بِلاَ وَتَرٍ. مِنْ كفَّارَاتِ الذُّنُوبِ العِظَامِ: إغاثَةُ المَلْهُوفِ، وَالتَّنفِيسُ عَنِ المَكرُوبِ[1]. إذَا أقبلتِ الدُّنيا على رَجُلٍ، أعارَتهُ محاسِنَ غيرِهِ، وَإذَا أَدْبَرَتْ عَنهُ، سلبتهُ محاسِنَ نفسِه. العالِمُ مَنْ عرفَ أنَّ ما يَعلمُ فِي جَنبِ ما لاَ يَعلمُ قَلِيلٌ؛ فعدَّ نفسهُ بِذلِكَ جاهِلاً، فازْدَادَ بِمَا عَرَف مِن ذلِكَ فِي طَلَبِ العلمِ اجتِهَاداً، وَالجَاهِلُ مَنْ عدَّ نَفْسَهُ بِما جَهِلَ فِي مَعْرِفةِ العِلْمِ عالِماً، وَكَانَ برأْيِهِ مُكْتفِياً. إنَّما لَكَ مِنْ دُنياكَ ما أصلحْتَ بِهِ مثواكَ[2]. إنَّما قلبُ الحَدَثِ[3] كالأَرْضِ الخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيها مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ. إنّي لأَسْتَحْيي مِنَ الله –تَعَالى– أنْ يَكُونَ ذَنْبٌ أعْظَمَ مِنْ عَفْوِي، أوْ جَهْلٌ أعْظَمَ مِنْ حِلْمِي، أوْ عَوْرَةٌ[4] لاَ يُوَارِيهَا سِتْرِي، أو خَلَّةٌ[5] لاَ يَسُدُّهَا جُودِي.

نوع منه

رُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ. رُبَّ مُشِيرٍ بِمَا يَضِيرُ[6]. رُبَّ طَمَعٍ خَائِبٍ، وَأَمَلٍ كَاذِبٍ. رُبَّ رَجَاءٍ يَؤُولُ إِلَى الحِرْمَانِ، وَرُبَّ أَرْبَاحٍ تَؤُولُ إِلَى الخُسْرَانِ. رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرّ إِلَى حَرَبٍ. رُبَّ بَاحِثٍ عنْ حَتْفِهِ[7]. رُبَّ هَزْلٍ قَدْ عَاد جدّاً. رُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ منْ قَرِيبٍ. رُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ، وَفِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أَتَيْتَهُ. رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً. رُبَّما أَكْدى الحَرِيصُ[8]. رُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ نَاصِحٍ، وَغَشَّ غَيْرُ المُتَنَصِّحِ[9]. رُبَّما أَخْطَأَ البَصِيرُ قَصْدَهُ، وَأَصَابَ العَمِيُّ رُشْدَهُ. رُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَمْ تُؤْتَهُ أَوْ أُوتيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجَلاً أَوْ آجِلاً، وَصُرِفَ عَنْكَ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ. رُبَّما أُخِّرَ عَنْكَ الإِجَابَةُ؛ لِيَكُونَ أَطْوَلَ للمَسْأَلَةِ، وَأَجْزَلَ لِلْعَطِيَّةِ.

نوع منه

منْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ[10]. مَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ. مَن اشْتَاقَ سَلاَ[11]. مَنْ نَالَ اسْتَطَالَ. مَنْ مَزَحَ اسْتُخِفَّ بِهِ. مَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيءٍ عُرِفَ بِهِ. مَنْ زَنَا زُنِيَ بِهِ. مَنْ جَفَا طَغَى. مَنْ تَرَكَ القَصْدَ[12] جَارَ. مَنْ سَلَّ سَيْفَ البَغْيِ[13] قُتِلَ بِهِ. مَنْ

---

[1] التنفيس عن المكروب: التفريج عن المحزون المهموم.

[2] مثواك: (المثوى) المنزل؛ والمراد –هنا– مكان الإقامة الدَّائمة؛ أي القبر، والآخِرة.

[3] الحدَث: الشَّابّ الذي في مُقْتَبلِ العمر.

[4] عورة: (عورة الإنسان) سوأة الإنسان، وكلّ ما يُستحيا منه.

[5] خَلّة: خَصلة.

[6] يضير: يَضرُّ.

[7] حتفه: موته.

[8] أكدى الحريص: خاب وخسر.

[9] المتنصِّح: الذي يتشبّه بالنُّصحاء.

[10] من أكثر أهجر: من أكثرَ كلامَه، فقد أفحشَ في منطقه.

[11] سلا: صبر، يُقال: سلا عنه سُلُوّاً إذا صبر، والسُّلُوُّ: طيب نفس الإلف عن إلفه.

[12] القصد: الاستقامة والوقوف عند الحدّ.

[13] البغي: الظّلم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

حَفَرَ بِئْراً وَقَعَ فِيهَا. مَنْ تَهَاوَنَ بالدّينِ ارْتَطَمَ[1]. مَنْ أحْسَنَ السُّؤَالَ عَلِمَ، وَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، ومَنْ عَمِلَ سَلِمَ. مَنْ كَابَدَ الأُمُورَ عَطِبَ[2]، وَمَنِ اقْتَحَمَ اللُّجَجَ[3] غَرِقَ. مَنْ أُعجِبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ. وَمَنِ اسْتَغْنى بِعِلْمِهِ زَلَّ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ. مَن أطْلَقَ طَرْفَهُ[4] كَثُرَ أسَفُهُ. مَنْ صَارَعَ الحَقَّ صَرَعَهُ. مَنْ تَعدَّى الحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ. مَنْ حَصَّنَ[5] شَهْوَتَهُ صَانَ قَدْرَهُ. مَنْ غَلَبَ لِسَانَهُ أمَّرَهُ قَوْمُهُ. مَنْ ضَاقَ خُلُقُهُ مَلَّهُ أهْلُهُ. مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أوْ بَعْضَهُ. مَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ، كَثُرَ خَطَؤُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ، مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ. مَنْ حَمَلَ مَا لاَ يُطِيقُ عَجَزَ. مَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اُتُّهِمَ. مَنْ تَحَرَّى[6] الصِّدْقَ خَفَّتْ عَلَيْهِ المُؤَنُ. مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ، عُدَّ مِنْهُمْ. مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أبقى لَهُ. مَنْ طَلَبَ الكِيمْيَاءَ[7] افْتَقَرَ. مَنْ طَلَبَ عِلْمَ النُّجُومِ تَكَهَّنَ. مَنْ تَفَكَّرَ فِي ذَاتِ اللهِ –تَعَالى– تَزَنْدَقَ[8]. مَنْ رَضِيَ زَلَّةَ نَفْسِهِ، رَضِيَ زَلَّةَ غَيْرِهِ. مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ، كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْهِ. مَنْ خَالَطَ العُلَمَاءَ وُقِّرَ. مَنْ خالَطَ الأَنْذالَ حُقِّرَ. مَنْ لَمْ يَمْلِكْ غَضَبَهُ لَمْ يَكْمُلْ عَقْلُهُ. مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الآرَاءِ، عَرَفَ مَوَاقِعَ الخَطَإِ. مَنْ ضَيَّعَهُ الأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ[9] الأَبْعَدُ. مَنْ جَرى فِي عِنانِ[10] أمَلِهِ، عَثَرَ بِأَجَلِهِ. مَنْ أبْصَرَ عَيْبَ نَفْسِه، شُغِلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ. مَنْ رَضِيَ بقَسْمِ اللهِ[11]، لَمْ يَحْزَنْ عَلى مَا فِي يَدِ غَيْرِهِ. مَنْ أكْثَرَ مِنْ ذكْرِ المَوْتِ، رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِاليَسِيرِ.

مَنْ عَلِمَ أنَّ كَلاَمَهُ مِنْ عَمَلِهِ، قَلَّ كَلاَمُهُ إلاَّ فِيمَا يَنْفَعُهُ. مُنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ، وَرَضِيهَا لِنَفْسِهِ، فَذَاكَ الأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ. مَنْ قَلَّبَ الأَحْوالَ، عَرَفَ جَوَاهِرَ الرِّجَالِ. مَن تَلَذَّذ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، أوْرَثَهُ اللهُ ذُلاًّ. مَنْ عَرَفَ الأَيَّامَ، لَمْ يُغْفِلِ الاسْتِعْدَادَ. مَنْ عُرِفَ بِالحِكْمَةِ، لاَ حَظَتهُ العُيُون بِالوَقَارِ. مَنْ أصْبَح وَالآخِرَةُ هَمُّهُ، اسْتَغْنى بِغَيْرِ مالٍ، وَاسْتَأْنَسَ بِغَيْرِ أهْلٍ، وَعَزَّ بِغَيْرِ عَشِيرَةٍ .

---

[1] ارتطم: (هنا) بمعنى تحطَّم، وانتهى أمره.

[2] عَطِبَ: هَلَك.

[3] اللّجج: جمع لُجّة، ولُجَّة الماء: معظمه.

[4] طرفه: (الطّرفْ) العين؛ والمراد –هنا– البصر.

[5] حصَّن: مَنَع.

[6] تحرَّى الصّدق: توخّى الصِّدق.

[77] الكيمياء: المراد بالكيمياء –هنا– الاحتيال وخداع النّظر، وإيهام المشاهد بتحويل الورق ذهباً، وغير ذلك. وليس المراد تعلّم علم الكيمياء للعلم؛ لأنَّ هذا يتنافى مع تعاليم الدِّين الحنيف؛ الذي يحضّ على طلب العلم، ويجعله سبيلاً إلى الجنَّة.

[8] تزندق: ألحد وطعن في الأديان؛ و (الزنديق): الذي لا يؤمن بوحدانيّة الله –تعالى– ولا بالآخرة والحساب.

[9] أُتيح له: قُدّر، أو هُيِّئ له.

[10] عِنان: رسن الدَّابة؛ السَّير الذي تمسك به.

[11] قَسْم الله: ما قسمه الله له من رزق.

This file was downloaded from QuranicThought.com

مَنْ عَلِمَ مِنْ أخِيهِ مُرُوأةً جَمِيلَةً؛ فَلاَ يَسْمَعَنَّ فِيهِ الأَقَاوِيلَ. مَنِ اقْتَصَرَ على بُلْغَةِ الكَفَافِ[1]، فَقَدْ تَعَجَّلَ الرَّحْمَةَ[2]، وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ. مَنْ تَوَرَّطَ فِي الأُمُورِ غَيْرَ نَاظِرٍ فِي العَوَاقِبِ، فَقَد تَعَرَّضَ لِفَادِحَاتِ النَّوَائِبِ[3]. مَنْ سرَقَ مِنَ الأَرْضِ شِبْراً، كَلَّفَهُ اللهُ- تَعَالى - يَوْمَ القِيَامَةِ نَقْلَهُ. مَنْ كَانَ مَطِيَّتَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ لاَ يَسيرُ. مَنْ أمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنَ تَعَظَّمَ عَلَيْهِ أهَانَهُ، وَمَنْ تَرَغَّمَ عَلَيْهِ أرْغَمَهُ، وَمَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ أسْلَمَهُ. مَنْ حَسُنَتْ عَلاَنِيَتُهُ، فَنَحْنُ لِسَرِيرَتِهِ أرْجَى. مَنْ عَزَفَتْ[4] نَفْسُهُ عَنْ دَنِيءِ المَطَامِعِ، كَمُلَتْ مَحَاسِنُهُ، وَمَنْ كَمُلَتْ مَحَاسِنُهُ حُمِدَ؛ وَالمَحْمُودُ مَحْبُوبٌ، وَلَنْ يُحِبَّ العِبَادُ عَبْداً إِلاَّ بَعْدَ حُبِّ اللهِ – تعالى - إِيَّاهُ. مَنْ هَتَكَ[5] حِجَابَ غَيْرِهِ، انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ[6] بَيْتِهِ.

مَنْ يَثِقُ بِكَ أوْ يَرْجُو صِلَتَكَ، إِذَا قَطَعْتَ صِلَةَ قَرَابَتَكَ[7] ؟!.

نوع منه

لاَ شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الإِسْلاَمِ، وَلاَ كَنْزَ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوى، وَلاَ لِبَاسَ أجْمَلُ مِنَ الْعَافِيَةِ، وَلاَ كَنْزَ أغْنى مِنَ الْقَنَاعَةِ؛ وَلاَ مَعْقِلَ[8] أحْصَنُ مِنَ الْوَرَعِ، وَلاَ شَفِيعَ أنجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلاَ وِقايَةَ أمْنَعُ مِنَ السَّلاَمَةِ، وَلاَ كَنْزَ أغْنَى مِنَ القُنُوعِ[9]. وَلاَ مَالَ أذْهَبُ لِلْفَاقَةِ[10] مِنَ الرِّضَا بِالْقُوتِ. لاَ خيْرَ في مُعِينٍ مَهِينٍ[11] لا خَيْرَ فِي زَلَّةٍ تُورِثُ نَدماً. لاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ لِرَجُلَيْنَ؛ رَجُلٍ أذْنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ يَتَدَارَكُ ذلِك بِتَوْبَةٍ، وَرَجُلٍ يُسارِعُ فِي الخَيْرَاتِ.

لا حَسَبَ إِلاَّ بِتَوَاضُعٍ، وَلاَ كَرَمَ إِلاَّ بِتَقْوَى. وَلَا عَمَلَ إِلاَّ بِنِيَّةٍ، وَلاَ عِبَادَةَ إِلاَّ بِالْيَقِينِ.

لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلاَ كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ[12]. لَيْسَ كُلُّ مَنْ طَلَبَ وَجَدَ، وَلاَ كُلُّ مَنْ تَوَفَّى نَجَا. لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمى أصَابَ. لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تُصَابُ. لَيْسَ فِي البَرْقِ اللاّمِعِ مُسْتَمْتَعٌ لِمَنْ يَخوضُ فِي الظُّلْمَةِ. لَيْسَ مَعَ الْفُجُورِ نَمَاءٌ، وَلاَ مَعَ العَدْلِ ظُلْمٌ، وَلاَ مَعَ القَتْلِ عَدْلٌ، وَلاَ مَعَ القَطِيعَةِ غِنىً. لَيْسَ مَعَ الاخْتِلاَفِ ائْتِلاَفٌ. لَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أنْ تَسُوأَهُ. لَيْسَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ، إِنَّمَا هُوَ اتِّبَاعٌ.

---

[1] بلغة الكفاف: ما يكون من العيش على قَدْرالقوت.

[2] تعجَّل الرّحمة: استحقّ رحمة الله – تعالى – له في الدُّنيا.

[3] فادحات النّوائب: المصائب العظيمة.

[4] عزفت نفسه: زهدت نفسه.

[5] هتك: فضح.

[6] عورات: سوآت – عيوب.

[7] من ... صلة قرابتك؟!: مَن –هنا- للاستفهام الإنكاريّ.

[8] معقِل: ملجأ.

[9] القنوع: السُّؤال و –هنا- بمعنى القناعة.

[10] الفاقة: الفَقْر.

[11] مَهين: حقير.

[12] يؤوب: يعود – يرجع.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الباب الثاني

ما رُوى عنه كَرَّمَ الله وَجْهَهُ في ذَمِّ الدُّنْيَا وتَزْهِيدِهِ فِيهَا

فَمِنْ ذَلِكَ قَولُهُ كَرَّمَ الله وَجْهَهُ:

الدُّنْيَا أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ، حَلاَلُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عَذابٌ، مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ، وَمَنْ مَرِضَ فيهَا نَدِمَ، وَمَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا[1] فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا أَتَتْه، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ، وَمَنْ نَظَرَ بِهَا[2] بَصَّرَتْهُ. لِلَّهِ امْرُؤٌ عَمِلَ صَالِحَاً، وَقَدَّم خَالِصاً، وَاكْتَسَبَ مَذْخُوراً[3] وَاجْتَنبَ مَحْذُوراً، وَبَنَى غَرَضاً، وَأَحْرَزَ عِوَضاً، كَابَرَ هَوَاهُ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ، وَجَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهَ، وَالتَّقْوى عُدَّةَ وَفَاتِهَ.

وَقَالَ كَرَّمَ الله وَجْهَهُ:

الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ وَغِيَرٍ[4] وَعِبَرٍ[5] فَمِنَ الفَنَاءِ: أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ مُفَوِّقٌ نَبْلَهُ[6] لاَ تَطِيشُ سِهامُهُ[7] وَلاَ تُؤْسى جِرَاحُهُ[8]، يَرْمِي الشَّبَابَ بِالْهَرَمِ، وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ[9] وَالْحَيَاةَ بِالْمَوْتِ، شَارِبٌ لاَ يَرْوى، وَآكِلٌ لاَ يَشْبَعُ؛ وَمِن العَنَاءِ[10]: أَنَّ المَرْءَ يَجْمَعُ مَا لاَ يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَا لاَ يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلى الله – تعالى – بِلاَ بِنَاءٍ نَقَلَ، وَلاَ مَالٍ حَمَلَ؛ وَمِنْ غِيَرِهَا: أَنَّهَا تُلْفِيكَ المَرْحُومَ مَغْبُوطاً وَالمَغْبُوطَ[11] مَرْحُوماً، لَيْسَ بَيْنَ إِلاَّ نَعِيمٌ زَالَ، وَبُؤْسٌ نَزَلَ؛ وَمِنْ عِبرِها: أَنَّ المَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْطَعُهُ دُونَهُ أَجَلُهُ؛ فَلاَ أَمَلٌ مُدْرَكٌ، وَلاَ مُؤَمِّلٌ مُدْرِكٌ. فَسُبْحَانَ الله مَا أَغَرَّ سُرُورَها، وَأَظْمَأَ رِيَّهَا[12]، وَأَضْحأ فَيْأَهَا[13]!. كَأَنَّ الَّذِي كَانَ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَكُن، وَكَأَنَّ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ مِنْهَا قَدْ كَانَ؛ لاَ جَاءٍ يُرَدُّ، وَلاَ مَاضٍ يُرْتَجَعُ، وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ القَرَارِ، وَدَارُ الْمُقَامِ، وَجَنَّةٌ وَنَارٌ. صَارَ أَوْلِيَاءُ الله إِلى الآخِرَةِ بِالصَّبْرِ، وَإِلى الأَمَلِ بِالعَمَلِ، جَاوَرُوا الله فِي دَارِهِ مُلُوكاً خَالِدِينَ.

---

[1] ساعاها: جاراها.

[2] نظر بها: استلّ بأحوالها.

[3] مدخوراً: مدّخراً وذخيرة.

[4] غِير: أي حوادثها لا تدوم على حال.

[5] عِبَر: جمع عِبرة؛ وهي الاعتبار.

[6] مفوّق نَبْلَه: مستعد لرمي أبنائه بالسّهام.

[7] لا تطيش: لا تخطئ هدفها.

[8] لا تؤسى: لا تُداوى جراحه.

[9] السَّقم: المرض والضَّعف الشَّديد.

[10] العَنَاء: شدّة التَّعب.

[1111] المغبوط: من كان في نعمة، يتمنّي الناس مثلها.

[12] أظْمَأ رِيَّهَا: ما أعطَشَ ارتواءَها.

[13] مَا أَضْحَأ فيأها: ما أحرَّ ظلّها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ:

الدُّنْيَا دَارُ غُرُورٍ حَائِلٍ، وَزُخْرُفٍ[1] نَائِلٍ، وَظِلٍّ آفِلٍ[2]، وَسَنَدٍ مَائِلٍ، تُرْدِي[3] مُسْتَزِيدَهَا، وَتَضُرُّ مُسْتَفِيدَهَا. فَكَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا رَاكِنٍ[4] إِلَيْهَا، قَدْ أَرْهَقَتْهُ إِيثَاقَهَا. وَأَعْلَقَتْهُ أَرْبَاقَهَا[5]، وَأَشْرَبَتْهُ خِنَاقَهَا، وَأَلْزَمَتْهُ وَثَاقَهَا!

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ:

إِنَّ الدَّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ، وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ. وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ؛ وَالْمِضْمَارُ[6] الْيَوْمَ وَغداً السِّبَاقُ

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ:

طُوبَى[7] لِلزَّاهِدِينَ فِي[8] الدُّنْيَا، وَالرَّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ؛ أُولئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا أَرْضَ اللهِ بِسَاطاً، وَتُرَابَهَا فِرَاشاً، وَمَاءَهَا طِيباً، وَالْكِتَابَ شِعَاراً[9]، وَالدُّعَاءَ دِثَاراً[10]، وَقَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضاً[11] عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ

وَقَالَ – كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ– رَجُلٌ صِفْ لنا الدُّنيا فَقَال:

وَمَا أَصِفُ لَكَ مِنْ دَارٍ: مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ، وَمَنْ سَقِمَ فِيهَا نَدِمَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ[12]؛ فِي حَلَالِهَا الْحِسَابُ، وَفِي حَرَامِهَا الْعَذَابُ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ:

اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَيِّتُونَ، وَمَبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ، وَمَوْقُوفُونَ عَلى أَعْمَالِكُم، وَمَجْزِيُّونَ بِهَا؛ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ[13] الْحَيَاةُ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا دَارٌ بِالْبَلاءِ مَحْفُوفَةٌ[14]، وَبِالْفَنَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَوْصُوفَةٌ. وَكُلُّ مَا فِيهَا إِلى زَوَالٍ، وَهِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا دُوَلٌ[1]

---

[1] زخرف: ما كان حسناً من كلّ شيء.

[2] آفل: زائل.

[3] تردي: تهلك.

[4] راكن إليها: ساكن إليها، مطمئن بها.

[5] أرباقها: جمع ربقة؛ وهي العروة التي تُشدّ بها الشاه. والخِناق: الحبل الذي يخنق به.

[6] المضمار: الموضع الذي تُضْمَرُ فيه الخيل للسِّباق.

[7] طوبى: شجرة في الجنّة؛ وطوبى لهم: حُسنى لهم، خير لهم

[8] في: في (هنا) بمعنى عن.

[9] شعاراً: (الشعار) الثوب الذي يلي الجسد.

[10] دثاراً: (الدّثار) الثوب الذي يكون فوق الشِّعار.

[11] قرضوا الدّنيا قرضاً: عدلوا عنها، وجازوها.

[12] فُتِن: امتحن وابتُلي.

[13] تَغُرَّنَّكُمُ: تخدَعنّكم بزينتها.

[14] محفوفة: محاطةٌ؛ يقال: حفّ القوم بالبيت إذا طافوا به.

This file was downloaded from QuranicThought.com

دُوَلٌ[1] وَسِجَالٌ[2]. لاَ تَدُومُ أحْوَالُهَا، وَلَنْ يَسْلَمَ مِنْ شَرٍّ نُزَّالُهَا؛ بَيْنَا أهْلُهَا مِنْهَا فِي رَخاءٍ[3] وَسُرُورٍ، إذَا هُمْ مِنْهَا فِي بَلاَءٍ وَغُرُورٍ؛ أحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ. العَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالرَّخَاءُ فِيهَا لاَ يَدُومُ. وَإنَّمَا أهْلُهَا فِيهَا أغرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ؛ فَتَرْمِيهِمْ بسهَامِهَا، وَتَقْصِمُهُمْ[4] بِحِمَامِهَا[5]؛ وَكُلُّ حَتْفُهُ مَقْدُورٌ، وَحَظُّهُ مِنْهَا مَوْفُورٌ.

وَقَالَ كَرَّمَ الله وَجْهَهُ:

الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ إلى دَارِ مَقَرٍّ؛ وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلاَنِ: رَجُلٌ بَاعَ نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا[6]، وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ[7] فَأَعْتَقَهَا.

كَتَبَ – كَرَّمَ الله وَجْهَهُ – إلى سَلْمَانَ الفارسيّ رَحِمَهُ الله:

أمَّا بَعْدَ، فَإنَّ مَثَلَ الدُّنْيَا مَثَلَ الحَيَّةِ: لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سُمُّهَا، يَهْوِي إلَيْهَا الصَّبِيُّ الجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا اللَّبِيبُ العَاقِلُ؛ فَأَعرِضْ[8] عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا؛ لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا؛ لِمَا لَقِيتَ مِنْ فِرَاقِهَا، وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ فِيهَا أحْذَرَ مَا تَكُونُ لَهَا فَإنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ مِنْهَا إلى سُرُورٍ أشْخَصَهُ[9] عَنْهُ مَكْرُوهٌ وَالسَّلاَمُ.

وَقَالَ كَرَّمَ الله وَجْهَهُ في ذمّ الدُّنيا:

اِحْذَرُوا هذِهِ الدُّنْيَا الخَدَّاعَةَ الغَرَّارَةَ الَّتِي قَدْ تَزَيَّنَتْ بحُلِيِّهَا[10]، وَفَتَنَتْ بغُرُورِها، وَغَرَّتْ بآمَالِهَا. وَتَشَوَّفَتْ[11] لِخُطَّابِهَا. فَأَصْبَحَتْ كَالْعَرُوسِ المَجْلُوَّةِ؛ العُيُونُ إلَيْهَا نَاظِرَةٌ، والنُّفُوسُ بهَا مَشْغُوفَةٌ[12]، وَالْقُلُوبُ إلَيْهَا تَائِقَةٌ[13]. وَهِيَ لأَزْوَاجها كُلِّهِمْ قَاتِلَةٌ. فَلاَ البَاقِي بالْمَاضِي مُعْتَبِرٌ، وَلاَ الآخِرُ بسُوءِ أثَرِهَا عَلى الأَوَّلِ مُزْدَجِرٌ، وَلاَ اللَّبِيبُ فِيها بَالتَّجَارِبِ مُنْتَفِعٌ. أبَتِ القُلُوبُ لَهَا إلاَّ حُبّاً، وَالنُّفُوسُ بهَا إلاَّ ضِنّاً[14]؛ فَالنَّاسُ لَهَا طَالِبَان: طَالِبٌ ظَفِرَ بهَا، فَاغْتَرَّ فِيهَا، وَنَسِيَ التَّزَوُّدَ مِنْهَا لِلظَّعنِ عَنْهَا؛ فَقَلَّ فِيهَا لُبْثُهُ، حَتَّى خَلَتْ مِنْهَا يَدُهُ، وَزَلَّتْ عَنْهَا قَدَمُهُ، وَجَاءَتْهُ (على)[15] أسَرَّ مَا كَانَ

---

[1] دُوَل: يقال: تداول القوم الشّيء تداولاً: إذا حصل لهؤلاء مرّة ولهؤلاء مرّة. فالدُّوَل: التّداول.

[2] سِجال: متداولة.

[3] رخاء: في دَعَةٍ وسَعَةٍ.

[4] تقصمهم: تكسرهم، وتهينهم وتذلّهم.

[5] حِمامها: موتها.

[6] أوبقها: أهلكها.

[7] ابتاع نفسه: اشترى نفسه.

[8] أعراض: تَولَّى عنها وابتعد.

[9] أشخصه: (شخص شُخُوصًا): إذا خرج من موضع: إلى موضع غيره، ويتعدّى بالهمزة، فيقال: أشخصته؛ وهنا: أخرجه من سروره مكروه.

[10] حليتها: ما تتجمَّل به المرأة من حليّ وزينة وغير ذلك.

[11] تشوّفت: يُقال: (تشوَّفت) فلان كذا: إذا طمح بصره إليه، ثم استعمل في تعلّق الآمال والتَّطلُّب؛ والمعنى –هنا– تهيّأت ونظرت لخطّابها.

[12] مشغوفة: مُولَعةٌ مُولّهة.

[13] تائقة: مشتاقة.

[14] ضنّاً بها: بخلاً بها.

[15] سقطت في الأصل، والسّياق يقتضيها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

بِهَا مَنِيَّتُهُ، فعَظُمَتْ نَدَامَتُهُ، وَكَثُرَتْ حَسْرَتُهُ، وَجَلَّتْ مُصِيبَتُهُ؛ فاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ سَكَرَاتُ المَوْتِ، فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِ. وَآخَرُ اخْتُلِجَ عَنْهَا[1] قَبْلَ أَنْ يَظْفَرَ بِحَاجَتِهِ؛ فَفَارَقَهَا بِغِرَّتِهِ[2] وَاسَفِهِ، وَلَمْ يُدْرِكْ مَا طَلَبَ مِنْها، وَلَمْ يَظْفَرْ بِمَا رَجَا فِيهَا. فارْتَحَلاَ جَمِيعاً مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ زَادٍ. وَقَدِمَا عَلى غَيْرِ مِهَادٍ[3]؛ فاحْذَرُوا الدُّنْيَا الْحَذَرَ كُلَّهُ، فَإِنَّمَا مَثَلُها مَثَلُ الحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سُمُّهَا؛ فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا؛ لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ ثِقَلَ هُمُومِهَا؛ لِمَا تَيَقَّنْتَ مِنْ وَشْكِ[4] زَوَالِهَا. وَكُنْ أَسَرَّ مَا تَكُون فِيهَا أَحْذَرَ مَا تَكُونُ لَهَا. فَإِنّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنّ مِنْهَا إِلَى سُرُورٍ، أَشْخَصَهُ[5] عَنْهَا مَكْرُوهٌ. وَكُلَّمَا اغْتَبَطَ مِنْهَا بِإِقْبَالٍ[6]، نَغَّصَهُ عَنْها إِدْبارٌ. وَكُلَّما ثَنى عَلَيْهِ مِنْهَا رِجْلاً، طَوَتْ عَنْهُ كَشْحاً[7]، فالسَّارُّ فِيهَا غارٌّ، وَالنَّافِعُ فِيهَا ضارٌّ.وُصِلَ رَخَاؤُهَا بالْبَلاَءِ، وَجُعِلَ بَقَاؤُهَا إِلَى الفَنَاءِ. فَرَحُهَا مَشُوبٌ[8] بالحَزَنِ، وَآخِرُ غُمُومِهَا إِلى الوَهَنِ[9]؛ فانْظُرْ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الزَّاهِدِ المُفَارِقِ، وَلاَ تَنْظُرْ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الصَّاحِبِ الْوَامِقِ[10]. اعْلَمْ يَا هَذَا، أَنَّهَا تُشْخِصُ الوَادِعَ السَّاكِنَ[11]، وَتَفْجَعُ المُغْتَبِطَ[12] الآمِنَ. لاَ يَرْجِعُ مِنْهَا مَا تَوَلَّى فَأَدْبَرَ، وَلاَ يُدْرى مَا هُوَ آتٍ فَيُحْذَرَ؛ أَمَانِيُّهَا كَاذِبَةٌ، وَآمالُهَا بَاطِلَةٌ. صَفْوُهَا كَدَرٌ، وَابْنُ آدَمَ فِيهَا عَلى خَطَرٍ: إِمَّا نِعْمَةٌ زَائِلَةٌ، وَإِمَّا بَلِيَّةٌ نَازِلَةٌ، وَإِمَّا معظَمَةٌ جَائِحَةٌ[13]، وَإِمَّا مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ. فَلَقَدْ كَدَّرَتْ عَلَيْهِ المَعِيشَةَ إِنْ عَقَلَ. وَأَحْبَرَتْهُ. عَنْ نَفْسِها إِنْ وَعى. وَلَوْ كَانَ خَالِقُهَا – جَلَّ وَعَزَّ– لَمْ يُخْبِرْ عَنْهَا خَبَراً. وَلَمْ يَضْرِبْ لَهَا مَثَلاً. وَلَمْ يَأْمُرْ بالزُّهْدِ فِيهَا، وَالرَّغْبَةِ عَنْهَا؛ لَكَانَتْ وَقَائِعُهَا وَفَجائِعُهَا، قَدْ أَنْبَهَتِ النَّائِمَ، وَوَعَظَتِ الظَّالِمَ، وَبَصَّرَتِ العَالِمَ. وَكَيْفَ وَقَدْ جَاءَ عَنْهَا مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– زَاجِرٌ[14]، وَأَتَتْ مِنْهُ فِيهَا البَيِّناتُ وَالبَصَائِرُ[15]؟!.

فَما لَهَا عِنْدَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– قَدْرٌ وَلاَ وَزْنٌ. وَلاَ خَلَقَ فِيمَا بَلَغَنَا خَلْقاً أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنْهَا. وَمَا نَظَرَ إِلَيْهَا مُذْ خَلَقَهَا. وَلَقَدْ عُرِضَتْ عَلى نَبِيِّنا –صلى الله عليه وآله وسلم– بِمَفَاتِيحِهَا وَخَزَائِنَهَا، لاَ يَنْقُصُهُ ذلِكَ مِنْ حَظِّهِ مِنَ الآخِرَةِ، فأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا لِعِلْمِهِ أَنَّ اللهَ –جَلَّ ثَنَاؤُهُ– أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وَصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ، وَأَنْ لاَ يَرْفَعَ مَا وَضَعَ اللهُ –جَلَّ ثَنَاؤُهُ– وَأَنْ لاَ يُكَثِّرَ مَا أَقَلَّ اللهُ –جَلَّ وعَزَّ– وَلَوْ لَمْ يُخْبِرْكَ عَنْ صِغَرِهَا عِنْدَ اللهِ إِلاَّ أَنَّ اللهَ –جَلَّ وَعَزَّ– أَصْغَرَهَا عَنْ أَنْ يَجْعَلَ

---

1 اختلج عنها: انتُزع منها.

2 غِرَّته: غفلته.

3 مهاد: فِراش؛ والمراد –هنا– ما يمهّده الإنسان لنفسه في الآخرة؛ وهو العمل الصّالح.

4 وشك زوالها: قُرْبُ فنائها وزوالها.

5 أشخصه: أذهبه، وأبعده عنها.

6 اغتبط بإقبال: تمتّع منها بنعمة وسَعة.

7 كشحاً: الكشح هو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف.

8 مشوب: مختلط.

9 الوهن: الضَّعف.

10 الوامق: المحبّ.

11 تشخص الوادع السّاكن: تغيّر حال الوادع السّاكن، وزعجه وتقلقه.

12 المغتبط: المتمتّع بالنِّعمة.

13 معظمة جائحة: شِدَّة مهلكه تبيد المال، ولا تبقي منه شيئاً.

14 زاجر: (الزَّجر) النّهي والمنع والتّنفير.

15 البصائر: جمع بصيرة؛ وهي –هناه– بمعنى الحجّة والاستبصار في الشّيء.

This file was downloaded from QuranicThought.com

خَيْرَهَا ثَوَاباً لِلْمُطِيعِينَ، وَأَنْ يَجْعَلْ عُقُوبَتَهَا عِقَاباً لِلْعَاصِينَ. وَمِمَّا يَدُلُّكَ عَلى دَنَاءَةِ الدُّنْيَا أَنَّ اللهَ –جَلَّ ثَنَاؤُهُ– زوَاهَا عَنْ أَوْلِيَائِهِ[1] وَأَحِبَّائِهِ نَظَراً وَاخْتِيَاراً، وَبَسَطَهَا لأَعْدَائِهِ فِتْنَةً[2] وَاخْتِباراً؛ فَأَكْرَمَ عَنْهَا مُحَمَّداً نَبِيَّهُ –صلى الله عليه وآله وسلم– حِينَ عَصَبَ عَلى بَطْنِهِ مِنْ الجُوعِ. وَحَمَاهَا مُوسى[3] نَجِيَّهُ المُكَلَّمَ. وَكَانَتْ تُرى خُضْرَةُ البَقْلِ مِنْ صِفَاقِ[4] بَطْنِهِ مِنَ الهُزَالِ. وَمَا سَأَلَ اللهَ –جَلَّ ثَنَاؤُهُ– يَوْمَ أَوَى إلى الظِلِّ إلاّ طَعَاماً يَأْكُلُهُ؛ لِمَا جَهَدَهُ[5] مِنَ الْجُوعِ. وَلَقَدْ جَاءَتِ الرِّوَايَةُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ أُوحِيَ إِلَيْهِ إِذَا رَأَيْتَ الغِنى مُقْبِلاً، فَقُل: ذَنْبٌ عُجِّلَتْ عُقُوبَتُهُ، وَإِذَا رَأَيْتَ الفَقْرَ مُقْبِلاً، فَقُلْ: مَرْحَباً بِشِعَارِ الصَّالِحِينَ. وَصَاحِبُ الرُّوحِ وَالْكَلِمَةِ عِيسى بْنُ مَرْيَمَ –عَلَيْهِ السَّلاَمُ– إِذْ قَالَ: أُدْمِي الجُوعُ[6]، وَشِعَارِي الخَوَفُ، وَلبَاسي الصُّوفُ، وَدَابَّتِي رِجْلاَيَ، وَسِرَاجِي بِاللَّيْلِ القَمَرُ، وَصِلاَئِي فِي الشَّتَاءِ[7] مَشَارِقُ الشَّمْسِ، وَفَاكِهَتِي مَا أَنْبَتَتِ الأَرْضَ للأَنْعَامِ. أبيتُ وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ، وَلَيْسَ أحَدٌ أغْنى مِنِّي. أوْ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ وَمَا أُوتِيَ مِنَ المُلْكِ، إِذْ كَانَ يَأْكُلُ خُبْزَ الشَّعِيرِ، وَيُطْعِمُ أَهْلَهُ الحِنْطَةَ، وَإِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ لَبِسَ المُسُوحَ[8]، وَغَلَّ يَدَهُ إلى عُنُقِهِ، وَبَاتَ بَاكِياً حَتَّى يُصْبِحَ، وَيُكْثِرُ أنْ يَقُولَ: رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي كَثِيراً، وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الخاسِرِينَ، لاَ إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنّي كُنْت منَ الظَّالِمِينَ. فَهؤُلاَء أَنْبِيَاءُ اللهِ وَأَصْفِيَاؤُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ، تَنَزّهُوا عَنِ الدُّنْيَا وَزَهِدُوا فِيمَا زَهَّدَهُمُ اللهُ –جَلَّ ثَنَاؤُهُ– فِيهِ مِنْهَا. وَأَبْغَضُوا مَا أَبْغَضَ، وَصَغَّرُوا مَا صَغَّرَ. ثُمَّ اقْتَصَّ[9] الصَّالِحُونَ آثَارَهُمْ، وَسَلَكُوا مَنَاهِجَهُمْ[10]، وَأَلْطَفُوا الفِكْرَ، وَانْتَفَعُوا بِالعِبَرِ. وَصَبَرُوا فِي هَذا العُمُرِ القَصِيرِ عَنْ مَتَاعِ الغُرُورِ الّذِي يَعُودُ إلى الفَنَاءِ. وَيَصيرُ إلى الحِسَابِ. نَظَرُوا بِعُقُولِهِمْ إلى آخِرِ الدُّنْيا، وَلَمْ يَنْظُرُوا إلى أوَّلِهَا. وَإلى بَاطِنِ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَنْظُرُوا إلى ظَاهِرِهَا. وَفَكَّرُوا فِي مَرَارَةِ عَاقِبَتِها؛ فَلَمْ تَسْتَهِزَّهُمْ[11] حَلاَوَةُ عَاجِلِها. ثُمّ أَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمُ الصَّبْرَ، وَأَنْزَلُوا الدُّنْيَا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَالمَيْتَةِ الَّتي لاَ يَحِلُّ لأَحَدٍ أنْ يَشْبَعَ مِنْهَا إلاَّ فِي حَالِ الضَّرُورَةِ إِلَيْهَا. وَأَكَلُوا مِنْهَا بِقَدْرِ ما أَبْقى لَهمُ النَّفَسَ، وَأَمْسَكَ الرُّوحَ، وَجَعَلُوهَا بِمَنْزِلَةِ الجِيفَةِ الَّتِي اشْتَدَّ نَتْنُهَا؛ فَكُلُّ مَنْ مَرَّ بِهَا أَمْسَكَ عَلى أَنْفِهِ مِنْهَا. فَهُمْ يَتَبَلَّغُونَ مِنْهَا بِأَدْنَى البَلاَغِ، وَلاَ يَنْتَهُونَ إلى الشِبَعِ مِنَ النَّتْنِ[12]. وَيَتَعَجَّبُونَ مِنَ المُمْتَلِىءِ مِنْهَا شِبْعاً، وَالرَّاضِي بِها نَصِيباً. إِخْوَانِي وَاللهِ، لَهِيَ فِي العَاقِبَةِ وَالآجِلَةِ لِمَنْ ناصَحَ نَفْسَهُ فِي النَّظَرِ، وَأَخْلصَ لَهُ الفِكرَ. أَنْتُنُ مِنَ الجِيفَةِ[13]، وَأَكْرَهُ مِنَ المَيْتَةِ. غَيْرَ أنّ الَّذِي نَشَأَ فِي

---

[1] زواها: صرفهم عنها، وأبعدها عن الافتتان بها.

[2] فتنة: اختبار.

[3] حماها موسى: منعها إيَّاه.

[4] صفاق: (الصِّفاق) جلد البطن.

[5] جهده: أتعبه وأرهقه. والجَهد: المشَقَّة.

[6] أُدمي: إدامي؛ وهو كلُّ ما يُؤكل به الخُبز.

[7] صِلائي: ما أستدفىء به.

[88] المسوح: جم مِسح (البلاس)؛ وهو ثوبٌ من الشّعر غليظ.

[9] اقتصَّ: تتبّع.

[10] مناهجهم: جمع (مِنْهاج) الطّريق الواضح.

[11] تستهزّهم: تحرّكهم إلى السُّرور بها، والارتياح لَها.

[12] النّتن: الرّائحة الكريهة.

[13] الجيفة: جُثّة المَيْت إذا أراح؛ والجمع جِيَف وأجياف.

This file was downloaded from QuranicThought.com

دِبَاغِ الإهَابِ[1]، لاَ يَجِدُ نَتْنَهُ، وَلاَ يُؤْذِيهِ مِنْ رَائِحتِهِ مَا يُؤْذِي المارَّ بِهِ، وَالْجالِسَ عِنْدَهُ. وَقَدْ يَكْفِي العاقِلَ مِنْ مَعْرِفَتِهَا عِلْمُهُ. فإنّ مَنْ مَاتَ وَخَلَّفَ سُلْطاناً عَظِيماً، سَرَّهُ أَنَّهُ عَاشَ فيهَا سُوقَةً[2] خامِلاً، أوْ كَانَ فِيهَا مُعَافىً سَلِيماً، سَرَّهُ أَنَّهُ كَانَ فِيهَا مُبْتَلىً ضَرِيراً. فَكَفى بِهَذَا عَلى عَوْرَاتِهَا، وَالرَّغْبَةِ عَنْهَا دَلِيلاً. وَاللهِ، لَوْ أنَّ الدُّنْيَا كَانَتْ، مَنْ أرَادَ مِنْهَا شَيْئاً وَجَدَهُ، حَيْثُ تَنَالُ يَدُهُ منْ غَيْرِ طَلَبٍ وَلاَ تَعَبٍ وَلاَ مَؤُنَةٍ وَلاَ نَصَبٍ وَلاَ ظَغِنٍ وَلاَ دَأَبٍ[3]، غَيْرَ أَنَّ مَا أَخَذَ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ؛ لَزِمَهُ حَقُّ اللهِ فِيهِ، وَالشُّكْرُ عَلَيْهِ، وَكَانَ مَسْؤُولاً عَنْهُ مُحَاسَباً عَلَيْهِ؛ لَكَانَ يَحِقُّ عَلى العَاقِلِ أَنْ لاَ يَتَناوَلَ مِنْها إلا قُوّتَهُ وَبُلْغَةَ يَوْمِهِ[4]، حَذَرَ السُّؤَالِ وَخَوْفاً مِنَ الحِسَابِ، وَإِشْفَاقاً مِنَ العَجْزِ[5] عَنِ الشُّكْرِ، فَكَيْفَ بِمَنْ تَجَشَّمَ[6] فِي طَلَبِهَا مِنْ خُضُوعِ رَقَبَتِهِ، وَوَضْعِ خَدِّهِ، وَفَرْطِ عَنائِهِ، وَالاغْتِرَابِ عَنْ أَحِبَّائِهِ، وَعَظِيمِ خِطارِهِ[7]، ثُمَّ لاَ يَدْرِي مَا آخِرُ ذَلِكَ الظَّفَرُ أَمِ الخَيْبَةُ؟! وَإِنَّمَا الدُّنْيَا ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ: يَوْمٌ مَضى بِمَا فيهِ فَلَيْسَ بِعَائِدٍ. وَيَوْمٌ أَنْتَ فِيهِ؛ فَحُقَّ[8] عَلَيْكَ اغْتِنَامُهُ. وَيَوْمٌ لا تَدْرِي أَمِنْ أَهْلِهِ، وَلَعَلَّكَ رَاحِلٌ فِيهِ؛ فأَمَّا غَدٌ فَإِنَّمَا فِي يديك منه الأَمَلُ، فَإِنْ يَكُنْ أَمْسِ سَبَقَكَ بِنَفْسِهِ، فَقَدْ أَبقى فِي يَدَيْكَ حِكْمَتَهُ، وَإِنْ يَكُنْ يَوْمُكَ هَذَا آنسَكَ بِمَقْدَمِهِ عَلَيْكَ، فَقَدْ كَانَ طَوِيلَ الْغَيبَةِ عَنْكَ، وَهُوَ سَرِيعُ الرِّحْلَةِ؛ فَتَزَوَّدْ مِنْهُ، وَأَحْسِنْ وَدَاعَهُ. جِدَّ[9] بِالثِقَةِ فِي العَمَلِ، وَإِيَّاكَ وَالاغْتِرارَ بالأَمَلِ. وَلاَ يُدْخِلْ عَلَيْكَ اليَوْمَ هَمَّ غَدٍ. يَكْفِي اليَوْمَ هَمُّهُ، وَغَدٌ دَاخِلٌ عَلَيْكَ بِشُغْلِهِ، إنَّكَ إنْ حَمَلْتَ عَلَى اليَوْمِ هَمَّ غَدٍ؛ زِدْتَ فِي حُزْنِكَ وَتَعَبِكَ، وَتَكَلَّفْتَ أنْ تَجْمَعَ فِي يَوْمِكَ مَا يَكْفِيكَ أَيَّاماً. فَعَظُمَ الحُزْنُ، وَزَادَ الشُّغْلُ، وَاشْتَدَّ التَّعَبُ، وَضَعُفَ العَمَلُ للأَمَلِ. وَلَوْ أَخْلَيْتَ قَلْبَكَ مِنَ الأَمَلِ لَجَدَّدَ لَكَ العَمَلَ. وَالأَمَلُ مِنْكَ فِي اليَوْمِ، قَدْ ضَرَّكَ فِي وَجْهَيْنِ: سَوَّفْتَ بِهِ العَمَلَ[10]، وَزِدتَ بِهِ فِي الهَمِّ وَالحَزَنِ. أَوَلاَ تَرَى أَنَّ الدُّنْيَا سَاعَةٌ بَيْنَ سَاعَتَيْنِ: سَاعَةٌ مَضَتْ، وَسَاعَةٌ بَقِيَتْ، وَسَاعَةٌ أَنْتَ فِيهَا. فَأَمَّا المَاضِيَةَ، وَالبَاقِيَةُ، فَلَسْتَ تَجِدُ لِرَخَائِهِما لَذَّةً، وَلاَ لِشِدَّتِهِمَا أَلَماً؛ فَأَنْزِلِ السَّاعَةَ المَاضِيَةَ، وَالسَّاعَةَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا مَنْزِلَةَ الضَّيْفَيْنِ نَزَلاَ بِكَ، فَظَعَنَ الرَّاحِلُ عَنْكَ بِذَمِّهِ إيَّاكَ، وَحَلَّ النَّازِلُ بِكَ بِالتَّجْرِبَةِ لكَ؛ فَإِحْسَانُكَ إِلَى الثَّاوِي[11] يَمْحُو إِسَاءَتَكَ إِلَى المَاضِي. فَأَدْرِكْ مَا أَضَعْتَ بِإِعْتَابِكَ[12] فِيمَا اسْتَقْبَلْتَ وَاحْذَرْ أَنْ تَجْمَعَ عَلَيكَ شَهَادَتَهُمَا فَيُوبِقاكَ[13]. وَلَوْ أَنَّ مَقْبُوراً منَ الأَمْوَاتِ قِيلَ لَهُ: الدُّنْيَا أَوَّلُهَا إِلَى آخِرِها تُخَلِّفُها لِوَلَدِكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكَ هَمٌّ غَيْرُهُمْ، أَوْ يَوْمٌ نَرُدُّهُ إِلَيْكَ فَتَعْمَلَ فِيهِ لِنَفْسِكَ؛ لاخْتَارَ

---

[1] الإهاب: الجلد الذي لم يُدبغ بعدُ؛ والمعنى –هنا– أنّ من شبّ في دباغه الإهاب يتعوّد احتمال رائحته أكثر من غيره.

[2] سُوقه: عامّة النّاس، يستوي فيه الواحد والجمع والمذكّر والمؤنّث.

[3] دأب: اجتهادٌ في عمل ما، ومداومةٌ عليه.

[4] بُلغة يومه: ما يتبلّغ به من العيش في يومه.

[5] إشفاقاً من العجز: تخوّفاً من العجز.

[6] تجشَّم في طلبها: تكلّف في طلبها.

[7] عظيم خِطاره: عظيم خطره.

[8] فحقّ عليك اغتنامه: اغتنام العمل الصّالح في غدك حقٌّ عليك.

[9] جِدّ: اجتهد في العمل، وثِقْ بنيل ثوابه.

[10] سوَّفت به العمل: أخَّرت به عملك.

[11] إحسانك إلى الثّاوي: (الثّاوي) المقيم؛ والمعنى –هنا– إحسانك في الوقت الذي أنت فيه، يمحو إساءتك التي كانت في السّاعة الماضية.

[12] بإعتابك: بإرضائك.

[13] يوبقاك: يهلكاك.

This file was downloaded from QuranicThought.com

يَوْماً يَسْتَعْتِبُ فِيهِ[1] مِنْ سَيِّىءِ مَا أَسْلَفَ عَلَى جَمِيعِ الدُّنْيا، يُوَرِّثُهَا وَلَدَهُ خَلْفَهُ، فَمَا يَمْنَعُكَ أَيُّهَا الْمُغْتَرُّ الْمُضْطَرُّ الْمُؤْتَنَفُ[2] أَنْ تَعْمَلَ عَلَى مَهَلٍ قَبْلَ حُلُولِ الأَجَلِ، وَما يَجْعَلُ الْمَقْبُورَ أَشَدَّ تَعْظِيماً لِمَا فِي يَدَيْكَ مِنْكَ؟! أَلاَ تَسْعى في تَحْرِيرِ رَقَبَتِكَ، وَفَكَاكِ رِقِّكَ، وَوِقاءِ نَفْسِكَ مِنَ النَّارِ الَّتِي عَلَيْها مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ؟!

وقالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ

أَيُّها النَّاسُ، انْظُرُوا إِلَى الدُّنْيا نَظَرَ الزَّاهِدينَ فِيهَا الْمَاقِتِينَ لَهَا. فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً[3] فَيَلْهُوَ[4]، وَلاَ أُمْهِلَ سُدىً[5] فَيَلْغُوَ[6]. وَمَا دُنْيَاهُ الَّتِي تَزِينُهُ بِخَلَفٍ مِنَ الآخِرَةِ الَّتِي قَبَّحَها سُوءُ النَّظَرِ إِلَيْهَا، وَمَا الخَسِيسُ الَّذِي ظَفِرَ بِهِ مِنَ الآخِرَةِ عَلَى سُهْمَتِهِ[7]، لاَ يَرْجِعُ بِمَا تَوَلَّى مِنْها فَأَدْبَرَ. وَلاَ يُدْرَي ما هُو آتٍ مِنْها فَيُنْتَظَر. فَاعْتَبِرُوا وَانْظُرُوا إِدْبارَ ما قَدْ أَدْبَرَ، وَحُضُورَ ما قَدْ حَضَرَ، فَكأَنَّ ما هُوَ كائِنٌ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ ما هُوَ آتٍ قَدْ نَزَلَ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ:

انْظُرُوا إِلَى الدُّنْيا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيها. فَإِنَّها وَاللهِ عنْ قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ[8] السَّاكِنَ. وَتَفْجَعُ الْمُتْرَفَ[9] الآمِنَ. لاَ يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى عَنْها فَأَدْبَرَ، وَلاَ يُدْرَي مَا هُوَ آتٍ مِنْها فَيُنْتَظَر. سُرُورُهَا مَشُوبٌ[10] بِالحَزَنِ[11]. وَآخِرُ الحَيَاةِ فِيهَا إِلى الضَّعْفِ وَالوَهَنِ[12]. فَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ مِنْهَا؛ لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا. رَحِمَ اللهُ عَبْداً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ. وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ إِدْبَارَ مَا قَدْ أَدْبَرَ، وَحُضُورَ مَا قَدْ حَضَرَ. وَكأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ؛ وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ لَمْ يَزَل؛ وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ:

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ –جَلَّ وَعَزَّ– وَاغْتِنَامِ مَا اسْتَطَعْتُمْ عَمَلاً بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللهِ –جَلَّ وَعَزَّ– فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الخَالِيَةِ لِجَلِيلِ مَا يُشْفِي عَلَيْكُمْ[13] بِهِ الفَوْتُ بَعْدَ المَوْتِ؛ وَبِالرَّفْضِ لِهذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ تَكُونُوا تُحِبُّونَ تَرْكَهَا. وَالْمُبْلِيَةِ لَكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا[14]. فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَرَكْبٍ سَلَكُوا سبِيلاً، فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ. وَأَمُّوا[1] عَلَمَاً[2]

---

[1] يستعتب فيه: يطلب فيه الرِّضي والمسامحة.

[2] المؤتنف: المبدئ بأكلٍ، من شيء ما ، قبل أن يأكل منه غيره.

[3] الماقين: المُبغضين.

[4] عبثاً: لَعِباً.

[5] يلهو: يلعب.

[6] سُدَى: مُهملاً.

[7] يلغو: يتكلَّم بما لا فائدةَ فيه؛ وهو محاسَبٌ عليه.

[8] سُهمته: نصيبه.

[9] الثَّاوي: المقيم.

[10] مشوب: مُختلط.

[11] الحَزَن: الحُزْن، والحَزَن: ضدّ السّرور.

[12] الوَهَن: الضَّعف.

[13] يُشفي عليكم: يشرف ويطَّلع عليكم.

[14] تجديدها: الاستزادة منها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

فَكَأَنْ قَدْ بَلَغُوهُ. وَكَمْ عَسى الجارِي إِلى الغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ حَتَّى يَبْلُغَهَا؟ وَكَمْ عَسى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لاَ يَعْدُوهُ[3]؟ وَمِنْ وَرَائِهِ طَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا. فَلاَ تَتَنَافَسُوا فِي الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلاَ تُعْجَبُوا بِزِينَتِهَا، وَلاَ تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا فَإِنَّ عِزَّ الدُّنْيَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ. وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلى زَوَالٍ. وَإِنَّ ضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ[4]. وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلى مُنْتَهىً. وكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلى فَنَاءٍ. أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الأَوَّلِينَ، وَفِي آبَائِكُمُ المَاضِينَ مُعْتَبَرٌ وَتَبْصِرَةٌ إِنْ كُنْتُمْ تعْقِلُونَ؟ أَلَمْ تَرَوْا إِلى المَاضِينَ مِنْكُمْ لاَ يَرْجِعُونَ؟ وَإِلى الخَلَفِ الباقِي مِنْكُمْ لاَ يَبْقُونَ؟ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ وَحَرَامٌ[5] عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء:95) الآيَةَ والَّتِي بَعْدَهَا. وَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (آل عمران:185). أَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُمْسُونَ وَيُصْبِحُونَ عَلى أَحْوَالٍ شَتَّى؟ مَيِّتٌ يُبْكَي، وَآخَرُ يُعَزَّى، وَصَرِيعٌ[6] مُبْتَلى، وَعَائِدٌ يَعُودُ[7]، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ[8]، وَطَالِبٌ وَالمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ. وَعَلى أَثَرِ المَاضِي مِنَّا يَمْضِي الْبَاقِي. فَلِلَّهِ الحَمْدُ رَبِّ السَّمواتِ السَّبْعِ وَرَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ الَّذِي يَبْقى وَيَفْنى مَا سِوَاهُ، وَإِلَيْهِ مَوْئِلُ الحَقِّ وَمَرْجِعُ الأُمُورِ.

وَقَالَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ؛ حُفَّتْ[9] بالشَّهَوَاتِ، وَرَاعَتْ بِالْقَلِيلِ[10]، وَتَحَجَّبَتْ بالعَاجِلَةِ. وَغُمِّرَتْ بالآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ. فَلا تَدُومُ حَبْرَتُها[11]. وَلاَ تُؤْمَنُ فَجَائِعُهَا[12]؛ غَدَّارَةٌ، ضَرَّارَةٌ، خَاتِلَةٌ[13]، زَائِلَةٌ، نَافِذَةٌ، بَائِدَةٌ[14]، أَكَّالَةٌ، غَوَّالَةٌ. لاَ تَعْدُو[15] إِذَا هِيَ تَنَاهَتْ إِلى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فيهَا، وَالرِّضى بِهَا، أَن تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ (الكهف:45) مَعَ أَنَّ امْرَأً لَمْ يَكُنْ فِيهَا فِي حَبْرَةٍ[16]، إِلاّ أَعْقَبَتْهُ مِنْهَا بَعْدُ بِعَبْرَةٍ[17]. وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَّائِهَا

---

[1] أمّوا: قصدوا.

[2] علماً: (العَلَم) العلامة، والحَبَل.

[3] لا يعدوه: لا يتجاوزه.

[4] نفاد: انتهاء.

[5] حَرَامٌ: (حرام) هنا بمعنى واجب.

[6] صريع: طريح.

[7] عائد يعود: العائد –هنا– مَنْ يزور الإنسان في مرضه؛ فهو من العيادة، لا من العود.

[8] بنفسه يجود: قارب أن يموت.

[9] حُفّت: أحيطت بالشُّهوات، وزُيّنت بها.

[10] راعت بالقليل: أعجبت بالقليل.

[11] حبرتها: سرورها.

[12] فجائعها: جمع فجيعة؛ وهي النّازلة أو المصيبة العظيمة.

[13] خاتلة: خادِعة.

[14] بائدة: هالكة.

[15] لا تعدو: لا تتجاوز.

[16] حَبرة: سرور.

[17] عَبرة: (العبرة) دمعة العين قبل أن تسيل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

بَطْناً، إلاَّ أَعْقَبَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً. وَلَمْ تَطُلَّهُ[1] فِيهَا دِيمَةُ[2] رَخَاءٍ، إلاَّ هَتَنَتْ[3] عَلَيْهِ مِنْهَا مُزْنَةُ بَلاَءٍ وَحَرِيٌّ[4] إذَا أَصْبَحَتْ لَكَ مُهْتَزَّةً[5] أَنْ تُمْسِيَ لَكَ مُتَنَكِّرَةً[6]. وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ لامْرِىءٍ وَاحْلَوْلَى، أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَأَ[7]. وَإِنْ لبِسَ إِنْسَانٌ مِنْ غَضَارَتِهَا[8] رَغَباً، أَرْهَقَتْهُ مِنْ بَوَائِقِهَا[9] تَعَباً. وَلَمْ يُمْسِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ، إلاَّ أَصْبَحَ فِي جَوْفِ خَوْفٍ. غَرَّارَةٌ غَرُورٌ مَا فِيهَا، فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا. لاَ خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ زَادِهَا إلاّ التَّقْوى. مَن أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ[10]. وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا، لَمْ تَدُمْ لَهُ، وَزَالَتْ عَنْهُ. كَمْ منْ وَاثِقٍ بِهَا فَجَعَتْهُ، وَذِي طُمَأنِينَةٍ إِلَيْهَا صَرَعَتْهُ[11]، وَذِي خُدَعٍ فِيهَا قَدْ خَدَعَتْهُ، وَكَمْ مِنْ ذِي أُبَّهَةٍ[12] فِيهَا قَدْ صَيَّرَتْهُ حَقِيراً، وَذِي نَخْوَةٍ[13] فِيها قَدْ رَدَّتْهُ خَائِفاً فَقِيراً، وَكَمْ مِنْ ذِي تَاجٍ، قَدْ أَكَبَّتْهُ لِلْيَدَينِ وَلِلْفَمِ؟!. سُلْطانُها دُوَلٌ، وَعَيْشُها رَنَقٌ[14]، وَعذْبُها أَجَاجٌ[15]، وَحُلْوُها صَبِرٌ[16]، وَغِذَاؤُها سِمَامٌ، وَأَسْبابُها رِمَامٌ[17]، وَقِطافُها سَلَعٌ[18]؛ حيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ. وَصَحيحُهَا بِعَرَضِ سَقَمٍ، وَمَنِيعُهَا بِعَرَضِ اهْتِضَامٍ؛ وَمُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَضَيْفُهَا مَنْكُوبٌ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ[19]. مَعَ أنّ وَرَاءَ ذَلِكَ سَكَرَاتِ المَوْتِ وَزَفَرَاتِهِ، وَهَوْلَ المُطَّلَعِ[20]، وَالْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَي الحَكَم ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ (النجم:31). أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؟! كَانُوا أَطْوَلَ مِنْكُمْ أعْماراً، وَأَبْقَى آثاراً، وَأَعَدَّ مِنْكُمْ عَدِيداً[21]، وَأَكْثَفَ مِنْكُمْ جُنُوداً، وَأَشدَّ مِنْكُمْ عُنُوداً[22]؛ تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيا أيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أيَّ إيثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِالصَّغَارِ[23]. فَهَلْ بَلَغَكُمْ أنّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفدْيَةٍ؟ أَوْعَدَتْ[1] عَنْهُمْ فِيمَا قَدْ أَهْلَكَتْهُمْ بِهِ بِخَطْبٍ؟ بَلْ أَوْهَمَتْهُمْ

---

[1] لم تطلّه: لم تقطر عليه.

[2] ديمة: (الدِّيمة) المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق.

[3] هتنت: انصبَّت؛ أمرهو فوق الهَطْل؛ أو الضَّعيف الدّائم؛ أو مطر ساعة ثم يفتر ثم يعود؛ والمقصود –هنا– الأوَّل.

[4] حريّ: حقيق.

[5] مهتزّة: مرتاحة إليك، مقبلة عليك.

[6] متنكّرة: متغيّرة، معرضة عنك.

[7] أوبأ فأمراض: من (الوباء) المرض العام.

[8] غضارتها: نعمتها وسعتها.

[9] بوائقها: غوائلها، وشرّها.

[10] يوبقه: يلكه.

[11] صرعته: طرحته على الأرض .

[12] أُبّهة: عظمة وكبر.

[13] النَّخوة: الافتخار والعظمة.

[14] رَنَق: متكدِّر.

[15] أجاج: الماء الملح المرِّ.

[16] صَبِر: دواء مُرّ.

[17] أسبابها رمام: حبالها بالية متقطّعة.

[18] قِطَافُها سَلَع: (القطاف) وقت قطاف الثّمار. و(السلع) شجر مُرّ. يعني أنَّ كلَّ ما احلولى من الدّنيا يجده العامل الزّاهد فيها مرّاً.

[19] جارها محروب: جارها مسلوب ماله.

[20] هول المطّلع: (المطّلع) موضع الاطّلاع؛ والمراد –هنا– موضع الاطّلاع على أهوال الآخرة.

[21] أعدَّ منكم عديداً: أكثر منكم عدداً.

[22] عنوداً: عِناداً.

[23] آثراها: فضّلوها واختاروها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

بالْقَوارِعِ[2]، وَضَعْضَعَتْهُمْ[3] بالنَّوائِبِ[4]، وَعَفَرَتْهُمْ بَالْمَناحِرِ[5]، وَأعانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ المَنُونَ[6]. فقدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا[7]، وَآثَرَهَا[8]، وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا[9] حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ أَبَدٍ، أَوْ إلى آخِرِ زَوَالٍ. هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلاَّ الشَّعْبَ[10]، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلاَّ إلى الضَّنْكِ[11]، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلاّ الظُّلْمَة، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلاّ النَّارَ؟ أَفَهذِهِ تُؤْثِرُونَ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطمَئِنُّونَ؟! يَقُولُ اللهُ عزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (هود:15-16) فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا[12]. وَلَمْ يَكُنْ فيها عَلى وَجَلٍ مِنْها. اذْكُرُوا عِنْدَ تَصَرُّفِها بِكُمْ، سُرْعَةَ انْقِضائِهَا عَنْكُمْ، وَوَشْكَ زَوَالِهَا[13]، وَضَعْفَ مَجالِها. أَلَمْ تَحْذُكُمْ[14] عَلى مِثَالِ مَنْ كان قَبْلَكُمْ؟! وَحَذَتْ مَنْ قَبْلَكُمْ عَلى مِثَالِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمُ؟! جيلٌ بَعْدَ جيلٍ، وَأُمَّةٌ بَعْدَ أُمَّةٍ، وَقَرْنٌ بَعْدَ قَرْنٍ، وَخَلَفٌ بَعْدَ خَلَفٍ. فَلاَ هِيَ تَسْتَحْيِي مِن العارِ، وَلاَ تَبْتَهِي مِنَ المُنْدِبَاتِ[15]، وَلاَ تَحْجَلُ مِنَ الغَدْرِ. اعْلَمُوا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ تارِكُوها لاَ بُدَّ. وَإِنَّما هِيَ كَما نَعَتَ[16] اللهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ (الحديد:20). فَاتَّعِظُوا فِيها بالَّذِينَ كانُوا يَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ[17] آيَةً يَعْبَثُونَ[18]. وَيَتَّخِذُونَ مَصانِعَ[19] لَعَلَّهُمْ يَخْلُدونَ[20]؛ وَبالَّذِين قالُوا مَن أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً. وَاتَّعِظُوا بِمَنْ رَأَيْتُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ. كَيْفَ حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ، لاَ يُدْعَونَ رُكْبَاناً، وَأُنزِلُوا لاَ يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ[21] أَجْنَاناً[22]، وَمِنَ التُّرَابِ أَكفَاناً، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَاناً[1]؛ فَهُمْ جِيرَةٌ لاَ يُجِيبُون دَاعِياً، وَلاَ يَمْنَعُونَ ضَيماً، وَلاَ يَنَالُونَ مَنْدَبَةً،

---

[1] الصَّغار: الذّلّ.

[2] عَدَت: تجاوزت.

[3] القوارع: جمع قارعة؛ وهي الدّاهية المفاجئة.

[4] ضعضعتهم : أخضعتهم وأذلّتهم.

[5] النّوائب: جمع (نائبة) المصيبة والنّازلة.

[6] المناحر: (المناحر) جمع (مَنْحَر) وهو موضع النّحر من الحلْقَ.

[7] ريب المنون: خطب الموت ومصيبته.

[8] دان لها: ذلّ لها وخضع.

[9] أخلد إليها: سكن إليها، واطمأنّ بها.

[10] الشَّعْبَ: تهييج الشَّرِّ؛ وهي بتسكين العين، اختلفوا في فتحها.

[11] الضَّنك: التّعب، والضّيق في كلّ شيء، يقال للذّكر والأنثى.

[12] لم يتّهمها: لم يتّهمْها بما تخيّله له من زخارفها.

[13] وشك زوالها: قُرْبُ انقضائها.

[14] ألم تحذكم: أمل تقدّركم على مثالهم، وتفعل كم ما فعلت بهم.

[15] المُندبات: المؤلمات الموجعات.

[16] نعت: وصف.

[17] رِيع: مرتفع من الأرض، وقيل: الجبل.

[18] يعبثون: يلعبون.

[19] مصانع: حصون.

[20] يخلدون: يدوم لهم البقاء في الدّنيا؛ والمقصود: عادٌ قوم هود عليه السّلام؛ حيث غرّهم قُوَّتهم؛ فقالوا: من أشدُّ منّا قوّة؛ لأنّهم كانوا من أشدّ النّاس قُوَّةً في ذلك العصر.

[21] الضَّريح: القبر؛ أو الشّقّ وسطه، والبعيد.

[22] أجناناً: جمع جَنَن؛ وهو القبر.

This file was downloaded from QuranicThought.com

مَنْدَبَةً، وَلاَ يَعْرِفُونَ سَيِّئًا، وَلاَ حَسَنًا، وَلاَ يَشْهَدُونَ زَوراً[2]. إِنْ جيدُوا[3] لَمْ يَفْرَحُوا[4]، وَإِن قُحِطُوا[5] لَمْ يَقْنطُوا[6]. جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ، وَجيرَةٌ وَهُمَ أَبْعَادٌ، وَمُنْتَادُون[7] لاَ يَتَزاوَرونَ وَلاَ يَزُورُونَ. حُلَمَاءُ قَدْ بَادَتْ أَضْغَانُهُمْ[8]، جُهلاَءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَحْقَادُهُمْ؛ لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ، وَلاَ يُرْجى دَفْعُهُمْ، وَهُمْ كَمَنْ لَمْ يَكُنْ؛ وَكَمَا قال جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص:58) إِنَّ الدُّنْيَا وَهَلٌ[9] مَطْلَبُها، رَنَقٌ[10] مَشْرَبُها، رَدغٌ مَشْرَعُها[11]. غُرُورٌ مَائِلٌ[12]، وَوَشِيجٌ قَاتِلٌ[13]، وَسِنَادٌ مَائِلٌ[14]. يُونِقُ مُطْرَفُهَا[15]، وَيُعْجِبُ مُوْنِقُهَا[16]، وَتُرْدِى مُسْتَزِيدَها، وَتَصْرَعُ مُسْتَفِيدَها؛ بِإِنْفَادِ لَذَّتِهَا، وَمُوبِقَاتِ شَهْوَتِهَا[17]، وَأَسْرِ نَافِرِها. قَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا، وَقَصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا؛ فَنَاثِلٌ لِهَنَاتِهَا[18]، وَتُعَلِّلُ بِهبَاتِها[19] لَيالِيَ عُمُرِهِ، وَأَيَّامَ حَيَاتِهِ. قَدْ عَلِقَتْهُ وِهاقُ المَنِيَّةِ[20]، فَأَرْدَتْهُ بِمَرَائِرِها، قَائِدَةً لَهُ بِحُتُوفِهَا إِلَى ضَنْكِ المَضْجَعِ[21]، وَوَحْشَةِ المَرْجِعِ، وَمُجَاوَرَةِ الأَمْوَاتِ، وَمُعَايَنَةِ المَحَلِّ، وَثَوابِ العَمَلِ. ثُمَّ ضُرِبَ عَلى آذانِهِم فَيْنَاتِ الدُّهُورِ[22]؛ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ قَدِ ارْتُهِنَتْ الرِّقابُ؛ بِسَالِفِ الاكْتِسَابِ، وَأُحْصِيَتِ الآثَارُ لِفَصْلِ الخِطَابِ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾(طه:111).

---

[1] الرُّفات: فتات العظام الذي في القبر.

[2] زَوَرَاً: ميلاً.

[3] جيدوا: أصيبوا بالجَود؛ وهو المطر الغزير؛ كناية عن الإيسار.

[4] لم يفرحوا: لم يفرحوا فرح بطر؛ لأنّهم يعلمون أنَّ الدّنيا لا تدوم لهم.

[5] قُحِطوا: أصابهم القحط.

[6] يلم يقنطوا: لم ييأسوا.

[7] منتادون: مجتمعون في ناديهم أو مجلسهم.

[8] أضغانهم: أحقادهم.

[9] وَهَل: ضعف وفزع.

[10] رَنَق: (الرَّنق) الماء المكدَّر.

[11] ردغ مشرعها: ردغ كَكَتِفْ مكان كثير الرّدغة؛ وهي الماء والطّين والوحل الشديد. والمشرع: مورد الشاربة.

[12] غرور مائل: (المائل) القائم المنتَصب؛ أي لا يزال غرورها ماثلاً أمام أعين أبنائها.

[13] وشيج قاتل: (الوشيج) شجر الرّماح.

[14] سِناد مائل: (السِّناد) المعاضدة والمؤازرة؛ والمقصود: أنّ الدّنيا لا يركن إليها، ولا يُستند عليها.

[15] يونق مُطرفها: (يُونق) يعجب. والمُطرَف: رداء الخزّ مربّع فيه أعلام.

[16] يعجب مُونقها: (المونق) الشّيء الحسن.

[17] موبقات شهوتها: مهلكات شهوتها.

[18] فناثل لِهَنَاتها: ناشِرة دواهِيها؛ أي لم تزل الدّنيا تخرج كلّ مدفون من دواهيها، وتُوقِظُ من قتنها كلّ نائم.

[19] تعلّل بهباتها: تعطي قليلاً من عطاياها، كما يُعلّل الطّفل بيسير كي يستغني به عن اللّين عند الفطام.

[20] علقته وِهاق المنية: تعلّقت به حِبال المنون (المنيّة).

[21] ضَنك المضجع: ضيق المضجع.

[22] فينات الدّهور: (فينات) جمع فينة؛ وهي السّاعة والحين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الباب الثَّالث

فيما رُوِيَ عنه –كَرَّم الله وَجْهَهُ– مِنَ المَوَاعِظَ

فَمن ذِلكَ قولُهُ كَرَّم الله وَجْهَهُ:

إِنَّكُمْ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِساراً[1]، وَمُضَمَّنُونَ أَجْداثاً[2]، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً، وَمَبْعُوثونَ أَفْرَاداً، وَمَدِينُونَ حِسَاباً. فَرَحِمَ الله عَبْداً اقْتَرَفَ[3] فَاعْتَرَفَ، وَوَجِلَ فَعَمِلَ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ، وَعُمِّرَ فَاعْتَبَرَ، وَحُذِّرَ فازْدَجَرَ[4]، وَأَجَابَ فَأَنَابَ وَرَاجَ فَتَابَ، وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى[5]، فَبَاحَثَ طَلَباً، وَنَجَا هَرَباً، وَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وَأَطَابَ سَرِيرَةً، وَتأَهَّبَ لِلْمَعَادِ[6]، وَاسْتَظْهَرَ بِالزَّادِ[7]، لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، وَوَجْهِ سَبِيلِهِ، وَحَالِ حَاجَتِهِ، وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ، فَقَدَّمَ أَمَامَهُ، لِدَارِ مُقَامِهِ. فَمَهِّدُوا لأَنْفُسكُمْ فِي سَلاَمَةِ الأَبْدَانِ، فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلَ غَضَارَةِ الشَّبَابِ[8] إِلاَّ حَوَانِيَ الهَرَمِ، وَأَهْلُ بَضَاضَةِ[9] الصِّحَّةِ إِلاّ نَوَازِلَ السَّقَمِ، وَأَهْلُ مُدَّةِ البَقَاءِ، إِلاّ مُفَاجأَةَ الفَنَاءِ، وَاقْتِرَابَ الفَوْتِ، وَدُنُوَّ المَوْتِ، وَأَزَفَ الانْتِقَالِ[10] وَإِشْفَاءَ الزَّوَالِ[11]، وَحَفْزَ الأَنِينِ[12]، وَرَشْحَ الجَبِينِ، وَامْتِدادَ العِرْنِينِ[13]، وَعَلزَ القَلقِ[14]، وَفَيْظَ الرَّمَقِ، وَأَلَمَ المَضَضِ[15]، وَغَصَصَ الجَرَضِ[16]؟ اعْلَمُوا عِبَادَ الله أَنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضى، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً، وأَشَدَّ مِنْكُم بَطْشاً، وأَعْمَرَ دِيَاراً، وَأَبْعَدَ آثَاراً. فأَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً خَامِدَةً مِنْ بَعْدِ طُولِ تَقَلُّبِهَا، وأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً[17]، وَاسْتَبْدَلُوا بِالقُصُورِ المشَيدَةِ، وَالسُّرُرِ والنَّمَارِقِ[18] المُمَهَّدَةِ، الصُّخورَ وَالأَحْجَارَ المُسَنَّدَةَ فِي القُبورِ اللاَّطِيةِ[19] المُلْحَدَةِ الَّتِي قَدْ بَيَّنَ الخَرَابُ فَنَاءَها، وَشَيَّدَ التُّرَابُ بِنَاءَهَا؛ فَحَمْلُهَا مُقتربٌ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَربٌ؛ بَيْنَ

---

[1] اقتساراً: إكراهاً

[2] أجداثا: جمع جَدَث؛ وهو القبر.

[3] اقترف: اكتسب.

[4] ازدجر: ارتدع.

[5] احتذى: اتَّبع غيره في الصَّلاح، واقتدى به.

[6] تأهَّب للمعاد: استعدَّ للآخرة.

[7] استظهر بالزَّاد: استعان به؛ والمراد بالزَّاد –هنا– التّقوى.

[8] غَضَارَةِ الشَّبَاب: نعمة الشّباب وسعته.

[9] بضاضة الصِّحَّة: منتهى العافية والقوّة.

[10] أزف الانتقال: إشراف الزّوال.

[11] إشفاء الزّوال: إشراف الزّوال.

[12] حفز الأنين: (الحفز) الدّفع من الخلف، و(الأنين) التأوّه؛ والمراد: شِدَّة التّوجّع.

[13] امتداد: العِرنين: (العرنين) الأنف.

[14] عَلَزَ القلق: (العلز) قلق وخِفّة وهلع يصيب المريض، فيمنعُه النّوم.

[15] ألم المضض: وجع المصيبة والمرض.

[16] غَصص الجَرَضْ: (غَصص)جمع غصَّة، و(الجرض) الرِّيق؛ فالمراد بغصص الجرض: الغصّة بالرّيق.

[17] آثارهم عافية: آثارهم دارسة.

[18] النَّمارق: جمع نمرقة؛ وهي الوِسَادة التي يُتّكأ عليها.

[19] اللاَّطية: الملتصقة بالأرض.

This file was downloaded from QuranicThought.com

أَهْلِ عِمَارَةٍ مُوحِشينَ، وَأَهْلِ مَحَلَّةٍ مُتَشَاغِلِينَ. لاَ يَسْأَنِسُونَ بِالعُمْرَانِ، وَلاَ يَتَوَاصَلُونَ كَتَوَاصُلِ الجِيرَانِ وَالإِخْوَانِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الجِوَارِ وَدُنُوِّ الدَّارِ وَكَيْفَ يَكونُ بَيْنَهُمْ تَوَاصُلٌ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ[1] البِلَى فَأَكَلَهُمُ الجَنَادِلُ[2] وَالثَّرَى؛ فَأَصْبَحُوا بَعْدَ الحَيَاةِ أَمْوَاتاً، وَبَعْدَ غَضَارَةِ العَيْشِ[3] رُفَاتاً. فُجِعَ بِهِمِ الأَحْبَابُ، وَسَكَنوا التُّرَابَ، وَظَعَنوا فَلَيْسَ لَهُمْ إِيَابٌ. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون: 100) وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى ما صَارُوا إِلَيْهِ منَ البِلَى، وَالوَحْدَةِ فِي دَارِ الموْتَى. وارْتُهِنْتُمْ في ذلِكَ المَضْجَعِ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ المُسْتَوْدَعُ. فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ قَدْ تَنَاهَتِ الأُمورُ وَبُعثِرَت القُبورُ[4]، وَحُصِّلَ مَا في الصُّدُورِ، وَوُفِقْتُم لِلتِّحْصِيلِ بَيْنَ يَدَي المَلِكِ الجَلِيلِ؟ فَطَارَتِ القُلُوبُ، لإِشْفَاقِهَا[5] مِنْ سَالفِ الذُّنُوب. وَهُتِكَتْ عَنْكُمُ الحُجُبُ وَالأَسْتَارُ. وَظَهَرَتْ مِنْكُمُ العُيُوبُ وَالأَسْرَارُ. هُنَالِكَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ[6]. إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ (النجم:31)، اغْتَنِمُوا أَيَّام الصِّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ، وَالشَّبِيبَةَ قَبْلَ الهَرَمِ، وَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ النَّدَمِ. وَلاَ تَحْمِلَنَّكُمُ المُهْلَةُ عَلَى طُولِ الغَفْلَةِ؛ فإِنَّ الأَجَلَ يَهْدِمُ الأَمَلَ. وَالأَيَّامُ مُوَكَّلَةٌ بِتَنْقِيصِ المُدَّةِ وَتَفْرِيقِ الأَحِبَّةِ. فَبَادِرُوا – رَحِمَكُمُ اللهُ – بِالتَّوْبَةِ، قَبْلَ حُضُورِ النَّوْبَةِ[7]. وَبَرِّزُوا لِلْغَيْبَةِ[8] الَّتِي لاَ تُنْتَظَرُ مَعَهَا الأَوْبَةُ[9]. وَاسْتَعِينُوا عَلَى بُعْدِ المِسَافَةِ بِطُولِ المَخَافَةِ. فَكَمْ مِنْ غَافِلٍ وَثِقَ بِغَفْلَتِهِ، وَتَعَلَّلَ بِمُهْلَتِهِ؛ فَأَمَّلَ بَعِيداً، وَبَنَى مَشِيداً[10]، فَنُقِصَ بِقُرْبِ أَجَلِهِ بُعْدُ أَمَلِهِ. وَفَاجَأَتْهُ مَنِيَّتُهُ بِانْقِطَاعِ أُمْنِيَّتِهِ. فَصَارَ بَعْدَ العزّ وَالمَنَعَةِ[11] وَالشَّرَفِ وَالرِّفْعَةِ مُرْتَهَناً بِمُوبِقَاتِ[12] عَمَلِهِ! قَدْ غَابَ فَمَا رَجَعَ، وَنَدِمَ فَمَا انْتَفَعَ، وَشَقِيَ بِمَا جَمَعَ في يَوْمِهِ، وَسعِدَ بِهِ غَيْرُهُ في غَدِهِ، وَبَقِيَ مُرْتَهَناً بِكَسْبِ يَدِهِ، ذَاهِلاً[13] عَنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، لاَ يُغْنِي عَنْهُ ما تَرَكَ فَتِيلاً[14]، وَلاَ يَجِدُ إِلَى مَنَاصٍ[15] سَبِيلاً. فَعلاَمَ[16] عِبَادَ اللهِ المُنْعَرَجُ والدَّلَجُ[17]؟ وَإِلى أَيْنَ المَفَرُّ وَالمَهْرَبُ؟ وَهذَا المَوْتُ فِي الطِّلَبِ يَخْتَرِمُ الأَوَّلَ فَالأَوَّل؛ لاَ يَتَحَنَّنُ عَلَى ضَعِيفٍ، ولاَ يُعَرِّجُ[18] عَلَى شَرِيفٍ.

---

[1] كلكله: صدره.

[2] الجَنَادِلُ: جمع جَنْدَل: الحَجْر.

[3] غضارة العيش: نعمة العيش وسَعَته.

[4] بُعثرت القبور: قُلب ترابُها، وبُعِث موتاها.

[5] لإشفاقها: لحذرها وخوفها.

[6] أسلفت: قدّمت.

[7] النَّوبة: النَّائبة التي تصيب الإنسان؛ والمراد –هنا– المنية.

[8] الغيبة: المراد –هنا– الغيبة عن الدّنيا.

[9] الأوبة: الرّجوع إلى الدّنيا.

[10] مشيداً: المراد –هنا– بنى قصراً مشيداً.

[11] المَنعة: التّمكّن والتّحصّن من الضّيم والهوان.

[12] موبقات: مهلكات.

[13] ذَاهِلاً عَنْ أَهْلِهِ: مشغولاً عن أهله، غافلاً عنهم، منتاسياً لهم

[14] فتيلاً: شقُّ النّواة، والمراد أنّ جميع ما تركه لا يغني عنه شيئاً.

[15] مناص: فرار.

[16] علاَم: على أي شيء؟.

[17] المُنْعَرَجُ والدَّلَجُ: (المنعرج) المنعطف أو منحنى الوادي يمنه ويسرة و(الدّلج) السّير من أوّل اللّيل.

[18] ولا يعرِّج: لا يعطف ولا يميل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

والجَدِيدَانِ[1] يَحُثَّانِ الأَجَلَ[2] تَحْثِيثاً، وَيَسُوقَانِهِ سَوْقاً حَثِيثاً[3]. وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ فَقَرِيبٌ؛ وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ العَجَبُ العَجِيبُ. فَأَعِدُّوا الجَوَابَ لِيَوْمِ الحِسَابِ، وَأَكْثِرُوا الزَّادَ لِيَومِ المَعَادِ. عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ، وَأَعانَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى ما يُقَرِّبُ إِلَيْه، وَيُزْلِفُ لَدَيْهِ[4]؛ فَإِنَّمَا نَحْنَ وَلَهُ. إِنَّ اللهَ وَقَّتَ لَكُمُ الآجَالَ، وَضَرَبَ لَكُمُ الأَمْثَالَ، وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ[5]، وَأَرْفَعَ[6] لَكُمُ المَعَاشَ؛ وَآثَرَكُمْ بالنِّعَمِ السَّوَابِغِ[7]، وَتَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْحُجَجِ البَوَالِغِ، وَأَوْسَعَ لَكُمْ فِي الرِّفْدِ الرَّافِعِ[8]. فَشَمِّرُوا، فَقَدْ أَحَاطَ بِكُمُ الإِحْصَاءُ، وَارْتُهِنَ لَكُمُ الجَزَاءُ. القُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لاَهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا[9]، كَأَنَّ المَعْنِيَّ سِوَاهَا. اتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيدَا، وَجَدَّ تَشْمِيرَا. وَانْكَمَشَ[10] فِي مَهَلٍ، وَأَشْفَقَ[11] فِي وَجَلٍ[12]، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ المَوْئِلِ[13] وَعَاقِبَةِ الصَّبْرِ، وَمَغَبَّةِ[14] المَرْجِعِ. وَكَفَى بِاللهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً، وَكَفَى بالجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالاً[15]، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَنَكَالاً[16]. وَكَفَى بِكِتَابِ اللهِ حَجِيجَاً وَخَصِيماً. رَحِمَ اللهُ عَبْداً اسْتَشْعَرَ الحَزَنَ، وَتَجَلْبَبَ الخَوْفَ[17]، وَأَضْمَرَ اليَقِينَ، وَعَرِيَ مِنَ الشَّكِّ فِي تَوَهُّمِ الزَّوَالِ؛ فَهُوَ مِنْهُ عَلَى بَالٍ؛ فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الهُدَى فِي قَلْبِهِ، وَقَرَّبَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ البَعِيدَ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ؛ فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ العَمَى، وَمُشَارَكَةِ المَوْتَى، وَصارَ مِنْ مَفَاتِيحِ الهُدَى، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى. وَاسْتَفْتَحَ بِمَا فَتَحَ بِهِ العَالِمُ أَبْوَابَهُ، وَخَاضَ بِحَارَهُ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ[18]، وَوَضَحَتْ لَهُ سُبُلُهُ وَمَنَارُهُ، وَاسْتَمْسَكَ مِنَ العُرَى بِأَوْثَقِهَا، وَاسْتَعْصَمَ مِنَ الجِبَالِ بِأَمْتَنِهَا[19]. كَشَّافُ غَمَرَاتِ[20]، فَتَّاحُ مُبْهَمَاتٍ[21] دَافِعُ مُعْضِلاَتٍ[22]. دَلِيلُ مُضِلاَّتٍ[1] لاَ يَدَعُ لِلْخَيْرِ مَطلباً إِلاَّ أَمَّهُ[2]. وَلاَ مَظِنَّةً إِلاَّ قَصَدَهَا[3].

---

[1] الجديدان: اللّيل والنّهار.

[2] يحثّان الأجل: يحضّانه على أن ينقضي بسرعة.

[3] حثيثاً: سَريعاً.

[4] يزلف لديه: يقرّب عنده.

[5] الرِّياش: اللّباس الفاخر، ويكون –أيضاً– في المال والخِصب والمعاش.

[6] أرفعَ: أوسع.

[7] السّوابغ: الكاملة الوافية.

[8] الرِّفد الرَّافع: العطاء الواسع.

[9] مضمارها: (المضمار) المكان الذي تُضمر فيه الخيل للسّباق؛ والمراد –هنا– سالكة في غير مسارها.

[10] انكمش: أسرع.

[11] أشفق: حَذِر.

[12] وجل: خوف.

[13] كَرَّة الموئل: الكرَّة: الرجوع، والموئل: الملجأ.

[14] مغبّة المرجع: عاقبة المرجع.

[15] نوالاً: عطاءً.

[16] نكالاً: مصيبة وعبرة.

[17] تجلبب الخوف: جعله لباساً له.

[18] قطع غِماره: خاض غماره؛ والغمار: الماء الكثير.

[19] بأمينها: بأقواها.

[20] كشّاف غمرات: (كشّاف) صيغة مبالغة من كاشف؛ و (غمرات) جمع غَمْرَة وهي الشِّدَّة.

[21] فتّاح مُبْهَمَات: (المُبْهَم) المغلق من الإبواب.

[22] دافع مُبْهِمَاتٍ: دافع الشّدائد.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

[1] دليل مضِلاّت: مُضِلاّت جمع مُضِلّة؛ وهي الأرض التي يضِلّ السَّائر فيها.

[2] أمَّه: قصده.

[3] مَظِنَّةً: مَوضِعاً يظنّ فيه الخير.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الباب الرابع

فيما رُويَ عنه – كرَّم الله وَجهَهُ – مِنْ وَصَايَاهُ وَنَواهِيهِ

أَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيكَ. أَنْصِفْ مِنْ نَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ يُنْتَصَف[1] مِنْكَ. اطْلُب فإِنَّهُ يَأْتِيكَ مَا قُسِمَ لَكَ. سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ قَعُودُهُ[2] بَادِرِ الفُرْصَةَ[3]، قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً[4]. أَدِّبْ نَفسَكَ بِمَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ. أَصْلِحْ مَثْوَاكَ. وَأَتْبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ لِنْ لِمَنْ خَالَطَكَ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ. اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ. أَحِبَّ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ. وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا. اسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ، مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ. خُذِ الفَضل، وَأَحْسِنِ البَذْلَ، وَقُلْ للنَّاسِ حُسْنَاً. دَعْ عَنْكَ أَظُنُّ وَأَحْسِبُ وَأَرَى. دَعِ القَوْلَ فِيمَا لاَ تَعْرِفُ، وَالخِطَابَ فِيمَا لاَ تُكَلَّفُ. ارْضَ مِنَ النَّاسِ لكَ، مَا تَرْضَى لَهُمْ بِهِ مِنْكَ. أَلْحِحْ[5] بالْمَسألةِ تُفْتَحْ لَكَ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ. أَنْفِقْ فِي حَقٍّ وَلا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ. أَخِرِّ الشَرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَه: احْتَمِلْ أَخَاكَ[6] عَلَى مَا فِيهِ. اسْتَعْتِبْ مَنْ رَجَوْتَ إِعْتَابَهُ. أَطِعْ أَخَاكَ وإِنْ عَصَاكَ. وَصِلْهُ وَإِنْ جَفَاكَ[7]. اِقْبَلْ عُذْرَ مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ. خَفِ اللهَ فِي سِرِّكَ، يَكْفِكَ مَا يَضُرُّكَ. ذَكِّ قَلْبَكَ بالأَدَبِ، كَمَا تُذَكَّي النَّارُ بالحَطَبِ[8]. تَبَاعَدْ مِنَ السُّلْطَانِ، وَلاَ تَأْمَنْ مِنْ خُدَعِ الشَّيْطَانِ. تَخَيَّرْ لِنفْسِكَ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ أَحْسَنَهُ، فَإِنَّ الخَيْرَ عَادَةٌ. اقْطَعْ عَنْكَ دَابِرَاتِ الهُمُومِ[9] بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ. أَقِمِ الحُدُودَ فِي القَرِيبِ، يَجْتَنِبْهَا البَعِيدُ. قَارِنْ[10] أَهْلَ الخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَاين أَهْلَ الشَّرِّ[11] تَبِنْ عَنْهُمْ. امْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ[12]؛ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً. سَاعِدِ أَخَاكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَزُلْ[13] مَعَهُ حَيْثُ زَالَ. خُضِ الغَمَرَاتِ[14] إِلَى الحَقِّ. كُنْ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى قُلْعَةٍ. عَوِّدْ نَفْسَكَ السَّمَاحَ[15]. تَخَيَّرْ لِوِرْدِكَ[16]. اقْبَلِ العَفْوَ مِنَ النَّاسِ. احْذَرِ التَّلَوُّنَ[17] فِي الدِّينِ. عَظِّمْ مَنْ يُكْرِمُكَ. اعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ. أَكْرِمْ مَنْ أَهَانَكَ. أَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ

---

[1] ينصف منك: يستوفي حقَّه كاملاً منك.

[2] مَا ذَلَّ قعوده: ما انقادت مطيّة، والمعنى: در مع الدّهر كيفما دار، ولا تكلّف الأيّام ما ليس من عادتها، تسلم من كيد الزّمان.

[3] بادر الفرصة: سارع إلى انتهاز الفُرصة.

[4] غُصّةَ: حُزناً وشّجيّ، وما اعترض في الحلق فجعل صاحبه يشرَق بما فيه.

[5] ألحح بالمسألة: ألحف وأدام المسألة.

[6] احتمل أخاك: تسامح مع أخيك، وتجاوز عن هفواته، واقبله على ما فيه من عيوب.

[7] جفاك: قطعك وابتعد عنك.

[8] تُذكّى بالحطب: توقد بالحطب؛ أي: إذا حلّ الأدب في القلب، زاده حذّة ونشاطاً.

[9] دابرات الهموم: عواقب الهموم.

[10] قارن أهل الخير: صاحب أهل الخير.

[11] باين أهل الشّرّ: قاطع أهل الشّرِّ.

[12] امحض أخاك النّصيحة: أخلِصْ لأخيك النّصيحة.

[13] زُلْ معه حيث زال: اذهب مع حيث ذهب.

[14] خص الغمرات: خص الشّدّات والأمور العظيمة.

[15] السّماح: الجود والتّساهل في الأمور والمسامحة.

[16] وِردك: الجزء من القرآن أو الأدعية والأذكار التي يتعوّدها المؤمن في خلوته، وبعد الصّلاة.

[17] احذر التّلون في الدّين: تجنَّب.

This file was downloaded from QuranicThought.com

إلَيكَ. وَكَافِىءْ مَنْ أحْسَنَ إلَيكَ ادْعُ لِمَنْ أعْطَاكَ. اشْكُرِ اللهَ عَلَى مَا أوْلاكَ، وَاحْمَدْهُ عَلَى مَا أبلاكَ. أجْمِلْ[1]. لِمَنْ أدَلَّ عَلَيكَ[2] وَاقْبَلْ عُذْرَ مَنِ اعْتَذَرَ إلَيكَ. خُذِ العَفْوَ مِنَ النَّاس. وَلاَ تَبْلُغْ مِنْ أحَدٍ ما تَكْرَهُهُ. تَعَفَّفْ عَنْ أمْوَالِ النَّاسِ وَاسْتَشْعِرْ مِنْهَا اليأْسَ. غَلِّسْ بالفَجْرِ[3]، تَلْقَ اللهَ –تَعَالَى–أبْيَضَ الوَجْهِ. تَفَقَّهْ في الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى المَكْرُوهِ أَخْلِصْ في المَسْأَلةِ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِهِ العَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ. أَلْجِىءْ[4] نَفْسَكَ في الأُمُورِ كُلِّها إِلَى إلهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُها إلى كَهْفٍ حَرِيزٍ[5] وَمانِعٍ عزيزٍ[6]. اغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ[7] في حَالِ غِنَاكَ؛ وَاجْعَلْ قَضَاءَكَ في يَوْمِ عُسْرَتِك. خُذْ مِنَ الدُّنْيا مَا أَتَاكَ. وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى[8] عَنْكَ؛ فَإِنْ أنْتَ لَمْ تَفْعَلْ. فَأَجْمِلْ في الطَّلَبِ. أكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيئَةٍ، وَإِنْ سَاقَتْكَ إلى الرَّغَبِ[9]؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتاضَ[10] بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً. اعْرِفِ الحَقَّ لِمَنْ عَرَفَهُ لَكَ؛ رَفِيعاً كانَ، أوْ وَضِيعاً. اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ اليَقِينِ. أَحْسِنِ العَفْوَ، فَإِنَّ العَفْوَ مَعَ العَذْلِ[11]، أشَدُّ مِنَ الضَّرْبِ، لِمَنْ كانَ لَهُ عَقْلٌ. اسْتَعِنْ باللهِ – جَلَّ وَعَزَّ – عَلى أمْرِكَ. فَإِنَّهُ أَكْفى مُعِينٍ. ابْذُلْ لِصَدِيقِكَ كُلَّ المَوَدَّةِ، وَلاَ تَبْذُلْ لَهُ الطُّمَأْنِينَةَ[12]، وَأَعْطِهِ كُلَّ المُوَاسَاةِ[13]، وَلاَ تُفْضِ[14] إلَيْهِ بِكُلِّ الأَسْرَارِ. احْذَرْ دَمْعَةَ المُؤْمِنِ[15] في السَّحَرِ؛ فإِنَّها تَقْصِفُ مَنْ دَمَّعَهَا، وَتُطْفِىءُ بُحُورَ النِّيرَانِ عَمَّنْ دَعَا بِهَا. ارْفُقْ بالبَهَائِمِ، وَلاَ تُوقِفْ عَلَيْهَا أحْمالَهَا. وَلاَ تُسْقَ بِلُحْمِهَا[16]. وَلاَ تُحَمِّلْ فَوْقَ طَاقَتِها. أَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إذَا خِفْتَ ضَلاَلَةً[17]؛ فَإِنَّ الكَفَّ عِنْدَ حَيرَةِ الظَّلاَلِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوَالِ[18]. مُرْ بالمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أهْلِهِ. وَأَنْكِرِ المُنْكَرَ بِلِسانِكَ وَيَدِكَ، وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ[19] بِجُهْدِكَ. ابْذِلْ لِصَدِيقِكَ مالَكَ، وَلِمَعْرِفَتِكَ[20]، مَعُونَتَكَ، وَلِلعَامَّةِ التَّحِيَّةَ وَالسَّلاَمَ. اِحْمِلْ نَفْسَكَ[21] عَنْ أخِيكَ عِنْدَ صُرْمِهِ[1] عَلَى لُطْفِ المسألة، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى

---

[1] أجمل: ارْفَقْ.

[2] أدلّ عليك: انبسط بك، ووثق بمحبتك.

[3] غلّس بالفجر: (الغَلس): ظلمة آخر اللّيل؛ والمراد –هنا– أن يصلّي في وقت الغَلس، ولا يؤخرَها إلى انكشاف الظّلام.

[4] ألجىء نفسك: لذ بنفسك، وأسند أمرك إلى الله تعالى.

[5] حريز: حصين.

[6] مانع عزيز: قويّ عزيز حام.

[7] اغتنم مَن استقرضك: اغتنم ثواب من طلب من القرض.

[8] تولّ عمّا تولّى: أعرِض عن الذي أعرض عنك منها.

[9] الرَّغَب: الأمر المرغوب فيه، والعطاء الكثير.

[10] تعتاض: تتعوّض.

[11] العذل: اللّوم.

[12] الطّمأنينة: السُّكون.

[13] أعطه كل المواساة: أنله من مالك، واجعله فيه أسوة.

[14] لا تُفضِ إليه بكلّ الأسرار: لا تُنْبِئهُ بكلّ الأسرار.

[15] احذر دمعة المؤمن: تجنَّب هضم حقّ المؤمن، أو ظلمه؛ فإنه إن بكى ودعا استجاب الله دعاءه.

[16] لُحْمها: جمع (لجام) وهو ما يُشْبِهُ الرَّسن.

[17] خفت ضلالة: خفت ضياعاً وتيهاً وعدم اهتداء.

[18] الأهوال: جمع (هَول) وهو الفَزَع، والمخافة من الأمر لا يدري ما هجم عليه منه.

[19] بابن مَن فعله: فارقه، واهجره.

[20] لمعرفتك: لمن يعرفك.

[21] احمل نفسك عن أخيك: لا تقطع أخاك.

This file was downloaded from QuranicThought.com

البَذْل، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوّ. وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّين، وَعِنْدَ تَجَرِّيهِ عَلَى الأَعْذَار، حَتَّى كَأَنَّكَ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ. لِتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَعْنِيكَ، مِمَّا يَبْقى عليكَ جَمَالُهُ، وَلاَ يَبْقَى عَلَيكَ وَبَالُهُ. لاَ مَالاَ يبْقَى لَكَ، وَلاَ تَبْقَى لَهْ؛ فَإِنَّهُ يُوشِكُ[2] أنْ تَرَى عَاقِبَةَ أَمْرِكَ؛ مُحْسِناً أوْ مُسِيئاً، أوْ يَعْفُوَ العَفُوُّ الكَرِيمُ.

نوعٌ منها

لاَ تَخُنْ مَنْ ائْتَمَنَكَ وَإِنْ خَانَكَ. لاَ تُذِعْ سِرَّ مَنْ أَذَاعَ سِرَّكَ. لاَ تَصْرِمْ أَخَاكَ عَلى ارْتِيَاب[3]. وَلاَ تَقْطَعْهُ دُونَ الاسْتِعْتَاب[4]. لاَ تَيْأَسَنَّ مِنَ الذَّنْب، وَبَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ. لاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أنْ تُظْلَمَ. لاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ؛ بَلْ لا تَقُلْ كُلَّ مَا عَلِمْتَ. لاَ تُكْثِر العَتْبَ في غَيْرِ ذَنْب. لاَ تُضَيِّعِ الفَرَائِضَ، وَتَّتكِلَ عَلَى النَّوَافِلِ[5]. لاَ تَعْمَلْ بِالخَدِيعَةِ، فإِنَّهَا خُلُقٌ لَئِيمٌ. لاَ تَدَعْ أنْ تَنْصَحَ أَهْلَكَ؛ فَإِنَّكَ عَنْهُمْ مَسْؤولٌ. لاَ تكُنْ كَحَاطِبِ اللَّيْلِ[6] وَغُثَاءِ السَّيْلِ. لاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً. لاَ تُكْثِرِ العِتَابَ؛ فإِنَّهُ يُورِثُ الضَّغِينَةَ، وَيُحَرِّكُ البِغْضَةَ. لاَ تَقْضِ وَأَنْتَ غَضْبَانُ وَلاَ مِنَ النَّوْمِ سَكْرَانُ. لاَ تُحْضِرْ مَجْلِسَكَ مَنْ لاَ يُشْبِهُكَ. لاَ تُهِنْ مَنْ يُكْرِمُكَ. لاَ تُعَوِّدْ نَفْسَكَ الضَّحِكَ. فَإِنَّهُ يَذْهَبُ بِالْبَهاءِ، وَيُجَرِّىءُ الخُصُومَ عَلَى الاعْتِدَاءِ. لاَ تَتَوَلَّ أَهْلَ السَّخَطِ[7]، وَلاَ تُسْخِطْ أَهْلَ الرِّضَا. لا تُشَاقِق مُؤمِناً فَتُلْحَ كمَا يُلْحَى القَضِيبُ مِنْ لِحَائِهِ[8].

وَلاَ تَأْخُذِ النَّاسَ بِالإِحَنِ[9]، فَلَيْسَ أَخُو الدِّينِ ذَا إِحَنٍ. لاَ تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً، فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ. لاَ تَسْتَرِيبَنَّ[10] بِثِقَةٍ رَجَاء. لاَ تَطْلُبَنَّ مُجَازَاةَ أَخِيكَ، وَإِنْ حَثَا التُّرابَ[11] بِفِيكَ. لاَ تُضَيِّعَنَّ حقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ[12]، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ. لاَ تكُونَنَّ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقْوى مِنكَ عَلى الإِحْسَانِ. وَلاَ عَلى البُخْلِ أَقْوَى مِنْكَ عَلى البَذْلِ. وَلاَ عَلى التَّقْصِيرِ أَقْوَى مِنْكَ عَلى الفَضْلِ. لاَ تَكُونَنَّ مِمَّنْ لاَ يَنْتَفِعُ مِنَ العِظَةِ إلاَّ بِمَا لَزِمَهُ، فَآلَمَهُ، فَإِنَّ العَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالأَدَبِ[13]، وَالبَهَائِمَ لاَ تَتَّعِظُ إلاَّ بالضَّرْب. لاَ تَكُونَنَّ كَمَنْ يَعْجزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ. وَيَبْتَغِي الزِّيادَةَ فِيمَا بَقِيَ. لاَ تَكْفُرَنَّ ذَا نِعْمَةٍ؛ فَإِنَّ كُفْرَ[14] النِّعْمَةِ مِنْ أَلْأَمِ الْكُفْرِ. لاَ يَغْلِبَنَّ عَلَيكَ سُوءُ الظَّنِّ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَدَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَلِيلِكَ صُلْحاً. لاَ يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى النَّاسِ بِكَ. وَلاَ تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ فِيكَ. لاَ يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى على قَطِيعَتِكَ

---

[1] صُرمه: قطعه مودّتك.

[2] يوشك أن ترى: يقارب أن ترى، قريباً ما ترى.

[3] على ارتياب: على شكّ.

[4] الاسْتِعْتَاب: طلب الإعتاب.

[5] النّوافل: السُّنن الزّائدة على الفريضة.

[6] حاطب اللّيل: الذي يحتطب ليلاً ولا يميّز بين جيِّد الحطب ورديئه.

[7] السَّخَط: الغضب.

[8] يُلحى القضيب من لحائه: يجرّد الغصن من قشرة؛ لا تُعَادِ المؤمن؛ فتلام وتشتم، وتُصْبحَ كالعود المجرّد من قشره.

[9] الإِحَنْ: جمع (إحْنَة) الحقد والغضب.

[10] لا تستريبنَّ: لا تَشُكَّنَّ.

[11] حَثَا التُّراب: رمى التّراب، وأهاله.

[12] على ما بينك وبينه: أي على ما بينكما من صادق المودَّة.

[13] يتّعِظ بالأدب: يسترشد ويرعوي بمجرّد سماع الموعظة، وليس بحاجة إلى التّهديد والزّجر.

[14] كُفْر النّعمة: جَحْد النّعمة ونكرانها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

مِنْكَ على صِلَتِهِ. لاَ يَكْبُرْ عَلَيكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمكَ؛ فَإِنَّهُ إِنّمَا يَسْعى في مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ[1]. لاَ يَكُونُ الصِّدِيقُ صَدِيقاً، حَتَّى يَحفَظَ صَدِيقَهُ فِي غَيْبِهِ، وَيَحْفَظَهُ عِنْدَ نَكْبَتِهِ[2]، وَيَحْفَظَهُ بَعْدَ وَفاتِهِ في مُخَلَّفِيهِ[3]، وَتَرِكَتِهِ. لاَ يُقْنِطَنَّكَ[4] إِنْ أَبْطأَتْ عَلَيكَ الإِجَابَةُ، فإِنَّ العَطِيَّةَ[5] عَلى قَدْرِ المَسأَلَةِ. لاَ يُعْدِمَنَّكَ[6] مِنْ شَفِيقٍ سُوءُ ظَنٍّ. لاَ يُزَهِّدَنَّكَ فِي المَعْرُوفِ كُفْرُ مَنْ كَفَرَ[7]، فَقَدْ يَشكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْتَمْتِعْ مِنْهُ بِشَيْءٍ. لاَ تُمَارِ[8] سَفِيهاً[9]، وَلاَ فَقِيهاً؛ أَمَّا الفَقِيهُ فَتُحْرِمُ خَيْرَهُ، وَأَمَّا السَّفِيهُ فَيُحْزِنُكَ شَرُّهُ.

نَمَطٌ منهُ

إِيَّاكَ أَنْ تَجْمَعَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ[10]. إِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ[11] مَطَايَا الطَّمَعِ. إِيَّاكَ أَنْ تَعْتَذِرَ مِنْ ذَنْبٍ تَجِدُ إِلى تَرْكِهِ سَبِيلاً، فَإِنّ أَحْسَنَ حَالِكَ فِي الاعْتِذَارِ، أَنْ تَبْلُغَ مَنْزِلَةَ السَّلاَمَةِ مِنَ الذُّنُوبِ. إِيَّاكَ والْمَلاَلَةَ[12] فَإِنَّهَا مِنَ السُّخْفِ[13] وَالنَّذَالَةِ. إِيَّاكَ وَالاتِّكَالَ عَلى المُنى، فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّكوى[14]، وَتُثَبِّطُ[15] عَنِ الآخِرَةِ وَالدُّنْيَا. إِيَّاكَ وَالوُقُوفَ عَمَّا عَرَفْتَهُ، فَإِنَّ كُلَّ نَاظِرٍ مَسْؤُولٌ عَنْ عَمَلِهِ وَقَوْلِهِ وَإِرَادَتِهِ. إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الأَحْمَقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَن يَنْفَعَكَ، فَيَضُرَّكَ. إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الكَذَّابِ، فَإِنَّهُ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ البَعِيدَ، وَيُبَعِّدُ عَلَيْكَ القَرِيبَ. إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ البَخِيلِ، فَإِنَّهُ يَقْعُدُ بِكَ[16] عِنْدَ أَحْوَجِ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ. إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الفَاجِرِ، فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ فِي نَفَاقٍ[17]. إِيَّاكَ وَمُقَارَنَةَ مَنْ رَهِبْتُهُ[18] عَلَى دِينِكَ وَعِرْضِكَ. إِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، فَإِنَ رَأْيَهُنَّ إِلى أَفَنٍ[19] وَعَزْمَهُنَّ إِلى وَهَنٍ[20]. إِيَّاكَ وَقَبُولَ تُحَفِ[21] الخُصُومِ. إِيَّاكُمْ وَكُفْرَ النِّعَمِ؛ فَتَحُلَّ بِكُمُ النِّقَمُ.

---

[1] يسعى في مضرّته ونفعك: يسعى في مضرّة نفسه؛ لأنه يستوجب العقاب لها على ظلمه إيّاك؛ ويسعى في نفعك بما تأخذه من حسناته يوم القيامة.

[2] نكبته: مصيبته.

[3] مخلّفيه: من يُخلّفهم وراءه من الورثة والأولاد والعيال.

[4] لا يُقنطَنَّك: لا يُيئِسَنَّك.

[5] العطيَّة: العطاء.

[6] لا يُعْدِمَنَّكَ: لا يَمنعَّك.

[7] كفَرَ: جَحَد.

[8] لا تُمار: لا تجادل.

[9] سفيهاً: طائشاً.

[10] اللَّجاج: التّمادي في الخصومة.

[11] توجف بك: تسير بك.

[12] إيّاك والملالة: احذر السَّآمة.

[13] السُّخف: الطَّيش ورقَّة العقل.

[14] بضائع النَّوكى: أموال أهل الحماقة.

[15] تثبّط عن الآخرة: تشغل عن الدُّنيا والآخرة، وتقعد بالإنسان عن طلبها، وتمنعه عنها.

[16] فإنه يقعد بك: المراد –هنا– أنّه يتخلّى عنك.

[17] نَفاق: في رواج؛ ورُوي التّاجر بدل الفاجر؛ وهو بعيد لأنّه ليس كل تاجر غدّار كما هو معلوم.

[18] رهبته: خفته.

[19] أَفَن: ضعف الرّأي والعقل.

[20] وَهَن: صعف وعجز.

[21] تُحَف الخصوم: ما يُتحفك به حصومك.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

نوعٌ منه

لاَ تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، وَيَرْجُو التَّوْبَةَ بِطُولِ الأَمَلِ، وَيَقُولُ فِي الدُّنْيَا قَوْلَ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلَ الرَّاغِبِينَ؛ إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَع، وإِنْ مُنِعَ مِنْهَا، لَمْ يَقْنَعْ؛ يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ، وَيَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ، وَيَنْهَى وَلاَ يَنْتَهِي، وَيَأْمُرُ بِمَا لاَ يَأْتِي؛ يُحِبُّ الصَّالِحِينَ، وَلاَ يَعْمَلُ بِعَمَلِهِمْ، وَيُبْغِضُ الطَّالِحِينَ[1] وَهُوَ مِنْهُمْ، وَيَكْرَهُ المَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، وَيُقِيمُ[2] عَلى مَا يَكْرَهُ المَوْتَ لَهُ. إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً، وَإِنْ صَحَّ قَامَ لاَهِياً[3]؛ يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ، وَيَقْنَطُ[4] إِذَا ابْتُلِيَ؛ تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلى مَا يَظُنُّ، ولا يَغْلِبُهَا عَلى مَا يَسْتَيقِنُ؛ لا يَثِقُ مِنَ الرِّزْقِ بِمَا ضُمِنَ لَهُ؛ وَلاَ يَعْمَلُ مِنَ العَمَلِ بِما فُرِضَ عَلَيْهِ؛ إِنْ اسْتَغْنَى بَطِرَ[5]، وَإِنِ افْتَقَر، قَنِطَ وَوَهَنَ[6]؛ فَهُوَ مِن الذَّنْبِ وَالنِّعْمَةِ مُوقَرٌ[7]؛ يَبْتَغِي الزِّيَادَةَ وَلاَ يَشْكُرُ؛ يَتَكَلَّفُ مِنَ النَّاسِ مَا لَمْ يُؤْمَرْ؛ وَيُضَيِّعُ مِنْ نَفْسِهِ مَا هُوَ أَكْثَرُ؛ يُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ، وَيُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ؛ يَخشى الموْتَ، وَلاَ يُبَادِرُ الفَوْتَ؛ يَسْتَكْثِرُ[8] مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحقِرُهُ مِنْ غَيْرِهِ[9]؛ وَهُوَ عَلى النَّاسِ طَاعِنٌ[10]، وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ[11]، وَلَلَّغْوُ مَعَ الأَغْنِيَاءِ، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الفُقَرَاءِ. يَحْكُمُ عَلى غَيرِهِ لِنَفْسِهِ، وَلاَ يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ[12]؛ وَهُوَ يُطَاعُ وَيَعْصِي، وَيَسْتَوفِي وَلاَ يُوفِي[13].

أَخْبَرَنَا أَبُو مُحمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمنِ بنُ عُمَرَ، المُعَدَّلُ قالَ: أَخْبَرَنا أَبُو الطَّاهِرِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الغَنِيِّ قالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو طَالِب الخَشَّابُ قال: أخبرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ بنُ يَزِيدَ قالَ: أَخْبَرَنا أَحْمَدُ بنُ مُحمَّدٍ البُغْدَادِيُّ قالَ: يُرْوَى عن الحَسنِ بنِ عليّ بنِ أَبِي طَالِب –رضي الله عليهما– قالَ: أَوْصاني أبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثلاثِينَ خَصْلَةً. قالَ، يا بُنَيّ[14]: إِنْ أَنْتَ عَمِلْتَ بِهَا في الدُّنْيا، سَلَّمَكَ اللهُ مِنَ شَرِّ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ. قالَ، قُلْتُ: وَما هِيَ يا أَبَهْ[15]؟ فَقَالَ: احْذَرْ مَنْ الأُمُورِ ثَلاثاً، وَخَفْ مِنْ ثَلاثٍ، وَارْجُ ثَلاثاً، وَوَافِقْ ثَلاثاً، وَاسْتَحْيِ مِنْ ثَلاثٍ؛ وَافْزَعْ إِلى ثَلاثٍ[16]، وَشُحَّ[17] عَلى ثَلاثٍ، وَتَخلَّصْ إِلى ثَلاثٍ، وَاهْرُبْ مِنْ ثَلاثٍ، وَجَانِبْ ثَلاثاً؛ يَجْمَعُ اللهُ لَكَ بِذلِكِ حُسْنَ السِّيرَةِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَة. فَأَمَّا الَّتِي

---

[1] الطّالحين: عكس الصّالحين.

[2] يقيم على ما يكره الموت له: يدوم على المعاصي التي يكره الموت من أجلها؛ لأنّه سيحاسب عليها.

[3] قام لاهيا: صار لاهياً ناسياً واجباته وما افترضه الله عليه.

[44] يقنط: يَيأسُ وَيَتَشَاءَمُ إذا اختبر، وأصيب بمصيبة ما.

[5] بَطِر: (بطر النّعمة) كفرها.

[6] قنط، وَهَنَ: يئس، وضعف.

[7] مُقر: مُثقل.

[8] يستكثر من معصية غيره: يستكثر المعاصي التي تبدر من الآخرين.

[9] يستكثر من طاعته ما يستقلّه من غيره: يستكثر عمله، وإن كان قليلاً في الطّاعة، ويستقلّ أعمال غيره.

[10] على النّاس طاعِن: مُعيب وفادح.

[11] لنفسه مُداهن: غاشٌ ومصانع لها.

[12] لا يحكم عليها لغيره: لا ينتصف منها لغيره من النّاس.

[13] لا يوفي: لا يؤدّي ما عليه من حقّ.

[14] بُنَيّ: تصغير (ابن)؛ وهي –هنا– تصغير تحبُّب.

[15] يا أَبَهْ: المقصود يا أبي؛ يا أبتَ؛ ويا أبتاهُ، ويا أباهُ؛ وهي جميعا بمعنى يا ابي.

[16] افزع إلى ثلاث: التجئ إلى ثلاث، وتحصَّن بهنّ.

[17] شُحَّ علة ثلاث: ابخل على ثلاث.

This file was downloaded from QuranicThought.com

أَمَرْتُكَ أَنْ تَخْدَرَهَا، فَاحْذَرِ الكِبْرَ، وَالغَضَبَ، والطَّمَعَ؛ فَأَمَّا الكِبْرُ، فَإِنَّهُ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الأَشْرَارِ؛ والْكِبْرِيَاءُ[1] رِداءُ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– وَمَنْ أَسْكَنَ اللهُ قَلْبَهُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ أَوْرَدَهُ النَّارَ. وَالغَضَبُ يُسَفِّهُ الْحَلِيمَ، ويُطِيشُ العالِمَ، ويُفْقِدُ مَعَهُ العَقْلُ، وَيظْهَرُ مَعَهُ الجَهْلُ. والطَّمَعُ فَخٌّ مِنْ فِخاخِ إِبْلِيس، وَشَرَكٌ[2] مِنْ عَظِيم احْتِبَالِهِ، يَصِيدُ بِهِ العُلَماءَ، والعقَّلاء، وأَهْلَ المَعْرِفَةِ، وَذَوِي البَصائِرِ[3]. قُلْتُ صَدَقْتَ يَا أَبَه؛ فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ: خَفْ ثَلاثًا. قالَ: نَعَمْ يَا بُنَيّ، خَفِ اللَّهَ، وَخَفْ مَنْ لاَ يَخَافُ اللَّهُ، وَخَفْ لِسَانَكَ[4]، فَإِنَّهُ عَدُوُّكَ عَلَى دِينِكَ، يُؤْمِنُكَ[5] اللَّهُ جَمِيعَ مَا خِفْتَهُ. قَالَ: صَدَقْتَ يَا أَبَهْ، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ، وَارْجُ[6] ثَلاثًا. قَالَ: يَا بُنَيّ، ارْجُ عَفْوَ اللَّهِ عَنْ ذُنُوبِكَ، وَارْجُ مَحَاسِنَ عَمَلِكَ، وَارْجُ شَفَاعَةَ نَبِيّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ. قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا أَبَهْ، فأخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ: وافِقْ ثَلاثًا قَالَ: نَعَمْ. وافِقْ كِتَابَ اللَّهِ، ووافِقْ سُنَّةَ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَوَافِقْ مَا يُوَافِقُ الْحَقَّ، والْكِتَابَ. قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا أَبَهْ، فَأَخْبِرْنِي عَن قَوْلِكَ: استَحِي مِنْ ثَلاثٍ. قَالَ: نَعَمْ يَا بُنَيّ، اسْتَحِي مِنْ مُطالَعةِ اللهِ إِيَّاكَ، وَأَنْتَ، مُقِيمٌ عَلَى مَا يَكْرَهُ. وَاسْتَحِي مِنَ الْحَفَظَةِ الكِرَامِ الكاتِبِينَ. وَاسْتَحِي مِنْ صَالِحِ الْمُؤمِنِينَ. قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا أَبَهْ، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ: افْزَعْ[7] إِلى ثلاثٍ. قالَ: نَعَمْ افْزَعْ إِلى اللهِ فِي مُلِمَّاتِ أُمُورِكَ[8] وَافْزَعْ إِلَى التَّوْبَةِ فِي مَسَاوِي عَمَلِكَ[9]، وَافْزَعْ إِلى أَهلِ العِلْمِ، وَأَهْلِ الأَدَبِ. قلْتُ: صَدَقْتَ يا أَبَهْ، فَأَخْبِرنِي عَنْ قَوْلِكَ: شُحَّ عَلَى ثَلاثٍ. قالَ: نَعَمْ. شُحَّ عَلَى عُمُرِكَ أَنْ تُفْنِيَهُ مِمَّا هُوَ عَلَيْكَ لاَ لَكَ، وَلاَ عَلَيْكَ. قُلْتُ: صَدقْتَ يَا أَبَهْ، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ: تَخَلَّصْ إِلى ثَلاثٍ. قالَ: نَعَمْ. يَا بُنَيَّ، تَخَلَّصْ إِلَى مَعْرِفَتِكَ نَفْسَكَ، وَإِظْهَارِ عُيُوبِهَا، وَمَقْتِكَ إِيَّاها، وَتَخَلَّصْ إِلَى تَقْوَى اللهِ، ثُمَّ تَخَلَّصْ إِلَى إِخْمَالِ نَفْسِكَ[10]، وَإِخْفَاءِ ذِكْرِكَ. قُلْتُ: صَدَقْتَ يا أَبَهْ، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِكَ، وَاهْرُبْ مِنْ ثَلاثٍ. قَالَ: نَعَمْ يَا بُنَيَّ، اهْرُبْ منَ الكَذِبِ، وَاهْرُبْ مِنَ الظّالِمِ، وإِنْ كانَ وَلَدَكَ أَوْ وَالِدَكَ، واهْرُبْ مِنْ مَوَاطِنِ الامْتِحانِ الَّتِي يُحْتَاجُ فِيها إِلى صَبْرِكَ. قُلْتُ: صَدَقْتَ يا أَبَهْ، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قُوْلِكَ: جَانِبْ ثلاثًا. قالَ: نَعَمْ. يا بُنَيَّ، جانِبْ هَوَاكَ، وَأَهْلَ الأَهْوَاءِ، وجانِبِ الشَّرَّ، وأَهْلَ الشَّرِّ، وجانِبِ الحَمْقَى؛ وإِنْ كَانُوا مُتَقَرِّبِينَ، أَوْ مَشْيَخَةً[11] مُخْتَصّينَ والسَّلاَمُ.

أَخْبَرَنِي مُحمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ التُسْتَرِيّ إِجَازَةً؛ قال: أَخْبَرَنا أَبُو الفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنَ مُحمَّدٍ، الكَوْكَبِيُّ الأَدِيبُ؛ قال: حِدَّثَنَا سُلَيْمانُ بنُ أَحمَدَ بْنِ أَيُّوبَ، قال: حَدَّثَنا مُحمَّدٍ بْنُ عُثْمانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ؛ قَالَ: حَدَّثَنا ضِرَارُ ابْنُ صُرَدٍ؛ قالَ: حَدَّثَنا عاصِمُ بْنُ حُمَيْدٍ؛ قال: حَدَّثَنا ثابتُ بْنُ أبي صَفيَّةَ أبو حَمْزَةَ الثُّمالِيُّ، عَنْ عَبْدِ

---

[1] الكبرياء: العظمة؛ وهي من الصّفات التي خصّ الله –تعالى– بها نفسه، فلا يتّصف بها غيره؛ لأنّها من خصوصيّاته تبارك وتعالى.

[2] شَرَك: فخّ الصَّيّاد، شبك الصَّيَّاد.

[3] ذوي البصائر: ذوي العقول النَّيِّرة.

[4] خف لسانك: احذر عثرات لسانك، ولا تتعجّل بالكلام، فتصبح أسيره وعبده.

[5] يؤمنك جميع خفته: إن خفت ما سبق ذكره، تأمن من عقوبة ما يترتّب على فعله وارتكابه يوم القيامة.

[6] ارج ثلاثًا: أمّل ثلاثًا، وأرِدْهنّ.

[7] افزع: التجئ إلى.

[8] ملمّات أمورك: أمورك المهمّة.

[9] مساوي عملك: مساوئ عملك.

[10] إخمال نفسك: اقعد بها عن حبّ الافتخار والتّعاظم؛ والمراد: التّواضع وعدم التّكبُّر.

[11] مشيخة: شيوخاً في العم.

This file was downloaded from QuranicThought.com

الرَّحْمنِ بنِ جُنْدَبٍ عنْ كُمَيلِ بْنِ زِيَادٍ[1]؛ قَالَ: أَخَذَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ – كَرّم الله وجهه – بِيَدِي فأَخْرَجَنِي إِلَى نَاحِيَةِ الجَبَّانِ[2]، فَلمَّا أَصْحَرَ[3]، تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ[4]، ثُمَّ قَالَ: يَا كُمَيْلُ، إِنَّ هذِهِ القُلوبَ أَوْعِيَةٌ؛ فَخيْرُها أَوْعَاها لِلْعِلْمِ. احْفَظْ عنِّي مَا أَقُول لَكَ: النَّاسُ ثلاثةٌ؛ عالِمٌ رَبَّانِيٌ، وَمُتَعلِّمٌ على سَبيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ[5] أَتْبَاعُ كُلِّ ناعِقٍ غَاوٍ يَمِيلونَ مَعَ كلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ العِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَؤوا إلى رُكْنٍ وَثِيقٍ. يَا كُمَيْلُ، الْعِلْمُ خيرٌ منَ المَالِ؛ العِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ المَالَ؛ والْمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ؛ وَالْعِلْمُ يَزْكُو[6] عَلَى الإِنْفَاقِ. يَا كُمَيْلُ مَحَبَّةُ العَالِمِ دِيْنٌ يُدَانُ بِهِ، يُكْسِبُهُ العِلْمُ الطَّاعَةَ لِرَبِّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– في حَياتِهِ، وَجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ[7] بَعْدَ وَفاتِهِ؛ وَمَنْفَعَةُ المَالِ تَزُولُ بِزَوالِهِ. وَالعِلْمُ حاكِمٌ، وَالمَالُ مَحكُومٌ عليْهِ. يا كُمَيْلُ مَاتَ خُزَّانُ الْمالِ، وَهُمْ أحْياءٌ؛ وَالعُلَمَاءُ بَاقُونَ ما بَقِيَ الدَّهْرُ؛ أَعْيانُهُمْ مَفْقُودَةٌ، وَأَمْثالُهُمْ في القُلُوبِ مَوْجُودَةٌ. هَا إنّ هَا هُنَا لَعِلْماً جَمّاً[8] (وَأشارَ إلى صَدْرِهِ) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً –اللّهُمَّ بَلَى –أَصَبْتُهُ لَقِناً[9] غَيْرَ مأْمُونٍ، يَسْتَعْمِلُ آلَةَ الدّينِ في الدُّنْيَا. وَيَسْتَظْهِرُ بِحُجَجِ اللهِ[10] على أَوْلِيَائِهِ، وَبِنعَمِهِ عَلَى كِتَابِهِ؛ أَوْ مُنْقَاداً لِحُمْلَةِ الحَقِّ[11]، لاَ بَصِيرَةَ لَهُ في إحْيائِهِ، يَقْدَحُ الشَّكُّ في قَلْبِهِ بِأَوَّلِ عارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ. اللهُمَّ لاَ ذَا ولاَ ذَاكَ؛ أَوْ مَنْهُوماً[12] باللَّذَّاتِ سَلِسَ القِيادِ للشَّهَواتِ؛ أَوْ مُغْرَماً بِجَمْعِ الأَمْوَالِ وَالادّخَارِ، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ؛ أَقْربُ شبَهاً بِهِمَا الأَنْعَامُ السَّائِمَةُ[13]؛ كَذَلِكَ يَمُوتُ العِلْمُ بِمَوْتِ حَمَلَتِهِ. اللَّهُمَ، بَلَى. لَنْ تَخْلوَا الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للَّهِ بِحُجَّةٍ؛ إِمَّا ظاهِرٍ مَشْهُورٍ، وَإِمَّا خائِفٍ مَغْمُورٍ[14]، كَيْ لاَ تَبْطلَ حُجَجُ اللهِ وَبَيِّناتُهُ. وَكَمْ، وَأَيْنَ أُولئِكَ الأَقَلُّونَ عَدَداً الأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللهِ قَدْراً؟! بِهِمْ يحفَظُ اللهُ حُجَجَهُ، حَتَّى يُودِعَهَا نُظَرَاءَهُمْ؛ وَيُودِعُوها في قُلوبِ أَشْباهِهِمْ؛ هَجَمَ بِهِمُ العِلْمُ عَلى حقيقَةِ الإِيمانِ؛ فَباشَرُوا رَوْحَ الْيَقِينِ؛ وَاسْتَسْهَلُوا مَا اسْتَوْعَرَ مِنْهُ الْمُتْرَفُونَ[15]؛ وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الجَاهِلونَ؛ وَصَحِبُوا الدُّنْيا بِأَبْدَانٍ؛ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بالْمَحَلِّ الأَعْلَى؛ أُولئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ في أَرْضِهِ، الدُّعَاةُ إلى دِينِهِ. هَاهَ شَوْقاً[16] إِلَى رُؤْيَتِهِمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكَ يا كُمَيْلُ، إِذَا شِئْتَ فَقم.

---

[1] كُميل بن زياد: (12–82 هـ) تابعيٌّ ثقة من أصحاب عليّ بن أبي طالب –كرّم الله وجهه –شهد صفّين مع عليّ – كرّم الله وجهه–وروى الحديث. ومات قتلاً على يدي الحجّاج صبراً.

[2] ناحية الجبّان: جهة الصحراء.

[3] أصحر: دخل الصَّحراء.

[4] تنفَّس الصُّعداء: تنفَّس النَّفس الطويل.

[5] همج رعاع: (الهمج) ذباب صغير مثل البعوض يقع على وجوه الغنم. والرّعاع: أوغاد النّاس.

[6] يزكو: يزيد وينمو.

[7] الأحدوثة: الحديث والذّكر.

[8] جَمّاً: كثيراً.

[9] لَقِناً: اللّقن سريع الفهم.

[10] يَسْتَظْهِرُ بحجج الله: يستعين بحجج الله تعالى.

[11] منقاداً لجملة الحق: جماعة الحق.

[12] منهوماً باللّذات: سهل الإنقياد.

[13] الأنعام السَّائمة: الأنعام التي تَرعَى؛ وهي عكس المعلوفة.

[14] مغمور: خامل الذّكر بين النّاس.

[15] المترفون: المتنعِّمون.

[16] هاه شوقاً: لفظة (هاه) هنا معناها حكاية ضحك الضَّاحك؛ والمراد: أنّه يسرّه النَّظر إلى الخلفاء المذكورين الدَّاعين إلى دين الله عزّ وجلّ.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَصِيَّتُهُ – كرَّم الله وَجْهَهُ – لَمَّا ضَرَبَه ابنُ مُلْجَم[1]

لَمَّا ضُرِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ –كرّم الله وجهه– اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ بَيْتِهِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ خَاصَّةِ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي وَقَّتَ الآجَالَ[2]، وَقَدَّرَ أَرْزَاقَ العِبَادِ، وَجَعَلَ لِكلِّ شَيْءٍ قَدْراً، وَلَمْ يُفَرِّطْ فِي الكِتَابِ مِنْ شَيءٍ، فَقَالَ: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾ (النساء: 28). وَقالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ (آل عمران:154) وَقَالَ –عَزَّ وَجَلَّ– لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (لقمان: 17). لَقَدْ خَبَّرَنِي حَبِيبُ اللهِ وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ عَنْ يَوْمِي هَذَا، وَعَهِدَ إِلَيَّ[3] فِيهِ؛ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، كَيْفَ بِكَ، إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ[4] مِنَ النَّاسِ، تَدْعُو فَلاَ تُجَابُ؛ وَتَنْصَحُ عَنِ الدِّينِ فَلاَ تُعَانُ، وَقَدْ مَالَ أَصْحَابُكَ، وَشَنَفَ[5] لَكَ نُصَحَاؤُكَ، فَكَانَ الَّذِي مَعَكَ أَشَدَّ عَلَيكَ مِنْ عَدُوِّكَ؛ إِذَا اسْتَنْهَضْتَهُمْ، صَدُّوا مُعْرِضِينَ، وَإِنِ اسْتَحْثَثْتَهُمْ[6]، أَدْبَرُوا[7] نَافِرِينَ، يَتَمَنَّوْنَ فَقْدَكَ، لِمَا يَرَوْنَ مِنْ قِيَامِكَ بِأَمْرِ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – وَصرْفِكَ إِيَّاهُم عَنِ الدُّنْيا؛ فَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ حَمَسْتَ طَمَعَهُ[8]؛ فَهُوَ كَاظِمٌ[9] عَلَى غَيْظِهِ؛ وَمِنْهُمْ من قَتَلْتَ أُسْرَتَهُ[10]؛ فَهُوَ ثَائِرٌ[11] مُتَرَبِّصٌ[12] بِكَ رَيْبَ المَنُونِ وَصُرُوفَ النَّوائِبِ؛ وَكُلُّهُمْ نَغِلُ الصَّدْرِ[13]، مُلْتَهِبُ الغَيْظِ فَلاَ تَزَالُ فِيهِمْ –كَذَلِكَ– حَتَّى يَقْتُلُوكَ مَكْراً، أَوْ يُرْهِقُوكَ شَرّاً[14]، وَسَيُسَمُّونَكَ بِأَسْمَاءٍ قَدْ سَمَّوْنِي بِها، فَقَالُوا: كَاهِنٌ، وَقَالُوا: سَاحِرٌ، وَقَالُوا: كَذَّابٌ مُفْتَرٍ. فاصْبِرْ، فَإِنَّ لَكَ فِيَّ أُسْوَةً[15]، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب: 21). يَا عَلِيُّ، إِنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– أَمَرَنِي أَنْ أُدْنِيكَ وَلاَ أُقْصِيكَ[16]، وَأَنْ أُعَلِّمَكَ وَلاَ أُهْمِلَكَ وَأَنْ أُقَرِّبَكَ وَلاَ أَجْفُوكَ[17]؛ فَهذِهِ وَصِيَّتُهُ إِلَيَّ وَعَهْدُهُ لِي. ثُمَّ إِنِّي أُوصِيكُمْ أَيُّها النَّفَرُ الَّذِينَ قَامُوا بِأَمْرِ اللهِ وَذَبُّوا[18] عَنْ دِينِ اللهِ، وَجَدُّوا[1] فِي طَلَبِ حُقُوقِ الأَرَامِلِ وَالمَسَاكِينِ. أُوصِيكُمْ

---

[1] ابن ملجم: (... – 40هـ) عبد الرّحمن بن مُلْجَم المراديّ الحميديّ. كان من شيعة عليّ –كرّم الله وجهه– وشهد مع صفّين. ثم خرج عليه. وتعهد بقتله، وقتله ليلة 17 رمضان، وفرّ هارباً، ثم قُتل بعد ثلاثة أيام من قتله لعليّ –كرّم الله وجهه– في الكوفة.

[2] وقّت الآجال: حدَّدَ نهاية الآجال.

[3] عهد إليّ: أوصاني.

[4] حُثالة من النّاس: بقيّة من الناس لا خير فيهم.

[5] شَنف لك نصحاؤك: تنكّر لك نصحاؤك، وأعرضوا عنك.

[6] استحثثتهم: حضضتهم على تأييدك ونصرك.

[7] أدبروا: ولّوا عنك وابتعدوا.

[8] حسمت طعمه: قطعتَ طعمه، وأزلته.

[9] كاظم على غيظه: ممسك على ما في نفسه منه، وغير مُبدٍ له.

[10] أسرته: رهطه الأقربون.

[11] ثائر: طالب للثّأر.

[12] مُتربِّص: منتظر.

[13] نَغِلُ الصّدر: حاقد متغيّظ عليك.

[14] يرهقوك شَرّاً: يكلّفوك الشّر، ويحمّلون إيّاه.

[15] أُسوة: قُدوة والمعنى: كن صابراً مثلي على أذى النّاس، واقتدِ بي في ذلك.

[16] لا أُقصيك: لا أُبعدك.

[17] لا أجفوك: لا أقطعك.

[18] ذَبُّوا: دافعوا عن دين الله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

بَعْدِي بِالتَّقْوَى، وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا وَالاغترارَ بِزِبْرِجِهَا وَزُخْرُفِهَا[2]؛ فَإِنَّهَا مَتَاعُ الغُرُور. وَجَانِبُوا سَبِيلَ مَنْ رَكَنَ[3] إِلَيْهَا، وَطَمَسَتِ الْغَفْلَةُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، حَتَّى أَتَاهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَحْتَسِبُوا، وأُخِذُوا بغْتَةً[4]، وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ. وَقَدْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَوْمٌ خَلَفُوا أَنْبِيَاءَهُمْ، بِاتِّبَاعِ آثَارِهِمْ، فَإِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهَدْيِهِمْ وَاقْتَدَيْتُمْ بَسُنَّتِهِمْ، لَمْ تَضِلُّوا إِنَّ نَبِيَّ اللهِ –صلى الله عليه وآله وسلم – خَلَّفَ فِيكُمْ كِتَابَ اللهِ، وَأَهْلَ بَيْتِه؛ فَعِنْدَهُمْ عِلْمُ مَا تَأْتُونَ وَمَا تَتَّقُونَ[5]، وَهُمُ الطَّرِيقُ الوَاضِح، وَالنُّورُ اللاّئِحُ، وَأَرْكَانُ الأَرْضِ القَوَّامُونَ بِالْقِسْطِ[6]؛ بِنُورِهِمْ يُسْتَضَاءُ، وَبِهَدْيِهِمْ يُقْتَدَى؛ مِنْ شَجَرَةٍ[7] كَرُمَ مَنْبِتُهَا، فَثَبَتَ أَصْلُهَا، وَبَسَقَ فَرْعُهَا[8]، وَطَابَ جَنَاهَا[9]؛ نَبَتَتْ فِي مُسْتَقَرِّ الحَرَمِ، وَسُقِيَتْ مَاءَ الكَرَمِ، وَصَفَتْ مِنَ الأَقْذَاءِ[10] وَالأَدْنَاسِ[11]، وَتُخُيِّرَتْ مِنْ أَطْيَبِ مَوَالِيدِ النَّاسِ. فَلاَ تَزُولُوا عَنْهُمْ فَتَفَرَّقُوا[12]، وَلاَ تَتَحَرَّفُوا عَنْهُمْ فَتَمَزَّقُوا[13]، والزَمُوهُمْ تَهْتَدُوا وَتَرْشُدُوا. وَاخْلُفُوا رَسولَ اللهِ –صلى الله عليه وآله وسلم– فِيهِمْ بِأَحْسَنِ الخِلاَفَةِ، فَقَدْ أَخْبَرَكُمْ: أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا، حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْض؛ أَعْنِي كِتَابَ اللهِ، وذُرِّيَّتَهُ. أَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ الَّذِي لاَ تَضِيعُ وَدَائِعُهُ، وبَلَّغَكُمُ اللهُ مَا تَأْمُلُونَ، وَوَقَاكُمْ مَا تَحْذَرُونَ. اقْرَأُوا عَلَى أَهْلِ مَوَدَّتِي السَّلاَمَ، وَالخَلَفِ وَخَلَفِ الْخَلَفِ. حَفِظَكُمُ اللهُ، وَحَفِظَ فِيكُمْ نَبِيَّكُمْ، وَالسَّلاَمُ.

وَصِيَّتُهُ – كرَّمَ اللهُ وَجهَهُ– للحسنِ لَمَّا ضَرَبَهُ ابنُ مُلجَم أيضاً

وَلَمَّا ضَرَبَهُ – كرَّمَ اللهُ وَجهَهُ– ابْنُ مُلْجَم[14]، دَخَلَ عَلَيْهِ الحَسَنُ –وَهُوَ بَاكٍ– فَقَالَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ يَا بُنَيّ؟ فَقَالَ لَهُ: مَالِي لاَ أَبْكِي، وَأَنْتَ فِي أَوْلِ يَومٍ مِنْ أَيَّامِ الآخِرَةِ، وَآخِرِ يَوْمٍ منْ أَيَّام الدُّنْيَا! فَقَالَ لَهُ: يا بُنَيَّ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعاً، وأَرْبَعاً لاَ يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ بِهِنَّ شَيْءٌ. قُلْتُ: وَمَا هُنَّ يَا أَبَهْ؟ قالَ: إِنَّ أَغْنَى الغِنَى العَقْلُ، وَأَكْثَرَ الفَقْرِ الحُمُقُ[15]، وَأَوْحَشَ الوَحْشَةِ العُجْبُ[16]، وَأَكْرَمَ الحَسَبِ حُسْنُ الخُلُقِ. قُلْتُ: يَا أَبَهْ، هذِهِ أَرْبَعٌ، فأَعْطِنِي الأَرْبَعَ. قالَ: يَا بُنَيَّ،

---

[1] جدّوا في طلب: اجتهدوا في طلب.

[2] زبرجها وزخرفها: زينتها وبهجتها.

[3] ركن إليها: اطمأنّ إليها.

[4] بغتة: فجأة.

[5] ما تتّقون: ما تحذرون.

[6] بالقسط: بالعدل.

[7] من شجرة: المراد بالشّجرة النَخلة.

[8] بَسق فرعها: طال فرعها، وارتفع إلى السَّماء.

[9] طاب جناها: طاب ثمرها.

[10] الأقذاء: جمع قذىً؛ وهو ما يقع في العين والشّراب.

[11] الأدناس: جمع (دَنَس) الوسخ.

[12] فتفرَّقوا: أي تفترقوا، وتذهب قوّتكم.

[13] فتمزَّقوا: أي تفترقوا.

[14] ابن مُلجَم: مرّت ترجمته.

[15] الحُمُقَ: (بضمّ الميم وتسكينها) قِلّة العقل.

[16] العُجْب: إعجاب المرء برأيه أو بشخصه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الأَحْمَقِ[1]؛ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الكَذَّابِ؛ فَإِنَّهُ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ البَعِيدَ، وَيُبَعِّدُ عَلَيْكَ القَرِيبَ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ؛ فَإِنَّهُ يَقْعُدُ بِكَ عِنْدَ أَحْوَجِ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الفَاجِرِ؛ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ فِي نَفَاقِهِ[2].

أَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ التُّسْتَرِيُّ فِيمَا أَجَازَهُ لِي: قالَ: أَخْبَرَنَا الحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَمْدَانَ قالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنَ مُحمَّدٍ بْنِ الفَضْلِ النَّحوِيُّ قالَ: حَدَّثَنَا مُحمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ قرَيشٍ الحُكَيْمِيُّ قالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ ابْنُ أَبَان، قالَ: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنِ شُعَيْبٍ النَّهْمِيُّ، عَنْ عَبْدِ الأَعْلى، عَنْ نَوْفٍ البَكَالِيّ، قالَ: رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ – كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ– لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَأَكْثَرَ الخُرُوجَ وَالنَّظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فقَالَ: أَنَائِمٌ أَنْتَ يَا نَوْفُ؟ قالَ: قُلْتُ بَلْ رَامِقٌ، أَرْمُقُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ[3]. بِعَيْنَيَّ. فَقالَ: يَا نَوْفُ، طُوبَى[4] لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيا، والرَّاغِبِينَ فِي الآخِرةِ؛ فإِنَّ أُولئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا أَرْضَ اللهِ بِسَاطاً، وَتُرَابَهَا فِرَاشاً، وَمَاءَهَا طِيباً، وَالقُرآنَ شِعاراً[5]. وَالدُّعَاءَ دِثاراً، ثُمَّ قَرَضُوا[6] الدُّنْيا قَرْضاً، عَلَى مِنْهاجِ المَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – أَوْحى إِلى عَبْدِهِ المَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ: أَنْ مُرْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنْ لا يَدْخُلُوا بَيْتاً مِنْ بُيُوتِي، إِلاّ بِقُلُوبٍ طاهِرَةٍ، وَأَبْصارٍ خاشِعَةٍ، وَأَيْدٍ نَقِيَّةٍ؛ فإِنِّي لاَ أَسْتَجِيبُ لأَحَدٍ مِنْهُمْ دَعْوَةً؛ مِنْ خَلْقِي قِبَلَهُ مَظْلِمَةٌ. يا نَوْفُ، لاَ تَكُونَنَّ شَاعِراً، وَلاَ عَشَّاراً[7]، وَلاَ شُرَطِيًّا[8]، وَلاَ عَرِيفاً[9]، وَلاَ صَاحِبَ كُوبَةٍ[10] وَلاَ صاحِبَ عَرْطَبَةٍ[11]. فإِنّ نَبِيَّ اللهِ دَاودَ عَلَيْهِ السَّلاَم، خَرَجَ فِي مِثْلِ هذِهِ اللَّيْلَةِ، فَقالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَدْعُو اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– إِلاّ اسْتَجابَ دَعْوَتَهْ فِي هذِهِ السَّاعَةِ إِلاّ أَنْ يَكُونَ شاعِراً، أَوْ عَشَّاراً، أو شُرَطِيًّا، أو عَرِيفاً، أو صَاحِبَ كُوبةٍ، أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ. أُوصِيكُمْ –عِبادَ اللهِ– بِتَقْوَى اللهِ وَالتَّنافسِ[12] فِي الحَظِّ النَّفِيسِ[13]، وَالإِشْفاقِ[14] مِنْ اليَوْمِ العَبُوسِ[15]، وَالجِدِّ فِي خَلاَصِ النُّفُوسِ، وَالسَّعْيِ فِي فَكَاكِها قَبْلَ هَلاَكِها، وَالأَخَذِ لَها قَبْلَ الأَخْذِ مِنْها. اغْتَنِمُوا أَيَّامَ الصِّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ، وَالشَّبِيبَةَ قَبْلَ الهَرَمِ، وَبادِرُوا بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ النَّدَمِ، وَلاَ تَحْمِلَنَّكُمُ الْمُهْلَةُ عَلَى طُولِ الغَفْلَةِ؛ فإِنّ الأَجَلَ يَهْدِمُ الأَمَلَ، وَالأَيَّامُ مُوَكَّلَةٌ بِتَنْقِيصِ المُدَّةِ، وتَفْرِيقِ الأَحِبَّةِ. فَبادِرُوا –رَحِمَكُمُ اللهُ– بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ حُضُورِ النَّوْبَةِ[16]،

---

[1] الأحمق: قليل العقل، وكثير الطّيش.

[2] في نَفّاقه: في رواجه.

[3] رَامِقٌ أرمقُ: ناظرُ أنظر أمير المؤمنين.

[4] طُوبى: شجرة في الجنّة، أو الجنّة بالهندية، وتأتي بمعنى هنيئاً وفلاحاً.

[5] شِعاراً: (الشّعار) الثّوب الملاصق للبدن؛ و(الدّثار) يكون فوقه.

[6] قرضوا: قطعوا وعبروا.

[7] عشّاراً: الموظف االذي يجبي عشر المال.

[8] شُرَطيّاً: وهو رجل الشرطة المعروف.

[9] عريفاً: رئيس القوم، عُرِف به لأنه عُرِف بذلك؛ أو النّقيب وهو دون الرّئيس.

[10] صاحب كُوبَة: صاحب الطّبل.

[11] صاحب عَرْطبة: صاحب العود؛ وهو آلات الطّرب.

[12] التّنافس: التّسابق.

[13] النّفيس: الثّمين –الغالي.

[14] الإشفاق: الخوف والحذر.

[15] العبوس: يوم القيامة.

[16] النّوبة: النّائبة من نوائب الدّهر، المصيبة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَبَرِّزُوا لِلْغَيْبَةِ الَّتِي لاَ تُنْتَظَرُ مَعَها الأَوْبَةُ[1]، وَاسْتَعِينُوا عَلَى بُعْدِ المَسَافَةِ، بِطُولِ المَخَافَةِ؛ فَكَمْ مِنْ غَافِلٍ وَثِقَ بِغَفْلَتِهِ، وَتَعَلَّلَ بِمُهلَتِهِ؛ فأَمَّلَ بَعِيداً، وَبَنَى مَشِيداً[2]، فَنُغِصَ بِقُرْبِ أَجَلِهِ بَعْدَ أَمَلِهِ. وفَاجَأَتْهُ مَنِيَّتُهُ، بانْقِطَاعِ أُمْنِيَّتِه؛ فَصار بَعْدَ العِزِّ وَالْمَنَعَةَ[3]، وَالشَّرَفِ، وَالرِّفْعَةِ مُرْتَهَناً بِمُوبقاتِ[4] عَمَلِهِ. قَدْ غَابَ فَما رَجَعَ، وَنَدِمَ فَما انْتَفَعَ، وَشَقِي بِما جَمَع في يَوْمِهِ، وَسَعِدَ بِهِ غَيْرُهُ في غَدِهِ، وَبَقِيَ مُرْتَهَناً بِكَسْبِ يَدِهِ، ذاهِلاً[5] عَنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ؛ لاَ يُغْنِي عَنْهُ مَا تَرَكَ فَتِيلاً، وَلاَ يَجِدُ إِلى مناصٍ سَبِيلاً، فَعَلاَمَ[6] –عِبادَ اللهِ– الْمُنْعَرَجُ[7] والدَلَجُ[8]؟! وَإِلَى أَيْنَ المَفَرُّ والمَهْرَبُ، وَهَذَا المَوْتُ في الطَّلَبِ؛ يَخْتَرِمُ[9] الأَوَّلَ فالأَوَّلَ، لاَ يَتَحَنَّنُ عَلى ضَعِيفٍ، وَلاَ يُعَرِّجُ[10] عَلَى شَرِيفٍ. وَالجَدِيدَانِ[11] يَحُثَّانِ الأَجَلَ[12] تَحْثِيثاً، وَيَسُوقانه سَوْقاً حَثِيثاً[13]؛ وَكلُّ ما هُوَ آتٍ فَقَرِيبٌ، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ العَجَبُ العَجِيبُ. فأَعِدُّوا الجَوَابَ لِيَومِ الحِسَاب. وَأَكثِرُوا الزَّادَ. لِيَوْمِ المَعَادِ. عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطاعِتِه، وَأعانَنَا وإِيَّاكُمْ عَلَى مَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ، وَيُزْلِفُ لَدَيْهِ[14]؛ فإِنّما نَحنُ بِهِ وَلَهُ. أَوْصِيكُمْ –عِبادَ اللهِ– بِتَقْوَى اللهِ؛ فإِنّ تَقْوَى اللهِ مَنْجاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، وَعِصْمَةٌ مِنْ كُلِّ ضَلاَلَةٍ، وَبِتَقْوَى اللهِ فَازَ الفَائِزُونَ، وَظَفِرَ الرَّاغِبُونَ، وَنَجَا الهَارِبُونَ، وَأَدْرَكَ الطَّالِبُونَ، وَبِتَرْكِهَا خَسِرَ المُبْطِلُونَ[15] ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (النَّحل: 128). اللهَ اللهَ[16] –عِبَادَ اللهِ– قَبْلَ جُفُوفِ الأَقْلاَمِ، وتَصَرُّمِ الأَيَّامِ، وَلُزُومِ الآثَامِ[17]، وَقَبْلَ الدَّعْوَةِ بالحسْرَةِ، والوَيْلِ والشِّقْوَةِ، وَنُزُولِ عَذَابِ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً، أَوصِيكُم –عِبَادَ اللهِ– بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمُ الأمثالَ[18]، وَوَقَّتَ لَكُمُ الآجالَ، وَفَتَقَ لَكُمْ أَسْماعاً لِتَعِيَ ما عَناهَا[19]، وَأَبْصاراً لِتَجلُوَ عَنْ عَشَاها[20]، وَأَفْئِدَةً لِتَفْهَمَ مَا دَهاها[21]. لم يَخْلُقْكُمْ عبثاً[1]، وَلَم يُمْهِلْكُمْ[2] سُدىً[3]، وَلَمْ يَضْرِبْ عَنْكُمُ الذِكْرَ صَفْحاً؛ بَلْ أَكْرَمَكُمْ

---

[1] الأوبة: الرّجوع إلى الدّنيا.

[2] بنى مشيداً: بنى قصراً مشيداً.

[3] العزّ والمنعة: القوّة والحفظ.

[4] بموبقات عمله: بمهلكات عمله.

[5] ذاهلاً: ناسياً لأهله، مشغولاً عنهم.

[6] علاَم: على ماذا؟.

[7] المعرج: المنعطف؛ وه منحى الوادي يَمنة ويَسرة.

[8] الدّلج: السّير في أوّل اللّيل؛ والمنعي: على أيّ شيء....الأمر من صفته كيت وكيت.

[9] يختر م: يقتطع الأوّل فالأوّل، ويَفْصِمُهُ.

[10] لا يعرِّج: لا يعطف.

[11] الجديدان: اللّيل والنّهار.

[12] يحثّان الأجل: يحضّانه على الانقضاء بسرعة.

[13] حثيثاً: سريعاً.

[14] يزلف لديه: يقرِّب عنده.

[15] المبطلون: الهازلون، التّاركون الحقَّ، الضّائعون المتّبعون الأهواء في هذه الدّنيا.

[16] الله الله: الزموا الله، واتّقوا الله.

[17] الآثام: الذّنوب.

[18] ضرب لكم الأمثال: وصف لكم الأمثال بيَّنها؛ و(الأمثال): جمع (مَثَل)؛ وهو ما يُضرب به من الأمثال؛ وَمَثَل الشيء: صفته.

[19] تعي ما عناها: تحفظ ما أهمَّها.

[20] عشاها: (العَشَا) –بالقَصْرِ– ضعف البصر في اللّيل والنّهار.

[21] ما دهاها: ما أصابها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

أَكْرَمَكُمْ بالنّعَمِ السَّوابغِ[4]، وَقَطَعَ عُذْرَكُمْ بالحُجَجِ البَوالِغ، وَرَفَدَكُمْ بأحْسَنِ الرَّوَافِدِ[5] وأعَمِّ الزّوائِدِ، وَأحَاط بكُمُ الإحصاءَ، وأرْصَدَ لَكُمُ الجزَاءَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ. فاتَّقُوا الله -عبادَ الله- وَجِدُّوا[6] في الطَّلَبِ، وبادِرُوا بالعملِ قَبلَ حُلولِ الأَجَلِ. اقْطَعوا التُّهَماتِ، واحْذَرُوا هادِمَ اللَّذّاتِ[7]. تَجَهَّزُوا -رَحِمَكُمُ الله- فَقَدْ نُودِيَ فيكُمْ بالرِّحيل. وَأقِلُّوا العَرْجَةَ على الدُّنْيا[8]، وانْقَلِبُوا بصالحِ ما بِحَضْرَتِكُمْ من الزَّادِ[9]؛ فإنّ أمامَكُمْ عَقَبةً كَؤُداً[10]، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَجْهُولَةً، لابُدَّ من المَمَرِّ عَلَيْها[11]، وَالوُقُوفِ عِنْدَها، فَإمَّا رَحْمَةٌ مِنَ الله -جَلَّ وَعَزَّ- فَنَجَوْتُم مِنْ فَظَاعَتِها، وَشِدَّةِ مُخْتَبَرِهَا، وَكَرَاهَةِ مَنْظَرِها، وَإمَّا بِهَلَكَةٍ[12]، لَيْسَ بَعْدَها انْجِبارٌ.

وصيتهُ -كرَّم الله وجههُ- لابنِ عبّاسٍ(*) رضي الله عنهما:

قالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ما انْتَفَعْتُ بِشَيْءٍ بَعْدَ النَّبي -صلى الله عليه وآله وسلم- انْتِفاعِي بكَلِماتٍ، كَتَبَهُنَّ إلَيّ أميرُ الْمُؤْمِنينَ عَلِيُّ بْنُ أبي طالبٍ -كرمَّ الله وجههُ- فكَتَبَ إلَيَّ.

بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيمِ

أمَّا بَعْدُ، فإنّ المَرْءَ يَفْرحُ بإدراكِ مَا لَمْ يَكُنْ لِيفُوتَه، وَيَغْتَمُّ لفَوْتِ ما لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ، فإذَا أتاكَ الله[13] منَ الدُّنْيا شَيْئاً، فَلاَ تُكْثِرَنَّ بِهِ فَرَحاً، وَإذَا مَنَعَكَ مِنْهَا فَلاَ تُكْثِرَنّ عليهِ حَزَناً، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ والسَّلاَمُ.

---

[1] لم يخلقكم عبثاً: لم يخلقكم لعباً ولهواً.

[2] لم يمهلكم: لم يصبر عليكم، ويؤخّركم.

[3] سُدًى: إهمالاً.

[4] النّعم السّوابغ: النّعم الوافية.

[5] الرّوافد: العطاءات؛ والمعنى: أعطاكم أحسن العطاء.

[6] جدُّوا في الطّلب: اجتهدوا في الطّلب.

[7] هادم اللّذّات: الموت.

[8] أقِلّوا العرجة على الدُّنيا: اتركوا الميل إليها، والتّعلّق بها.

[9] ما يحضركم من الزّاد: ما عندكم من التّقوى.

[10] عقبة كؤوداً: عقبة شاقّة صعبة الممرّ.

[11] لا بُدَّ من الممرّ عليها: لا محالة من مروركم عليها، ووقوفكم عندها.

[12] هَلَكَة: المراد مَهْلِكَة.

[13] إذا آتاك الله: إذا أعطاك الله تعالى.

(*) ابن عبّاس: عبد الله بن عبّاس بن عبدالمطّلب صحابيّ جليل، عالم في الفقه، والعربيّة، والأنساب، وأيّام العرب. توفى سنة 68هـ. رضي الله عنه وأرضاه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الباب الخامس

في المرويّ عنه منه أجوبته عن المسائل وسؤالاته كرَّم الله وجهه

قال أميرُ المؤمنين كرَّم الله وجههُ: أمَّا بَعْدُ أيُّها النَّاسُ: إذَا سأَلَ سائِلٌ فَلْيَعْقِلْ، وَإذَا سُئِلَ فَلْيَتَثَبَّتْ، فَوَاللهِ لَقَدْ نَزَلتْ بِكُمْ نَوَازِلُ البَلاَءِ، وَحَقَائِقُ الأُمُورِ لِفَشَلِ كَثِيرٍ مِنَ المَسْؤُولِينَ وَإطْرَاقِ كَثِيرٍ[1] مِنَ السَّائِلِين.

قال النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لِعليٍّ- كرّم الله وجههُ- مَا أوَّلُ نِعْمَةٍ أنْعَمَها اللهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: خَلَقَنِي ذَكَراً، وَلَمْ يَخْلُقْنِي أُنْثى. ثَمَّ ماذَا؟ قالَ: أنْ هَدَانَي للإِسْلامِ وَعَرَّفَنيهِ[2]، وَمَنَّ عَلَيَّ بِكَ، يَا رَسُولَ اللهِ. قالَ: ثُمَّ ماذَا؟ قالَ: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (إبراهيم:24).

وَإنّ عليًّا ساءَلَ ابنَهُ الحَسَنَ عَلَيْهِما الرَّحْمَةُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ المُرُوأةِ، فَقالَ يَا بُنَيّ:

مَالسَّدادُ؟ قالَ يا أبَهْ، السَّدادُ دَفْعُ المُنْكَرِ بالمَعْرُوفِ. قالَ: فما الشَّرَفُ؟ قالَ: اصْطِنَاعُ العَشِيرَةِ، وَحَمْلُ الجَرِيرَةِ[3]. قالَ: فَما المُرُوأةُ؟ قالَ: العَفَافُ، وَالصَّلاَحُ إصْلاَحُ المَالِ. قالَ: فَما الرَّقَّةُ؟ قالَ: النَّظَرُ في اليَسيرِ وَمَنْعُ الحَقِيرِ. قالَ: فَما اللُّؤْمُ؟ قالَ: احْتِقَارُ المَرْءِ نَفْسَهُ، وَبَذْلُهُ عِرْسَهُ[4]، مِنَ اللُّؤْمِ. قال: فَمَا السَّمَاحَةُ؟ قال: البذلُ مِنَ العُسْرِ واليُسرِ. قال: فَمَا البُخْلُ؟ قالَ: أنْ تَرَى ما أنْفَقْتَهُ تَلَفاً. قال: فَما الإِخَاءُ[5]؟ قالَ: المُوَاسَاةُ[6] في الشَّدَّةِ وَالرَّخاءِ. قالَ: فَما الجُبْنُ؟ قالَ: الجُرْأةُ علَى الصَّدِيقِ، وَالنُّكُولُ[7] عَنِ العَدُوِّ. قالَ: فما الغَنيمَةُ؟ قالَ: التَّرْغِيبُ في التَّقْوَى، وَالزَّهَادةُ[8] في الدُّنْيا هِيَ الغَنيمَةُ البَارِدَةُ. قال: فَما الحِلْمُ؟ قالَ: كَظْمُ الغَيْظِ، وَمِلْكُ النَّفْسِ. قالَ: فَما الغِنى؟ قال: رِضى النَّفْسِ بِمَا قَسَمَ اللهُ -جلَّ وَعَزَّ- وَإنْ قَلَّ؛ وَإنّما الغِنَى غِنى النَّفْسِ[9]. قالَ فَما الفقْرُ؟ قالَ: شَرَهُ النَّفْسِ[10] في كُلِّ شَيْءٍ. قالَ فَما المَنَعَةُ[11]. قالَ: سَدَادُ النَّفْسِ[12]، وَمُنازَعَةُ عزِّ اليأسِ. قالَ: فَما الذُّلُّ؟ قالَ: الفَزَعُ عِندَ المَصْدُوقَةِ[13]. قال: فَما العِيُّ؟ قَالَ العَبَثُ باللِّحْيَةِ، وَكَثْرَةُ التَّبَزُّقِ. قالَ: فَما الجرْأةُ[14]؟ قالَ: مُوَافَقَةُ الإِخْوانِ. قالَ: فَما الكُلْفَةُ؟ قالَ: كَلاَمُكَ فيمَا لاَ يَعْنيكَ. قالَ: فَما المَجْدُ؟ قالَ: أنْ تُعْطِيَ في الغُرْمِ[15]، وَتَعْفُوَ عَنِ الجُرْمِ. قالَ: فَما العَقْلُ؟ قالَ: حِفْظُ القَلْبِ كُلَّما اسْتَرْعَيْتَهُ.

---

[1] إطراق كثير من السّائلين: سكوتهم وعدم تكلّمهم وغضّهم بأبصارهم إلى الأرض.

[2] عرَّفنيه: عَرَّفني إيَّاه.

[3] الجريرة: الجناية.

[4] عرسه: زوجه (زوجته).

[5] الإخاء: المؤاخاة.

[6] المواساة: المساواة بالنَّفس؛ وهي أن يعطي الإنسان غيره من ماله، ويجعله مساوياً له فيه.

[7] النُّكول عن العدوّ: الجبن والقعود عن مواجهته.

[8] الزَّهادة في الدَّنيا: التَّزهيد في الدُّنيا.

[9] عنى النّفس: رضاها بما قُسم لها، وعدم حِرصها على الدّنيا.

[10] شره النَّفس: حِرصها الغالب عليها.

[11] المنعة: العِزُّ والشَرف والسُّؤدد.

[12] سداد النّفس: توفيقها للصّواب والعمل بالاستقامة.

[13] المصدوقة: الصّدق.

[14] الجرأة: الشَّجاعة.

[15] تعطي في الغرم: تعطي فيما يجب عليك أداؤه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

قالَ: فَما الخُرْقُ[1]؟ قالَ: مَعازَّتُكَ إمامَكَ[2]، وَرَفْعُكَ عَلَيْهِ كَلاَمَكَ. قالَ: فَما السَّناءُ[3]؟ قالَ: إيثارُ الجَميلِ[4]، وَتَرْكُ القَبيحِ. قالَ: فَما الحَزْمُ؟ قالَ: طُولُ الأَناةِ[5]، وَالرِّفْقُ بالوُلاَةِ، وَالاحْتِراسُ مِنَ النَّاسِ بسَوءِ الظَّنِّ؛ وَهُوَ الحَزْمُ. قالَ: فَما الشَّرَفُ؟ قالَ: مُوَافَقَةُ الإِخْوانِ، وَحِفْظُ الجِيرَانِ. قالَ: فَما السَّفَهُ[6]؟ قالَ: اتّباعُ الدُّنَاتِ[7] وَمُصاحَبَةُ الغُوَاة. قالَ: فَما الغَفْلَةُ؟ قالَ: تَرْكُكَ المَسْجِدَ، وَطَاعَتُكَ المُفْسِدَ. قالَ: فَما الحِرْمانُ؟ قالَ: تَرْكُكَ حَظَّكَ، وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْكَ. قالَ: فَما السَّيِّدُ؟ قالَ: الأَحْمَقُ في مالِهِ، المُتَهاوِنُ عَنْ عِرْضِهِ، يُشْتَمُ فَلاَ يُجيبُ، المُحْتَزِمُ بِأَمْرِ عَشِيرَتِه[8]، وَهُوَ السَّيِّد.

* * * *

سُئِلَ –كرّم الله وجهه– مَنِ العَالِمُ؟ فَقالَ: مَنِ اجْتَنَبَ المَحَارِمَ[9]. قيلَ فَمَن العاقلُ؟ قالَ: مَنْ رَفَضَ الباطلَ. قِيلَ: فَمَنِ السَّيِّدُ؟ قالَ: مَنْ فَعَالُه جَيِّدٌ[10]. قِيلَ: فَمَنِ السَّعِيدُ؟ قال: مَنْ خَشِيَ الوَعِيدَ. قِيلَ: فَمَنِ الكَرِيمُ؟ قالَ: مَنْ نَفَعَ العَدِيمَ[11]. قِيلَ: فَمَنِ الشَّرِيفُ؟ قالَ: مَنْ أَنْصَفَ الضَّعِيفَ. قِيلَ: فَمَنِ الغِرُّ[12]؟ قالَ: مَنْ عُرِفَ بالكِبْرِ. قِيلَ: فَمَنِ الغُمْرُ[13]؟ قالَ: مَنْ وَثِقَ بالعُمْرِ. قِيلَ: فَمَنِ الهالِكُ؟ قال: مَنْ دُفِعَ إِلَى مالِكٍ[14].

قامَ إليهَ – كرَّم الله وجْهَهُ –

زَيْدُ بنُ صُوحَانَ[15] العَبْدَرِيُّ فقال:

يا أميرَ المُؤْمِنينَ، أيُّ سُلْطانٍ أغْلَبُ وَأقْوى؟ قالَ: الهَوَى. قالَ: فأَيُّ ذُلٍّ أذَلُّ؟ قالَ: الحِرْصُ عَلَى الدُّنْيا. قالَ: فأَيُّ فَقْدٍ أشَدُّ؟ قالَ: الكُفْرُ بَعْدَ الإِيمانِ[16]. قالَ: فأَيُّ دَعْوَةٍ أضَلُّ؟ قالَ: الدَّاعي بِمَا لاَ يَكُونُ. قال: فأَيُّ عَمَلٍ أفْضَلُ؟ قالَ: التَّقْوَى. قال: فأَيُّ عَمَلٍ أنْجَحُ؟ قالَ: طَلَبُ مَا عِنْدَ الله. قالَ: فأَيُّ صاحِبِكَ أشَرُّ[17]؟ قالَ: المُزَيِّنُ لَكَ مَعْصِيَةَ الله. قالَ: فأَيُّ الخَلْقِ أقْوَى؟ قالَ:

---

[1] الخُرْق: ضدّ الرِّفق.

[2] مَعَازَّتُك إمامك: مغالبتك إيّاه.

[3] السَّناء: الشَّرف والرّفعة.

[4] إيثار الجميل: تفضيل الجميل وتخيّره.

[5] طول الأناة: الحلم.

[6] السَّفه: الجهل والحمق والخِفَّة والطّيش.

[7] الدُّنات: الدَّناءات.

[8] المحتزم بأمر عشيرته: المتمسَّك بها، المحامي عنها.

[9] اجتنب المحارم: تجنَّب المحرّمات.

[10] فَعَالة جيّد: فِعْلُه حَسن.

[11] نفع العديم: أعان المسكين بماله.

[12] الغِرّ: الشَّاب الذي لا تجربة له؛ وعكسه المجرّب.

[13] الغُمْرُ: الذي لم يجرّب الأمور.

[14] مالك: خازن النَّار عليه السّلام.

[15] زيد بن صوحان: (... – 36 هـ) تابعيّ من أهل الكوفية، له رواية عن عمرو وعليّ. قَاتَلَ مع عليّ – كرَّم الله وجهه – يوم الجمل، وقتل في تلك الموقعة.

[16] الكفر بعد الإيمان: إذا كفر بعد أن كان مؤمناً، فذاك الفقد الحقيقيّ الذي لا يُعوَّض.

[17] أشرُّ: أكثر شرًّا وضرراً.

This file was downloaded from QuranicThought.com

الحَلِيمُ. قالَ: فأيُّ الخَلْقِ أشْقى؟ قالَ: مَنْ بَاعَ دينهُ برِضى غَيْرِهِ. قالَ: فأيُّ الخَلْقِ أشَحُّ؟ قالَ: مَنْ أخذَ المَالَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، فَجَعَلَهُ في غَيْرِ حَقِّهِ. قالَ: فأيُّ النَّاسِ أكيَسُ[1]؟ قالَ: مَنْ أبْصَرَ رُشْدَهُ مِنْ غَيِّهِ[2]. فمالَ إلى رُشْدِهِ. قالَ: فَمَنِ أحْلَمُ النَّاس؟ قال: الَّذِي لاَ يَغْضَبُ. قالَ: فأيُّ النَّاسِ أثْبَتُ رَأْيًا؟ قالَ: مَنْ لَم يَغُرَّهُ النَّاسُ مِنْ نَفْسِهِ، وَلَمْ تَغُرَّهُ الدُّنْيَا بشُنُوفِها[3]. قالَ: فأيُّ النَّاسِ أحْمَقُ؟ قالَ: المُغْتَرُّ بالدُّنْيَا، وَهُوَ يَرَى ما فِيها، وَتَقلُّبَ أحْوَالِهَا. قالَ: فأيُّ النَّاسِ أشَدُّ حَسْرَةً. قالَ: الَّذِي حُرِمَ الدُّنْيَا والآخِرَةَ؛ ذلكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ. قالَ: فأيُّ الخَلْقِ أعْمى[4]؟ قال: الَّذِي عَمِلَ لِغَيْرِ الله، يَطْلُبُ بِعَمَلِهِ الثَّوَابَ مِنَ الله تعالى. قال: فأيُّ القُنُوعِ أفْضَلُ؟ قالَ: القَانِعُ بما أعْطَاهُ الله عزَّ وَجَلَّ. قالَ: فأيُّ المَصائِبِ أشَدُّ؟ قالَ: المُصِيبَةُ في الدِّينِ. قالَ: فأيُّ النَّاسِ خَيْرٌ عِنْدَ الله؟ قالَ: أخْوَفُهُمْ لله، وَأصْبَرُهُمْ عَلى التَّقْوَى[5]، وَأزْهَدُهُمْ في الدُّنْيَا. قالَ: فأيُّ الكَلاَمِ أفْضَلُ عِنْدَ الله؟ قالَ: كَثْرَةُ ذِكرِ الله، وَالتَّضَرُّعُ إلَيْهِ، وَدُعَاؤُهُ. قالَ: فأيُّ القَوْلِ أصْدَقُ؟ قال: شَهادَةُ أن لاَ إِ لهَ إلاَ الله. قالَ: فأيُّ الإيمانِ أفْضَلُ عنْدَ الله؟ قالَ: التَّسْليمُ وَالوَرَعُ. قالَ: فأيُّ النَّاسِ أكْرَمُ؟ قالَ: مَنْ صَدَقَ في المَوَاطِنِ، وَكفَّ لِسَانَهُ عنِ المَحَارِمِ[6]، وَأمرَ بالمَعْرُوفِ، وَنَهى عَنِ المُنْكَرِ[7].

قال كرّم الله وجهه:

سَلُونِي قَبْلَ أنْ تَفْقِدُونِي، فإنَّ بَيْنَ كَتِفَيَّ عِلْماً جَمًّا[8]، أخْبَرَنِي بِهِ حَبِيبِي رَسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم فَقامَ إلَيْهِ صَعْصَعَةُ بنُ صُوحَانَ[9]؛ فَقالَ لَهُ: يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، مَتى يَخْرُجُ الدَّجّالُ؟ فَقالَ

لَهُ: اقْعُدْ يَا صَعْصَعَةُ، فَقَدْ عَلِمَ الله – جَلَّ ثَناؤُهُ – مَقَامَكَ، وَلكِنْ لَهُ عَلاَمَاتٌ، وَهَنَاتٌ[10]، وَأشْياءُ يَتْلُو بَعْضُها بَعْضاً، حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ[11]، تَكُونُ في حَوْلٍ وَاحِدٍ، فإنْ شِئْتَ نَبَّأْتُكَ بعَلاَمَاتِهِ. فَقالَ: عَنْ ذَلكَ سألْتُكَ، يَا أميرَ المؤمنين. قالَ لَهُ: اعْقِدْ بيدِكَ يَا صَعْصَعَةُ. إذَا أماتَ النَّاسُ الصَّلاَةَ[12]، وَأضاعُوا الأَمَانَةَ، وَاسْتَحلُّوا الكَذِبَ، وأكلُوا الرِّبا، وَأخَذُوا الرُّشا، وَشَيَّدُوا البنَاءَ، وَاتَّبَعُوا الأَهْوَاءَ، وَباعُوا الدِّينَ بالدُّنْيَا، وَاسْتَخَفُّوا بالدِّماءِ، وَكانَ الحِلْمُ ضَعْفاً[13]، وَالظُّلْمُ فَخْراً[14]، وَالأُمَرَاءُ فَجَرَةً[15]، وَوُزَرَاؤُهُمْ وَأُمَنَاؤُهُمْ خَوَنَةً، وَقُرَّاؤُهُمْ فَسَقَةً[1]، وَيَظهَرُ الجَوْرُ[2]، وَيَكْثُرُ الطَّلاَقُ،

---

[1] أكيس: أعقل وأفضل.

[2] غيِّه: ضد رشده.

[3] شُنوفها: زينتها وبهجتُها؛ والشُّنوف جمع شَنْف، وهو الفِرط الذي يُعلّق في أعلى الأذان، ويجمع – أيضاً – على أشناف.

[4] أعمى: المراد – هنا– أعمى بصيرةً عن طريق الهدى والنَّجاة.

[5] أصبرهم على التقوى: أكثرهم صبراً على التقوى التي لا يقوي عليها، ولا يقوم بتكاليفها إلاّ المخلصون.

[6] المحارم: المحرّمات.

[7] نهى عن المنكر: نهى عن كلّ قبيح مُسْتَرْذَل في القول أو الفعل أول العمل؛ والمنكر: كلّ ما حَذَّر منه الشَرع؛ وهو خلاف المعروف.

[8] بين كَتِفَيَّ علماً جمًّا: بين جنبيّ علماً كثيراً.

[9] صعصعة بن صُوحان: (... – 56 هـ) من سادات عبد القيس، من أهل الكوفة؛ له شعر. شهد (صفّين) مع عليّ – كرَّم الله وجهه – ونجا في تلك الواقعة. نفاه المغيرة من الكوفة إلى جزيرة "أوال" في البحرين بأمر من معاوية، فمات فيها.

[10] هَنات: أشياء لا يحسن ذكرها.

[11] حذو النّعل بالنّعل: أمور متشابهات في الباطل.

[12] أمات النّاس الصّلاة: تركوها واتّبعوا الشّهوات.

[13] كان الحليم ضعفاً: أي لا يَحلُم إلاّ الضُّعفاء الذين على الانتقام؛ أو المراد: أنَّ الحليم يصبح بنظر الآخرين ضعيفاً جباناً؛ لأنه لا ينتقم.

[14] الظُّلم فخراً: أي صار الظّالم يفتخر بظلمه للضعفاء، ليصفه النّاس بالشّجاعة من دون أن يكبح جماحه أحد.

[15] الأمراء فجرة: وصار الأمراء فسقه مائلين إلى الشّهوات.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَمَوْتُ الفُجَاءَةِ[3]، وَحُلِّيَتِ المَصَاحِفُ، وَزُخْرِفَتِ المَسَاجِدُ، وَطُوِّلَتِ المَنَابِرُ، وَخُرِبَتِ القُلُوبُ، وَنُقِضَتِ العُهُودُ، وَاسْتُعْمِلَتِ المَعَازِفُ[4]، وَشُرِبَتِ الخُمُورُ، وَفَشَا الزِّنَا[5]، وَأُتْمِنَ الخَائِنُ، وَخُوِّنَ الأَمِينُ، وَشَارَكَتِ المَرْأَةُ زَوْجَهَا فِي التِّجَارَةِ، حِرْصاً عَلَى الدُّنْيا، وَرَكِبَ ذَوَاتُ الفُرُوجِ السُّرُوجَ[6]، وَالسَّلاَمُ لِلْمَعْرِفَةِ[7]، وَالشَّاهِدُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَشْهَدَ[8]، وَلَبِسُوا جُلُودَ الضَّأْنِ عَلَى قُلُوبِ الذِّئَابِ[9]؛ قُلُوبُهُمْ يَوْمَئِذٍ أَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ، وَأَنْتَنُ[10] من الجِيفَةِ، فالنَّجَاءَ النَّجاءَ[11]، وَالوَحَا الوَحَا[12]، وَالجِدَّ الجِدَّ[13]؛ نِعْمَ المَسكَنُ يَوْمَئِذٍ بَيْتُ المَقْدسِ[14]. فَقامَ إلَيْه الأَصْبَغُ بنُ نُباتَه[15] فَقالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، وَمَا الدَّجَّالُ؟ فقالَ لَهُ: يَا أَصْبَغُ، أَلاَ إِنّ الدَّجَّالَ صَيْفِيُّ بْنُ عائِذٍ، الشَّقِيُّ مَنْ صَدَّقَهُ، والسَّعِيدُ مَنْ كَذَّبَهُ؛ يُقْتَلُ على عقَبَةٍ بالشَّأْمِ[16]، يُقالُ لَها عقَبَةَ فِيقٍ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ النَّهارِ عَلى يَدَي المَسيحِ عيسى بْنَ مَرْيَمَ عليْهِ السَّلاَمُ. أَلاَ وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الطَّامَّةُ الكُبْرَى[17]. طُلُوعُ الشَّمْس منَ المَغْرِبِ، تَطْلُعُ مُكَوَّرَةً[18] ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ (الأنعام: 158)، فَيومئذٍ لاَ تَوْبَةَ تُقْبَلُ، وَلاَ عَمَلَ يَصْعَدُ، ولاَ رِزْقَ يَنْزِلُ. ثُمَّ قال: عَهِدَ إِلَيَّ[19] حَبِيبِي رَسولُ اللهِ –صلى الله عليه وآله وسلم – أن لاَ أُخبِّرَ بِما يكُونُ بَعْدَ ذَلك.

جاءَ إليهِ – كَرَّمَ اللهُ وجهه – فقال:

يا أميرَ المُؤْمِنينَ، أخْبِرْنِي عَنِ القَدَرِ[20]؟ فَقالَ: بَحْرٌ عمِيقٌ فَلاَ تَلِجْهُ[21]. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنِي عَنِ القَدَرِ؟ قالَ: سِرُّ اللهِ – عزَّ وَجَلَّ – قَدْ خَفِيَ عَلَيْكَ، فَلاَ تُفْشِهِ[22]. قالَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنِي عَنِ القَدَرِ؟ قَالَ: كَرَّمَ اللهُ

---

[1] قُرَّاؤهم فسقة: صار قُراؤهم خارجين عن أمر ربّهم.

[2] يظهر الجَور: الظّلم.

[3] موت الفجاءة: موت الفجاءة، كالسّكتة القلبية في أيّامنا.

[4] استعملت المعازف: استعملت أدوات الطّرب وآلات الموسيقى.

[5] فشا الزّنى: انتشر الزّنى، وعَمّ.

[6] ركب ذوات الفروج السّروج: ركبت النّساء صهوات الخيل.

[7] السّلام للمعرفة: يُلقي الإنسان السّلام على من يعرفه وحسب.

[8] الشّاهد من غير أن يُسْتَشْهَدَ: من دون أن تُطلَب مِنْهُ الشّهادة.

[9] لبسوا جلود الضّأن على قلوب الذّئاب: كناية عن حسن ظاهرهم، وقبح طويّاتهم، وفساد قلوبهم.

[10] أنتنُ من الجيفة: أكثر نتانةً من رائحة الجيفة؛ والنَّتَنُ: الرّائحة الكريهة.

[11] النَّجاء النّجاء: النَّجَاةَ النَّجاةَ؛ أي: الزموا النَّجاة.

[12] الوحا الوحا: العجلةَ العجلةَ؛ الزموا العجلةَ.

[13] الجِدّ الجِدّ: الاجتهاد الاجتهادَ في الخلاص؛ الزموا الاجتهاد في الخلاص.

[14] نِعْمَ المسكنُ يومئذٍ بيت المقدس: القدس؛ أي المطهّر.

[15] الأصبغ بن نُباتة: لم أصطد له ترجمة.

[16] الشّأم: الشّام.

[17] الطّامّة الكبرى: كلّ شيء كثر حتّى علا وغلب فقد طمّ، ومنه سُمِّيت طامّة؛ لأنّها القاهرة الغالبة كلَّ شيء.

[18] مكوّرة: غير مضيئة.

[19] عَهِد إليّ: أوصاني.

[20] القَدَر: القضاء الذي يقدِّره الله – تعالى – وهو من أركان الإيمان.

[21] فلا تلجه: لا تخاطر بنفسك وتدخله، فيغشاك من الحَيرة والهمِّ ما غشي فرعون وجنوده من اليَمِّ.

[22] فلا تفسه: فلا تذكره، ولا تتشدّق به، فتصبح في حيرة، لا تجد سبيلاً إلى الخلاص منها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وجهه: أيُّها السَّائِلُ، إنّ اللَّهَ – عَزَّ وَجَلَّ – خَلَقَكَ لِمَا شَاءَ، أوْ لِمَا شِئْتَ؟ قالَ: بلْ لِما شَاءَ. قالَ: فَيَسْتَعْمِلُكَ لِمَا شاءَ، أوْ لِمَا شِئْتَ؟ قال: بَلْ لِمَا شاءَ. قالَ: أيُّها السَّائِلُ، أَلَسْتَ تَسأَلُ رَبَّكَ العَافِيَةَ؟ قالَ: بَلَى. قالَ: فَمِنْ أيّ شيْءٍ تَسأَلُهُ العافيَةَ؛ منَ البَلاءِ الّذِي ابْتَلاكَ بِهِ، أوِ البَلاَءِ الَّذِي ابْتَلَى بِهِ غَيْرَكَ؟ قالَ: بَلْ مِنَ البَلاَءِ الّذِي ابْتَلاَنِي بِهِ هُوُ. قالَ: أيُّها السَّائِلُ، أَلَسْتَ تَقولُ: لاحَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَ بمَن؟ قالَ: إلاّ باللهِ العَلِيّ العَظِيم. قالَ: أيُّها السَّائِلُ، أتَعْلَمُ مَا تَفْسيرُها[1]؟ قال: عَلَّمْني مِمّا عَلَّمَكَ الله، يا أمِيرَ المُؤْمنينَ. قال: فإنّ تَفْسيرَها، أَنَّ العَبْدَ لاَ يَقْدِرُ عَلى طَاعَةِ الله، وَلاَ تَكُونُ لَهُ قُوَّةٌ في مَعْصِيَةٍ في الأَمْرَيْنِ جَمِيعاً إلاّ باللهِ جلَّ وَعَزَّ. أيُّها السَّائِلُ، أَلَكَ مَعَ الله – جَلَّ وَعَزَّ – مَشيئَةٌ[2]، أوْ فَوْقَ الله مَشِيئةٌ، أوْ دُونَ ذلك مَشِيئةٌ؟ فإنْ زَعَمْتَ: أنَّ لَكَ دُونَ الله مَشِيئةً، فَقَدِ اكْتَفَيْتَ بِها عَنْ مَشيئَةِ الله. وَإنْ زَعَمْتَ: أنّ لَكَ فَوْقَ مَشِيئَةً، فَقَدْ زَعَمْتَ أنّ قُوَّتَكَ وَمَشيئَتَكَ غالِبَتانِ عَلى قُوَّةِ الله وَمَشِيئَتِهِ. وَإن زعَمْتَ أنَ لَكَ معَ الله – عَزّ وَجَلَّ – مَشِيئَةً، فَقَدْ زَعَمْتَ أنّ لكَ مَعَ الله شِرْكاً في مَشيئَتِهِ. أيُّها السَّائِلُ، إنَّ اللَّهَ – عَزّ وَجَلَّ – يُصِحُّ وَيُدَاوي؛ منْهُ الدَّاءُ، وَمِنْهُ الدَّوَاءُ[3]. أعَقلْتَ؟ قال: نَعَمْ. فَقال عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ – كرّم الله وجهه –: الآن أسْلَمَ أخُوكُمْ؛ فَقُومُوا فَصَافِحُوهُ. ثُمَّ قالَ – كرّم الله وجهه –: لَوْ أنّ عِنْدِي رَجُلاً مِنَ القَدَرِيَّةِ[4] لأَخَذْتُ بِصَلِيفِ رَقَبَتِهِ[5]، ثُمَّ لاَ أزَالُ أحُزُّها، حَتَّى اقْطَعَها، فإنّهُمْ يَهُودُ هذِهِ الأُمَّةِ[6]، وَنَصَارَاها، وَمَجُوسُها.

جاءَ رجلٌ منَ اليهودِ إلى
عليّ بن أبي طالبٍ كرّم الله وجهه، فقال:

يَا أميرَ المُؤمِنينَ، متَى كانَ رَبُّنا عزَّ وَجَلَّ؟ فَقال لَهُ كرّم الله وجهه: يَا يَهُودِيُّ[7]، لَمْ يَكُنْ رَبُّنا جَلَّ وَعَزَّ فَكانَ، وَإنّما يُقالُ مَتَى كانَ لِشَيْءٍ، لَمْ يَكُنْ فَكانَ؛ هُو كَائِنٌ بلا كَيْنُونَةٍ، كائِنٌ لَمْ يَزَلْ، لَيْسَ لَهُ قَبْلٌ فَهُوَ قَبْلَ القَبْلِ، وَقَبْلَ الغَايَةِ. انْقَطَعتِ الغايَاتُ عِنْدَهُ؛ فَهُوَ غايَةُ كُلّ غايَةٍ.

سأَلهُ رَجُلٌ عنْ تَفْسير لاَ حوْلَ وَلاَ قوَّةَ إلاّ باللهِ

فقال كرّم الله وجهه:

---

[1] ما تفسيرها؟: ما تفسير (لاحول ولا قوّة إلا باللهِ العليّ العظيم)؟.

[2] ألك مع الله – جلّ وعزّ – مشيئة؟: المراد – هنا – أنّ العبد ليس له مشيئة مستقلّة عن مشيئة الله تعالى؛ لأنّ مشيئة العبد محدودة ومقيَّدة، بمشيئة الخالق – جل جلاله – لأنّ الله –تعالى – أنزل في محكم التّنزيل: ﴿ ... وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الإنسان:30).

[3] منه الدَّواء: ومنه الدّاء: المراد أنّ السَّقم والصّحة من الله سبحانه وتعالى.

[4] القدرية: إحدى الفرق الكلاميّة، وكانت تجحد القدر.

[5] صليف رقبته: عرض رقبته.

[6] يهود هذه الأمة: زنادقة هذه الأمُّة الشَّاقُّون عصا المارقون من الكتاب والسّنّة.

[7] يا يهوديّ: المقصود السّائل الذي سأله.

This file was downloaded from QuranicThought.com

تَفْسيرُها: إنَّا لاَ نَمْلِكُ مَعَ الله شَيئاً، وَلاَ نَمْلِكُ مِنْ دُونِهِ شَيئاً، وَلاَ نَمْلِكُ إلاّ مَا مَلَّكَنَا، مِمَّا هُوَ أمْلَكُ بِهِ، فَمَتى مَلَّكَنَا ما هُوَ أمْلَكُ به، كَلَّفَنَا، وَمَتَى أخذَ منّا؛ وَضَعَ عَنَّا مَا كَلَّفَنَا. إنّ الله – عَزّ اسْمُهُ – أمَرَنَا مُخْتَبِراً[1]، وَنَهَانَا تَحْذِيراً، وَأعْطانَا عَلى قَلِيلٍ كَثِيراً. لَنْ يُطاعَ رَبُّنا مُكْرَهاً، وَلَنْ يُعْصى مَغْلُوباً.

جاءَ رجلٌ إلى أمير المؤْمنين

–كرّم الله وَجْهَهُ – فقالَ لهُ:

يَا أمِيرَ المُؤْمِنينَ، إنّي رَجلٌ فَقِيرٌ، لاَ مَالَ لِي وَلاَ وَلَدَ. فَقال لهُ: فأَيْنَ أنْتَ من كِتاب الله – عَزَّ وَجَلَّ – في قَوْلِهِ تَبارَكَ وَتَعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا[2] وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ[3] وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (نوح:10-12) فقالَ لَهُ: علِّمْني كَيْفَ أسْتَغْفِر؟ فَقالَ: تَقُولُ: اللَّهُمَّ، إنّي أسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ قَوِيَ عَلَيْهِ بَدَني بِعافِيَتِك، أوْ نالَتْهُ قُدْرَتي بِفَضْلِ نِعْمَتِكَ، أوْ بَسَطْتُ إلَيْهِ يَدِي بِسَابِغِ رِزْقِكَ[4]، أو اتَّكَلْتُ فيهِ عِنْدَ خَوْفِي مِنْهُ عَلَى أنَاتِكَ[5]، أوْ عَوَّلْتَ[6] فيهِ عَلى كَرَمِ عَفْوِكَ، أوْ وَثِقْتُ مِنْهُ بِحِلْمِكَ. اللَّهُمَّ، وَأسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ خُنْتُ فيهِ أمانَتِي، أوْ بَخَسْتُ بِفِعْلِهِ نَفْسِي، أوْ خَطِئْتَ بِهِ على بَدَنِي، أوْ قَدَّمْتُ فيهِ لَذّتي، أوْ آثَرْتُ فيهِ شَهْوَتِي[7]، أوْ قَهَرْتُ فيهِ مَنْ مَنَعَنِي، اللَّهُمَّ، وَأسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ سَبَقَ عَليَّ في عِلْمِكَ أنّي فَاعِلُهُ؛ فدَخَلْتُ فيهِ بِإرَادَتي، وَاجْتَرَحْتُهُ[8] بِمَحَبَّتِي، أوْ أتَيْتُهُ بِشَهْوَتِي، ثُمَّ أحَلتُ عَلَيْكَ رَبِّي، فَلَمْ أُغَالِبْكَ بِفِعْلِي، إذْ كُنْتَ كارِهاً لِمَعْصِيَتِي، لكِن سَبَقَ عِلْمُكَ فيَّ، فَحَلُمْتَ عَنّي[9]، فَلَمْ تُدْخِلْني فيه جَبْراً، وَلَمْ تَحْمِلْني عَلَيْهِ قَسْراً[10]، وَلَمْ تَظْلِمْني فيهِ شَيئاً، فاغْفِرْ لي يَا إلهي، إنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أنْتَ.

وَسُئِلَ – كرَّمَ الله وَجهَهُ – كَمْ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرضِ؟ فقال: دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ[11]. قِيلَ: فكَمْ بينَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ؟ قال: مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ.

البَرَاءُ بنُ عازِب[12] قال:

دَخَلْتُ عَلَى عَليَّ – كرّم الله وجهَه – فَقُلْتُ: يا أميرَ المُؤْمنينَ، سأَلْتُكَ باللهث، ألاّ خَصَصْتَني بأَعْظَمِ ما خَصَّكَ بِهِ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وآله وسلم – مِمَّا خَصَّهُ بِهِ جِبْرِيلُ، مِمَّا أرْسَلَهُ بِهِ الرَّحمنُ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقال: لَولاَ ما

---

[1] أمرنا مختبراً: مختبراً لنا؛ أنطيعه أم نعصيه؟.

[2] مِدراراً: كثيرة الدّرور بالمطر.

[3] جنّات: بساتين.

[4] بسابغ رزقك: بواسع رزقك.

[5] على أناتك: على حلمك.

[6] عَوَّلت فيه: اعتمدت فيه.

[7] آثرت فيه شهوتي: فضَّلت فيه شهوتي وقدَّمتها.

[8] اجترحته: اكتسبته.

[9] حلمت عنّي: لم تعاقبني في حال ارتكاب المعصية.

[10] قسراً: إكراهاً وإجباراً.

[11] دعوة مستجابة: يعني أنَّ الدّعوة المستجابة تصعد من الأرض إلى السَّماء كالسّهم، لا يردُّها رادٌّ، ولا يمنعها مانع، حتَّى يستجيب الله – تعالى – لصاحبها.

[12] البراء بن عازب: (... – 72 هـ) الأنصاريّ الأوسيّ، صحابيٌّ جليل، ردّه النَّبيُّ – صلى الله عليه وآله وسلم – يوم بدر لصغره. شهد مع النَّبيِّ 14 غزوة. ومات في إمارة مُصعَب بن الزُّبير.

This file was downloaded from QuranicThought.com

سأَلْتَ[1]، ما نَشَرْتُ دِكْرَ ما أُرِيدُ أَنْ أَسْتُرَهُ، حتَّى أُضَمَّن[2] لَحْدِي. إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَدْعُوَ باسْمِ اللهِ الأَعْظَمِ، فاقْرَأْ مِنْ أَوَّل "الحَدِيدِ" سِتَّ آياتٍ، وَآخِرِ "الحشرِ" هُو اللهُ الَّذي لاَ إِلهَ إِلاّ هُوَ إِلى آخِرِها. فإِذَا فَرَغْتَ فَتَكَلَّمْتَ، فَقُلْ: يَا مَنْ هوَ كَذَلكَ، افْعَلْ بِي كَذَا وَكَذَا. فَوَاللهِ، لَوْ دَعَوْتَ بِهِ عَلَى شَقِيٍّ لَسَعِدَ. قالَ البَرَاءُ: فَوَاللهِ لاَ أَدْعُو بِها لِدُنْيَا[3] أَبَداً. قالَ عَليٌّ: أَصَبْتَ؛ كَذَا أَوْصانِي رَسولُ اللهِ – صلى الله عليه وآله وسلم – غَيْرَ أَنَّهُ أَمَرَنِي أَنْ أَدْعُوَ بِهَا فِي الأُمُورِ الفَادِحَةِ[4].

وَقال أبو عَطَاء

خَرَجَ عَلَيْنا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَليُّ بنُ أَبي طالِبٍ – كرّمَ اللهُ وجهَهُ – مَحْزُوناً، يَتَنَفَّسُ، فَقالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ وَزَمَانٌ قَدْ أَظَلَّكُمْ[5]، تُعَطَّلُ فيهِ الحُدُودُ[6]، وَيُتَّخَذُ المالُ فِيهِ دُولاً[7]، وَيُعادَى أَوْلِياءُ اللهِ، وَيُوَالِي فيهِ أَعْدَاءُ اللهِ؟ قُلْنا: فإِنْ أَدْرَكْنَا الزَّمَانَ، فَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ قالَ: كُونُوا كَأَصْحابِ عيسى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، نُشِرُوا بالمناشِيرِ[8]، وَصُلِبُوا على الخَشَبِ. مَوْتٌ في طاعَةِ اللهِ – عَزّ وَجلَّ – خَيْرٌ مِنْ حَياةٍ في مَعْصِيَةِ اللهِ.

قامَ إليه – كرَّم اللهُ وَجهَهُ –

عَبَّادُ بنُ قَيسٍ[9] فقال:

يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنا مَا الإِيمانُ؟ وَمَا الإِسْلاَمُ؟ فَقالَ: نَعَمْ. يا بْنَ قَيْسٍ، إنّ اللهَ – جَلَّ ثَناؤُهُ – ابْتَدأ الأُمورَ بِعِلْمِهِ فِيها، وَاصْطَفى لِنَفْسِهِ ما شَاءَ. وَاسْتَخْلَصَ ما أَحَبَّ، فَكانَ ما أَحَبَّ، أَنَّهُ اخْتَارَ

الإِسْلاَمَ، فَجَعَلَهُ ديناً لِعِبادِهِ، اشْتَقَّهُ مِنَ اسْمِهِ؛ لأَنَّهُ السَّلاَمُ، وَدِينُهُ الإِسْلاَمُ، الَّذِي ارْتَضاهُ لَنفْسِهِ، فَنَحَلَهُ مَنْ أَحَبَّ[10] مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ شَرَّفَهُ، فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ، لِمَنْ وَرَدَهُ، وَعَزَّزَ أَرْكانَهُ، عَلى مَنْ حارَبَهُ. هَيْهاتَ مِنْ أَنْ يَصْطَلِمَهُ مُصْطَلِمٌ[11]؛ جَعَلَهُ عِزّاً لِمَنْ وَالاَهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ[12]، وَهُدىً لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضاءَ بِه، وَبُرْهاناً لِمَنْ تَمَسَّكَ وَزِينَةً لِمَنْ تَجَلَّلَهُ[13]، وَعَوْناً لِمَنِ انْتَحَلَهُ[14]، وشرفاً لَمَنْ عَرَفَهُ، وَحُجَّةً لِمَنْ نَطَقَ بِهِ، وَشاهداً لِمَنْ خاصَمَ بِهِ، وَفُلْجاً[15] لِمَنْ حاجَّ بِهِ، وَعِلْماً لمنْ وَعاهُ[16]، وَفَهْماً لِمَنْ رَوَاهُ، وَحُكْماً لِمَنْ قَضى بِهِ، وَحِلْماً لِمَنْ لَحَنَ بِهِ[1]وَلُبّاً لمنْ

---

[1] لولا ما سألت: لولا سؤالك إيّاي.

[2] أُضَمَّن لحدي: أدخل في قبري.

[3] لا أدعو بها لِدُنيا: أي لا أطلب بهذه الآيات الشَّريفة شيئاً من حُطام الدّنيا، بل أُنَزِّهُهَا عن ذلك لشرفها ورفعتها.

[4] الأمور الفادحة: النَّازلة من نوازل الدَّهر ومصائبه.

[5] قد أظلّكم: ألقى عليكم ظلّه؛ والمراد هنا: قَرُبَ منكم ودنا.

[6] تُعطَّل فيه الحدود: لا تُقامُ فيه الحدود التي أمر الله – تعالى – بها أن تُقاوم.

[7] يُتّخذ المالُ فيه دولاً: يصبح هَمُّ النّاس فيه جمع المال والثّروة. فيجتهدون في تداوله، والمنافسة فيه، على حساب الآخرة.

[8] المناشير: جمع (منشار) وهو آلة يقطع بها الخشب والحديد.

[9] هو عبّادُ بن قيس بن أُميّة بن مالك بن عامر بن عديّ بن كعب.

[10] نحله من أحبّ: أعطاه من أحبّه.

[11] يصطلمه مصطلم: يبطله مبطل.

[12] سلماً لمن دخله: سلاماً وأماناً له مِمَّا يخافه.

[13] تجلّله: تلبَّس به.

[14] انتحله: انتسب إليه

[15] فُلجاً: فوزاً.

[16] لمن وعاه: لمن فقهه وحفظه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

تَدَبَّرَهُ[2]، وَيَقيناً لِمَنْ عقلَهُ، وَفَهْماً لَمَنْ تَفَطَّن بهِ، وَعِبْرَةً لَمنِ اتَّعَظَ بهِ، وَحِبلاً وَثيقاً لَمَنْ تَعلَّقَ بهِ، وَنَجاةً لَمَنْ صَدَّقَ بهِ، وَمَوَدَّةً لَمَنْ أصْلَحَ، وزُلْفى لَمَن اقْتَربَ[3]، وَرَاحَةً لَمَنْ فَوَّضَ[4] ولِبَاساً لَمَنْ اتَّقى، وكَفْيَةً لِمَنْ آمَنَ، وَأمْناً لَمَنْ أسْلَمَ، وَرَوْحاً[5] لِلصَّادِقِينَ، فالإِسْلاَمُ أصْلُ الحَقِّ[6]؛ والحَقّ سبيلُ الهُدَى وصَفْقَتُهُ[7] الحُسْنى؛ ومأْثُرَتُهُ المَجْدُ، فَهُوَ أبْلَجُ المَنْهَجِ، نَيِّرُ السِّرَاجِ، مُشْرِقُ المَنارِ، ذَا كِي المِصْباحِ[8]، رَفيعُ الغَايَةِ، يَسيرُ المسْلَكِ، جامِعُ الحِيْلَةِ، قَديمُ العِدَّةِ، مُتَنافسُ السَّبْقَةِ، أليمُ النَّقْمَةِ، قَصْدُ الصَّادِقِينَ، وَاضِحُ البُرْهانِ، عَظِيمُ الشَّأنِ، كَرِيمُ الفُرْسان؛ فالإيمان مِنْهاجُهُ، وَالتَّقْوَى عُدَّتُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنارُهُ، وَالعِفَّةُ مَصابيحهُ، وَالْمُحبُّونَ فُرْسانُهُ، وَالمَوْتُ غايَتُهُ، وَالدُّنْيا مِضْمارُهُ[9]، وَالقِيامَةُ حَلْبَتُهُ[10] والجَنَّةُ سَبْقَتُهُ، وَالنَّارُ نقْمَتُهُ. فَمُعْتَصَمُ السُّعَداءِ بالإيمانِ، وَخِذْلاَنُ الأَشقِياءِ بالعِصْيانِ، مِنْ بعْد إيْجاءِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بالبَيانِ، إذَا وَضَحَ لَهُمْ مَنارُ الحَقِّ، وسبيلُ الهُدَى. فتارِكُ الحَقّ مُشَوَّهٌ[11] يَوْمَ التَّغَابُنِ[12] خِلْقَتُهُ، دِاحِضَةٌ حُجَّته[13]، عِنْدَ فَوْزِ السُّعَدَاءِ بالجَنَّةِ. فَبالإيمانِ يُسْتَدَلُّ عَلى التَّقوَى؛ وَبالتَّقْوى يُرْهَبُ المَوْتُ؛ وَبالمَوتِ تُخْتَمُ الدُّنْيا؛ وفي الدُّنْيا تُحْرَزُ الآخِرَةُ؛ وفي القِيامَةِ تُزْلَفُ الجَنَّةُ[14]؛ وَبالجَنَّةِ تَكُونُ حَسْرَةُ أهْلِ النَّارِ؛ وفي ذِكرِ أهْلِ النَّارِ، مَوْعِظَةُ أَهْلِ التَّقْوَى. وَالتَّقْوَى غَايةُ لاَ يَهْلِكُ مَنْ قَصَدَها، ولا يَندمُ من عَمِلَ بها؛ لأنَّه بالتَّقوى فازَ الفَائِزُونَ، وَبالمَعْصِيَةِ خَسِرَ الخَاسِرُونَ. وَلْيَذْكُرْ أهْلُ التَّقْوَى أَنّ الخَلْقَ، لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ[15] – في القِيَامَةِ – دُونَ الوقُوفِ بَينَ يَدَي الحَكَمِ العَدْلِ، مُرْقِلِينَ في مِضْمارِها[16]، نَحْوَ القَصَبَةِ[17] العُلْيا إلَى الغَايَةِ القُصْوَى[18]، مُهْطِعِينَ بأَعْناقِهِم[19]، نَحْوَ دَاعِيهَا قَدْ شَخَصُوا[20] مِنَ مُسْتَقَرِّ الأَجْدَاثِ[21] وَالمقَابِرِ، إلى ضَرُورَةِ

---

[1] لحِن به: طرب به وترنّم، و لم يخرج عن حَدِّ القراءة.

[2] لُبّاً لمن تدبّره: عقلاً لمن تفكّر فيه.

[3] زُلفى لمن اقترب: قربة ونزلة له.

[4] راحة لمن فوّض: سكينة لمن فوّض أمره إلى الله تعالى.

[5] رَوحاً للصّادقين: راحة وطمأنينة للصّادقين.

[6] الإسلام أصل الحقّ: يعني أنّ الحقّ أصله الإسلام؛ ولهذا ارتضاه الله – تعالى – لنفسه؛ حيث قال جلّ ذكره: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران:85).

[7] صفقته: بيعته.

[8] ذاكي المصباح: مشتعل المصباح، نيِّر المصباح.

[9] الدّنيا مضماره: المضمار المكان الذي تُضْمَرُ فيه الخيلُ للسّباق.

[10] القيامة حلبته: القيامة ساحة التّنافس بين النّاس؛ وفيها يُعرّف الفائزون والخاسرون.

[11] مُشوَّهة: مُقبَّحة.

[12] يوم التّغابن: يوم القيامة.

[13] داحضة حجّته: باطلة حُجَّته؛ والمعنى: لا حُجَّةَ تنفعه هناك.

[14] تزلف الجنَّة: تقرب.

[15] لا مقصر لهم: لا انتهاء لهم.

[16] مُرقلين في مضمارها: مُسرعين في مضمارها.

[17] نحو القصبة: قصبة السِّبق.

[18] القُصوى: البعيدة.

[19] مُهطعين بأعناقهم: مسرعين إلى الدَّاعي، مادِّين أعناقهم، خافضين رؤوسهم.

[20] شخصوا: برزوا وخرجوا.

[21] الأجداث: القبور.

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأَبَدِ لِكُلِّ أَهْلِها. قَدِ انْقَطَعَتْ بالأَشْقِياءِ الأَسْبَابُ، وأَفْضَوا[1] إلى عَذَابٍ شَدِيدِ العِقَابِ؛ فَلاَ كَرَّةَ[2] لَهُمْ إلى دار الدُّنْيا. وَافْتَقَرُوا مِنَ الخَيْرَاتِ، وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمُ الَّذِينَ آثَرُوا طاعَتَهُمْ[3]، عَلى طَاعَةِ الكَبِيرِ المُتَعالِ. وَفازَ السُّعَدَاءُ بِوِلايَةِ الإِيمانِ؛ فالإِيمانُ يا بْنَ قَيْس، علَى أَرْبَعَةِ أَرْكانٍ: الصَّبْرُ، وَاليَقِينُ، وَالعَدلُ، وَالجِهادُ. وَالصَّبْرُ مِنْ ذَلكَ، علَى أَرْبَعَةِ أَرْكانٍ: علَى الشَّوْقِ، وَالشَّفَقَةِ، وَالزُّهْدِ، وَالتَّرَقُّبِ[4]؛ فمنِ اشْتاقَ إلى الجَنَّةِ، سَلاَ عنِ الشَّهَوَاتِ. وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ[5]، رَجَعَ عَنِ الحرَّمات. ومَنْ زَهِدَ في الدُّنْيا، هَانَتْ عليْهِ المُصِيبَاتُ. وَمَنْ تَرَقَّبَ المَوْتَ، سارَعَ في الخَيْرَات. وَاليَقِينُ – منْ ذَلكَ – عَلى أَرْبَعةِ أَرْكانٍ: علَى تَبْصِرَةِ الفِطْنَةِ، وَمَوْعِظَةِ العِبْرَةِ، وَتأويلِ الحِكْمَةِ بتَبَيُّنِ العِبْرَةِ[6]؛ وَمَنْ تَبَيَّنَ العِبْرَةَ، عَرَفَ السُّنَّةَ، وَمَنْ عَرَفَ السُّنَّةَ، فَكأَنَّما كانَ في الأَوَّلِينَ، فاهْتَدَى إلى الَّتي هيَ أَقْوَمُ[7]. وَالعَدْلُ مِنْ ذلِكَ عَلى أَرْبَعَةِ أركانٍ: عَلى غَائِضِ الفَهْمِ[8]، وَغَمْرَةِ العِلْمِ[9]، وَزَهْرَةِ الحِكَمِ، وَرَوْضَةِ الحُكْمِ؛ فمَنْ فَهِمَ، فَسَّرَ جُمَلَ العِلْمِ؛ وَمَنْ عَلِمَ، شَرَعَ غَرَائِبَ الحِكَمِ، وَمَنْ شَرَعَ غَرَائِبَ الحِكَمِ، دَلَّتْهُ علَى مَعادِنِ الحِلْمِ، فَلَمْ يَضِلَّ؛ ومَنْ حَلُمَ، لَمْ يُفَرِّطْ في أمْرِهِ، وَعَاشَ في النَّاسِ حَمِيداً. والجِهادُ – مِنْ ذَلكَ – علَى أَرْبَعَةِ أَرْكانٍ: على الأَمْرِ بالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَالصِّدْقِ في المَوَاطِنِ، وَشَنْآنِ الفَاسِقِينَ[10]. فمَنْ أَمَرَ بالمَعْرُوفِ، شَدَّ ظَهْرَ المُؤمِنِينَ. ومَنْ نَهى عَنِ المُنْكَرِ، أَرْغَمَ أَنْفَ[11] المُنافِقِينَ. ومَنْ صَدَقَ في المَوَاطِنِ، قَضى ما علَيْهِ. ومَنْ شَنِىءَ الفَاسِقِينَ[12]، فَقَدْ غَضِبَ للهِ جَلَّ وعَزَّ. ومَنْ غَضِبَ للهِ جَلَّ ثَناؤُهُ – لَهُ ذَلكَ الإِيمانُ – يا ابْنَ قَيْسٍ – ودعَائِمُهُ[13] وأركانُهُ. أَفَهِمْتَ؟ قالَ: نَعَمْ. يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ، أَرْشَدَكَ اللَّهُ، فَقَدْ أَرشَدْتَ.

---

[1] أفضوا إلى عذاب: انتهوا إلى العذاب.

[2] فلا كَرَّةَ: فلا رجوعَ.

[3] آثروا طاعتهم: اختاروها وفَضَّلوها.

[4] التَّرَقُّب: الانتظار.

[5] أشفق من النّار: حذر منها وخافها.

[6] بتبيُّن العِبرة: (العِبرة) الاسم من الاعتبار.

[7] اهتدى إلى التي هي أقوم: أي اهتدى إلى الحال التي هي أفضل وأكثر سداداً؛ وهي توحيد الله تعالى، والإيمان به، وبملائكته، وبكتبه، وبرسله، وباليوم الآخرة، وبالقدر خيرِهِ وَشَرِّهِ.

[8] غائص الفهم: وروي غامِض الفهم؛ والصّواب ما ذُكر، ومعنى غائص الفهم: بعيد الفهم.

[9] غمرة العلم: كثرته ووفرته.

[10] شنآن الفاسقين: بغضهم.

[11] أرغم أنف المنافقين: مرَّغ أنفهم بالتّراب؛ والمعنى: أذلّهم، وصَيَّرهم مُحْتَقَرين.

[12] شنِىء الفاسقين: أبغضهم.

[13] دعائمه: جمع (دعامة)، وهي عماد البيت.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الباب السادس

في المَرويّ عنْهُ –كرَّم الله وجهَهُ– مِنْ غَرِيب كَلاَمِهِ

كانَ –كرَّم الله وجهَهُ– يُعَلِّمُ أصْحابَهُ الصَّلاَةَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: اللّهُمَّ دَاحِيَ المَدْحُوَّاتِ[1]، وَبارِىءَ المَسْمُوكاتِ[2]، وَجَبَّارَ القُلُوبِ عَلى فِطْرَاتِها[3]؛ شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا، اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَواتِكَ، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ، وَرَأْفَةَ تَحَنُّنِكَ، عَلى مُحمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ، الفاتِحِ لِمَا أُغلِقَ، والخَاتِمِ لِما سَبَقَ، والمُعْلِنِ الحَقِّ بالحَقِّ، والدَّامِغِ جَيْشاتِ الأَباطِيلِ[4]. كَما حُمِّل فاضْطَلَعَ[5] بأَمْرِكَ لِطاعَتِكَ، مُسْتَوْفِزاً في مَرْضاتِكَ[6]، لِغَيْرِ نَكْلٍ[7] في قَدَمٍ، ولاَ وهْنٍ[8] في عَزْمٍ، واعِياً لِوَحْيِكَ[9]، حافِظاً لِعَهْدِكَ، ماضِياً عَلَى نَفاذِ أَمْرِكَ؛ حتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقابِسٍ[10]، وأنارَ عَلَماً لِحَابِسٍ[11]. آلاء اللهِ[12]، تَصِلُ بأَهْلِهِ أسْبابَهُ؛ بِهِ هُدِيتِ القُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الفِتَنِ والإِثْمِ فأَبْهجَ موضَحاتِ الأَعْلاَمِ، ونائِراتِ الأَحكام، وَمُنِيرَاتِ الإِسْلامِ؛ فَهُوَ أَمِينكُ المأْمُونُ، وَخازِنُ عِلْمِكَ المَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وبَعِيثُكَ نِعْمةً، وَرَسُولُكَ بالحَقِّ رَحْمةً. اللَّهُمَّ، افْسَحْ لَهُ مفْسَحاً في عَدْلِكَ أَوْ عَدْنِكَ[13]، وَاجْزِه مُضاعَفاتِ الخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ مُهَنَّآتٍ لهُ غَيْرَ مُكَدَّرَاتٍ[14]، مِنْ فَوْزِ ثَوَابِكَ المَحْلُولِ، وَجَزِيلِ عَطائِكَ المَعْلُولِ. اللَّهُمَّ، أَعْلِ على بَنَاءِ البانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ وَمَثْوَاهُ[15]، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وَأُجْزِهُ مِنَ ابْتِعاثِكَ لهُ[16]، مَقْبُولَ الشَّهادةِ، وَمَرْضِيَّ المَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وَخُطَّةٍ فَصْلٍ[17]، وَحُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ عَظِيمٍ.

وقال كرَّم الله وجهَهُ

---

[1] داحي المدحوَّات: باسط الأرضين السَّبع.

[2] بارىء المسموكات: خالق السِّموات.

[3] فِطراتها: جمع (فِطرة) وهي الخِلقة.

[4] الدّامغ جيشات الأباطيل: القاطع حركات الأباطيل الماحي رسومها.

[5] فاضطلع: قوي عليها؛ وهي من الضّلاعة (القّوة).

[6] مستوفزاً في مرضاتك: ناهضاً فيها، مسارعاً إليها، غير متكاسل عنها.

[7] لغير نَكْلٍ: لغير نكوص.

[8] ولا وهن: ولا ضعيف.

[9] واعياً لوحيك: حافظاً له.

[10] أورى قبساً لقابس: أشعل شعلة لمستنير.

[11] أنار علماً لحابس: أنار علامةً.

[12] آلاء الله: نعمه.

[13] عدنك: جنَّتك.

[14] مُكدّات: (الكَدر) نقيض الصّفاء؛ والمقصود –هنا– مُنغَّصات.

[15] نزله ومثواه: النُّزل ما يهيّأ للنَّزيل؛ والمثوى: دار الإقامة الدّائمة.

[16] أجره من ابتعاثك له: أوْجره من جرَّاء بعثتك إيّاه.

[17] خطَّة فصل: الخُطّة (بضمِّ الحاء) شِبْهُ القصّة، والأمر. والمقصود: والأمر الفصل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

ذِمَّتِي رَهِينَةٌ وَأنا بِهِ زَعِيمٌ[1]، لِمَنْ صَرَّحَتْ لَهُ العِبَرُ، أنْ لاَ يَهِيجَ على التَّقوى زَرْعُ قَوْمٍ. ولاَ يَظمَأَ علي التَّقوى سِنْخُ[2] أصْلٍ. ألاَ وَإنَّ أبْغَضَ خَلْقِ اللهِ رَجُلٌ قَمَشَ[3] عِلْماً، غَارَّاً بأَغْبَاشِ[4] الفِتْنَةِ، عَمِيّاً بِمَا في غَيْبِ الهُدْنَةِ، سَمَّاهُ أشْباهُهُ مِنَ النَّاسِ عالِماً، وَلَمْ يَغْنَ[5] في العِلْمِ يَوْماً سَالِماً. بَكَّرَ فاسْتَكْثَرَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ؛ فَهْوَ خَيْرٌ مِمَّا كَثَّرَ، حَتَّى إذَا ما ارْتَوى مِن آجِنٍ[6]، وأكْثَرَ مِنْ غَيْرِ طائِلٍ؛ قَعَدَ بَيْنَ النَّاسِ قاضِياً لِتَخْلِيصِ ما الْتَبَسَ على غيْرِهِ. إنْ نَزَلَتْ بِهِ إحدى المُبْهَماتِ[7]، هَيَّأَ حَشْواً رَأْياً مِنْ رَأيِهِ؛ فَهْوَ مِنْ قَطْعِ الشُّبُهاتِ في مِثْلِ غَزْلِ العَنْكَبُوتِ[8]؛ لأَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ إذَا أخْطَأَ، أأخْطَا أمْ أصابَ؛ خَبَّاطُ عَشَوَاتٍ[9]، رَكَّابُ جَهَالاَتٍ، لاَ يَعْتَذِرُ مِمَّا لاَ يَعْلَمُ، فَيَسْلَمَ، ولاَ يَعَضُّ[10] في العِلْمِ بضِرْسٍ قاطِعٍ؛ يَذْرُوا الرِّوايةَ ذَرْوَ الرِّيحِ الهَشِيمَ؛ تَبْكِي مِنْهُ الدِّماءُ، وتَصْرُخُ مِنْهُ المَواريثُ، ويُستَحَلُّ بقَضائِه الفَرْجُ الحَرامُ[11]، لا مَلِيءٌ واللهِ بإصْدَارِ ما وَرَدَ عَلَيْهِ، ولاَ أهْلٌ لِمَا قُرِّظَ[12] بِهِ.

تفسير غريبه

قَولُهُ لاَ يَهِيجُ: يُرِيدُ لاَ يَجِفُّ. والسِّنْخُ: الأَصلُ، وأضافُ أحَدَهُما إلى الآخَرِ، لاخْتِلاَفِ لَفْظَيْهِما؛ وأرَادَ أنَّهُ مَنْ عَمِلَ للهِ عَملاً لَمْ يَفْسُدْ ذلِكَ العمَلْ، ولَمْ يَبْطُلْ كَما يَفْسُدُ النَّبْتُ، ولكِنَّهُ لاَ يَزَالُ ناضِراً[13]. وأغْباشُ الفِتْنَةِ: ظُلَمُها؛ والهُدْنَةُ السُّكُونُ.

أرَادَ أنَّهُ لاَ يَعْرِفُ ما في الفِتْنَةِ مِنَ الشَّرِّ، ولاَ في السُّكُونِ مِنَ الخَيْرِ. ولَمْ يَغْنَ: أيْ لَمْ يَلْبَثْ في العِلْمِ يَوْماً تامّاً. والآجِنُ: الماءُ المُتَغيّرُ. وإحْدى المُبْهَمات: المسألةُ المُعْضِلَةُ. وقَوْلُهُ خَبَّاطُ عَشَوَاتٍ: هُوَ الَّذِي يَخبِطُ في الظُّلَمِ. وقَوْلُهُ ولاَ يَعَضُّ في العِلْمِ بضِرْسٍ قاطِعٍ: أيْ لَمْ يُتْقِنْهُ، ولَمْ يُحْكِمْهُ. وقَوْلُهُ: لِمَا قُرِّظَ بِهِ، التَّقْرِيظُ: المَدْحُ.

وروى ابن عبَّاس[14] قال:

رَأيْتُ أميرَ المُؤمِنينَ عَلِيّاً –كرّم الله وجهه–يَوْمَ صِفّينَ[15]، وعلى رَأسِهِ عمامةٌ بيْضاءُ، وكأنّ عَيْنيْهِ سِرَاجاَ سليطٍ[16]، وهْوَ يُحَمِّشُ[1] أصْحابَهُ، إلى أنِ انْتهى إلَيَّ، وأنا في كَتِفٍ[2]، فَقالَ: مَعْشَرَ المُسلِمِينَ، اسْتَشْعِرُوا الخَشْيَةَ، وعَنُّوا[3]

---

[1] زعيم: كفيل.

[2] سِنخ أصل: السِّنخ من كلّ أصله، وجمعه أسناخ.

[3] قَمشَ: جمع علماً من هنا وهناك.

[4] غارّاً بأغباش الفتنة: (أغباش) جمع أغبش غَبَش؛ وهي بقيّة اللّيل، أو ظلمة آخره.

[5] لم يغن في العلم يوماً سالماً: لم يلبث في العلم يوماً تامّاً.

[6] آجن: الماء المتغيَّر الطّعم واللّون.

[7] المبهمات: جمع (مُبْهَمَ) وهو الأمر الذي لا مأتى له؛ والمراد –هنا– المسألة المعضلة.

[8] في مثل غزل العَنْكبوت: أي في غاية الضّعف والوَهْن.

[9] خبَّاط عشوات: (خَبَّاط) صيغة مبالغة من خابط؛ وهو من سار في سيره على غير هدًى؛ ومنه يَخْبِطُ خَبطَ عشواء.

[10] لا يعضُّ في العلم بضرس قاطع: لم يأخذ من العلم بنصيب وافٍ؛ فلم يتقنه، و لم يحكمه.

[11] يُستحلُّ بقضائه الفرجُ الحرامُ: كناية عن إتيانه الفُتيا بدون علم ولا معرفة، فيفتي النّاس وهو جاهل فيحرَّم الحلال، ويحلل الحرام.

[12] لما قَرِّظ به: لِمَا مُدِح به.

(13) لا يزال ناضراً: لا يزال شديد الخضرة؛ و(ناضر) يُبالغ به في كلّ لون؛ أحمر ناضر، وأصفر ناضر، وهكذا.

[14] ابن عبّاس: عبدالله بن عبّاس بن عبدالمطّلب، صحابي جليل، وعالم في الفقه، والعربية، والأنساب، وأيّام العرب؛ وهو حبر هذه الأمة. تُوفّي سنة 68هـ.

[15] يوم صفّين: موقعة (صِفّين)؛ وهو الموضع الذي كانت به الفتنة الكبرى بين عليّ ومعاوية في غرّة صفر سنة 37 هـ.

[16] سليط: زيت.

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأَصواتَ وتَجَلْبَبُوا السَّكِينةَ، وأَكْمِلُوا اللُّؤَمَ[4]، وأخِفُّوا الجُنَنَ[5]، وأَقْلِقُوا[6] السُّيوفَ في الغِمْدِ[7] قَبْلَ السَّلَّةِ. وَالحَظور الشَّزْرَ[8]، واطْعَنُوا الشَّزْرَ أوِ النَّتْرَ أو اليَسْرَ (كُلّاً قدْ سَمِعْتُ). ونافِحوا بالظُّبى[9]، وصِلوا السُّيوفَ بالخُطى[10]، والرِّماحَ بالنَّبلِ[11]، وَامْشُوا إلى الموْتِ مِشْيَةً سُجُحاً[12]، أوْ (سَجْحاءَ). وعلَيْكمُ الرِّوَاقَ المُطَنَّبَ[13]، فاضْربوا ثَبَجَهُ[14]، فإنَّ الشَّيْطانَ راكِدٌ في كِسْرِهِ[15]، نافِجٌ حِضْنَيْهِ[16]، مُفْتَرِشٌ ذِرَاعَيْهِ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَداً، وَأخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلاً.

تفسير غريبه

السَّلِيطُ: الزَّيْتُ. يُحَمِّشُ أصْحَابهُ: أي يَذْمُرُهُمْ، وَيُغَضِّبُهُمْ. وَالكَتِفُ: الجَماعةُ. وقَوْلُهُ وَعَنُّوا الأصْوَاتَ: أي احْبِسُوهَا وَاخْفُوها. وَاللُّؤَمُ: جَمْعُ لأْمَةٍ، وَهْيَ الدِّرْعُ. وَالجُنَنُ: التِّرسةُ؛ يَقُولُ: اجْعَلُوها خِفَاقاً. وأقْلقُوا السُّيُوفِ؛ أي سَهِّلُوها قَبْلَ أنْ تَحْتاجُوا إلى ذلِكَ، لِئلاَّ تَعْسُرَ. وَالظُّبى: جَمْعُ ظُبَةِ السَّيْفِ؛ أيْ حَدُّهُ وَقَوْلُهُ وَصِلُوا السُّيُوفَ بالخُطَى: أيْ إذَا قَصُرَتْ عَنِ الضَّرَائِب، تقَدَّمْتُمْ وَأسْرَعْتُمْ. وَقَوْلُهُ وَالرِّماحُ بالنَّبْلِ: أيْ إذَا قَصُرَتِ الرَّماحُ بِبُعْدِ مَنْ تُرِيدُونَ طَعْنَهُ، رَمَيْتُمُوهُ بالنَّبْلِ، وقَوْلُهُ مِشْيَةً سُجُحاً: أيْ سَهْلةً. والرِّوَاقُ: رِوَاقُ البَيْتِ المَشْدُودُ بالأَطْناب. والحِضْنانِ: الجَنْبانِ. وقَوْلُهُ والحَظُوا الشَّزْرَ: هُوَ النَّظَرُ بِمُؤَخَّرِ العَيْنِ نَظَرَ العدُوِّ. والطَّعْنُ اليَسْرُ: ما كانَ حِذَاءَ وَجْهِكَ، والشَّزْرُ: عَنْ يَمِينِكَ وشِمَالِكَ، والنَّتْرُ: الطَّعْنُ الخَلْسُ.

وقالَ كرَّمَ الله وجهَهُ:

مَنْ أرَادَ البَقَاءَ – ولا بقَاءَ– فَلْيُباكِرِ الغَدَاءَ، وَلْيُقِلَّ غِشْيانَ النِّساءِ، ولْيُخَفِّفِ الرِّدَاءَ. قِيلَ: يا أمِيرَ المُؤْمنينَ، وما خِفَّةُ الرِّدَاءِ؟ قالَ كرم الله وجهه: قِلَّةُ الدَّيْنِ.

كَنى بالرِّداءَ عَنِ الظَّهْرِ؛ لأَنَّهُ يَقَعُ عَلَيْهِ. يَقُولُ: فَلْيُخَفِّفْ ظَهْرَهُ، ولاَ يُثْقِلْهُ بالدَّيْنِ.

---

[1] يُحمِّش: يحرِّضهم، ويغضِّبهم.

[2] كَتِف: جماعة.

[3] عَنُّوا الأصوات: احبسوها واخفوها.

[4] أكملوا اللُّؤَم: اللُّؤَم جمع (لأمة) وهي الدِّرع.

[5] أخِفُّوا الجُنَن: (الجُنن) جمع جُنَان؛ وهو التّرس.

[6] أقلقوا السّيوف: سهِّلوها قبل أن تحتاجوا إلى ذلك؛ لكي لا تعسر عليكم.

[7] الغِمد: جفن السّيف.

[8] الشَّزْر: النَّظر بمؤخّر العين نَظَر العدوّ. والطّعن اليُسر: ما كان حِذاء وجهك. والطّعن الشَّزر: ما كان عن يمينك وشمالك. والنّتر: الطّعن الخَلْس.

[9] نافحوا بالظُّبى: دافعوا بالسّيوف؛ والظُّبى جمع (ظُبَة) وهي حَدُّ السِّيف.

[10] صلوا السّيوف بالخطى: إذا قصرت عن الضّرائب، تقدَّمتم وأسرعتم.

[11] والرّماح بالنّبل: إذا قصرت الرِّماح لبعد من تريدون طعنه، رميتموه بالنَّبل.

[12] مشية سُجُحاً: سهلةً.

[13] الرِّواق المطنّب: لسُرَادق المشدود بالحبال؛ و(الأطناب): جمع (طُنُب) وهو حبل طويل يُشدُّ به سرادق البيت.

[14] ثبجه: وسطه.

[15] راكد في كِسره: ساكن في جانبه.

[16] نافجٌ حِضنيه: رافع جنبيه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

رَأى كرَّم الله وَجهَهُ رَجُلاً في الشَّمسِ فقال:

قُمْ عَنْهَا، فإنّها مُبْخِرَةٌ، مُحْفِرَةٌ، تُتْفِلُ الرِّيحَ، وَتُبْلِي الثَّوْبَ[1]، وَتُظْهِرُ الدَّاءَ الدَّفِينَ.

قَوْلُهُ كرَّم الله وَجهَهُ- مُجْفِرَةٌ: أي تَقْطَعُ شَهْوَةَ النِّساء، وقَوْلُه: تُتْفِلُ الرّيحَ: أي تُنْتِنُها، وَالاسْمُ: التَّفَلُ؛ يُقالُ امْرَأةٌ تَفِلَةٌ: أي أنْتَنَ رِيحُها. وَقَوْلُهُ الدَّاءُ الدَّفِينُ: هُوَ المُسْتَتِرُ الَّذِي قَدْ قَهَرَتْهُ الطَّبِيعَةُ؛ يَقُولُ: فالشَّمْسُ تُعِينُهُ على الطَّبِيعَةِ وَتُظْهِرُهُ.

قال كرّمَ الله وَجهه

إنّ مِنْ وَرَائِكُمْ أمُوراً مُتَمَاحِلَةً رُدُحاً، وَبَلاَءً مُكْلِحاً مُبلِّحاً. المُتَماحِلَةُ: الطِّوَالُ يَعْني فِتناً يَطُولُ أمْرُها. وَالرُّدُحُ جَمْعُ رَدَاحٍ؛ وهْي العَظيمَةُ. يُقالُ ذلكَ لِلْكَتيبَةِ[2]، إذَا عَظُمَتْ، وَلِلْمَرْأةِ إذَا كَبِرَتْ عَجيزَتُها. وَقَوْلُهُ مُكْلِحاً[3]: أيْ يكْلَحُ النَّاسُ لِشِدَّتِهِ. يُقالُ كَلَحَ الرَّجُلُ، وَأكْلَحَهُ الهَمّ. وَالمُبلِّحُ: مِنْ قَوْلِكَ بَلَّحَ الرَّجُلُ، إذَا انْقَطَع من الإعياءِ[4]، فَلَمْ يَقْدِرْ أنْ يَتَحَرَّك.

وقال كرَّم الله وجْهَهُ:

البَيْتُ المَعْمُورُ نِتاقُ الكَعْبَةِ مِنْ فَوْقِها. قَوْلُهُ - كرَّم الله وجهه- نتاقُ الكَعْبَةِ: أيْ مُطِلٌّ عليْها مِنْ فَوْقِها مِنْ قَوْلِ الله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ (الأعراف:171).

وقال كرَّم الله وجْهَهُ:

خُذِ الحِكْمَةَ أنَّى أتَتْكَ، فإنّ الكَلِمَةَ مِنَ الحِكْمَةِ، تَكُونُ في صَدْرِ المُنافِق، فَتَلَجْلَجُ[5] حتَّى تَسكُنَ إلى صاحِبَتِها. يُقالُ لَجْلَجَ اللُّقْمَةَ في فيهِ: إذَا أدَارَها، وَلَمْ يُسِغْها، وَأرَادَ - كرَّم الله وجْهَهُ- أنّ الكَلِمَةَ، قَدْ يَعْلَمُها المُنافِقُ، فلاَ تَزالُ تَتَحَرَّكُ في صَدْرِهِ، ولاَ تَسْكنُ، حَتَى يَسْمَعَها المُؤْمِنُ، أوِ العالِمُ فَيَثْقَفَها[6]؛ فتَسْكُنَ في صَدْرِهِ إلى أخَوَاتِها مِنْ كَلمِ الحِكْمَةِ.

---

[1] تبلي الثّوب: تصيّره رثّاً بالياً.

[2] الكتيبة: الطائفة من الجيش.

[3] مُكْلِحاً: مُكشِّراً في عبوس.

[4] الإعياء: التّعب والإرهاق.

[5] تَلجلجُ: تتلجلجل، تتحرّك ولا تسكن.

[6] فيثقفها: فيعيها ويَفْهَمُها ويَحذِقُهَا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

www.alalbait.ps
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الباب السابع

في المرويّ عنه – كرّم الله وجههُ – في نوادر كلامه ومُلَح[1] أَلفاظه

صفة المؤمن

قالَ زَيدُ بْنُ أسْلَمَ: وَصَفَ أمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَليُّ بنُ أبي طالِبٍ –كرّم الله وجهه – المُؤْمِنَ، فَقالَ:

صِفَةُ المُؤْمِنِ قُوَّةٌ في دِينِهِ، وَجُرْأةٌ[2] في لِينِهِ، وَإِيمانٌ في يَقِينِهِ، وَحَوْضٌ في فِقْهٍ، وَبِرٌّ في استِقامَةٍ، وَعَمَلٌ في عِلْمٍ، وَنَشاطٌ في هُدىً، وَكَيْسٌ في رِفْقٍ[3]، لاَ يَغْلِبُهُ فَرْجُهُ، وَلاَ يَفْضَحُهُ بَطْنُهُ؛ نَفْسُهُ منْهُ في عَناءٍ[4]، وَالنَّاسُ مِنْهُ في إعْفاءٍ[5]، لاَ يَغْتابُ، وَلاَ يَتَكَبَّرُ.

وقال كرَّمَ الله وَجْهَهُ:

أعْجَبُ ما فِي هذَا الإِنْسانِ قَلْبُهُ! وَلَهُ مَوَادُّ منَ الحِكْمَةِ، وأضْدَادٌ مِنْ خِلاَفِها؛ فَإِنْ سَنَحَ لَهُ[6] الرَّجاءُ؛ أذَلَّهُ الطَّمَعُ. وإنْ هَاجَ بهِ الطَّمَعُ؛ أهلَكَهُ الحِرْصُ. وإنْ مَلَكَهُ اليَأْسُ؛ قَتَلَهُ الأَسَفُ وإنّ عَرَضَ لَهُ الغَضَبُ؛ اشْتَدَّ بهِ الغَيْظُ. وَإِنْ أُسْعِدَ بالرِّضى؛ نَسِيَ التَّحفُّظَ[7]. وَإِنْ نالَهُ الفَزَعُ؛ شَغَلَهُ الحَذَرُ. وإنَ اتَّسَعَ لَهُ الأَمْنُ[8]؛ اسْتَلبَتْهُ الغِرَّةُ[9]. وإنْ أفادَ مالاً[10]؛ أطْغاهُ[11] الغنى. وَإِنْ أصابَتْهُ فاقَةٌ[12]؛ مَسَّهُ الجَزَعُ[13]. وإنْ نَهكَهُ الجُوعُ[14] قَعَدَ بهِ الضَّعْفُ وإنْ أفْرَطَ بهِ الشِّبَعُ؛ كَظَّتْهُ البِطْنَةُ[15]. فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بهِ مُضرٌّ؛ وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ.

كانَ – كرَّمَ الله وَجهَهُ – إذا نظرَ إِلَى الهِلالِ قال:

---

[1] مُلَح: جمع (مُلْحَة) بضمِّ الميم؛ وهي ما يُستملحُ من الكلام.

[2] جرأة: شجاعة.

[3] كيس في رفق: عقل وفطنة في ترفّق.

[4] عناء: تعب ونصب.

[5] إعفاء: عافية وراحة.

[6] سَنَحَ له: عَرَض له.

[7] نسي التَّحفُّظ: نسي الاحتراز والتَّيقُّظ.

[8] اتَّسع له الأمن: وفي رواية (الأمر).

[9] الغِرّة: الغفلة.

[10] أفاد مالاً: استفاد مالاً.

[11] أصغاه الغنى: جعله يجاوز الحدّ في العِصيان.

[12] أصابته فاقة: أصابه فقر.

[13] مسَّه الجزع: مسَّه الخوف وانتابه.

[14] نَهِلكه الجوع: أضناه وجهده.

[15] كظَّته البطنة: أضنته وأجهدته البطنة؛ وهي شدّة امتلاء المعدة من الطّعام.

This file was downloaded from QuranicThought.com

أيُّها الخَلْقُ المُطِيعُ لِلَّه، الدَّائرُ السَّرِيعُ المُتَرَدِّدُ في مَنازِلِ التَّقْدِيرِ، المُتَصَرِّفُ في فَلَكِ التَّدْبِيرِ؛ آمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلَمَ، وأوضَحَ بِكَ البُهَمَ[1]، وجَعَلَكَ آيةً مِنْ آياتِ[2] مُلْكِهِ، وعَلامَةً مِنْ عَلاَماتِ سُلْطانِهِ، فامْتَهَنَكَ[3] بالزِّيادَةِ والنُّقْصانِ، وَالطُّلُوعِ وَالأُفُولِ، والإنارَةِ والكُسُوفِ؛ في كُلِّ ذلِكَ أنْتَ لهُ مُطِيعٌ، وإلى إرَادَتِهِ سَرِيعٌ، سُبْحَانَهُ فَما أعْجَبَ ما دَبَّرَ في أمْرِكَ! وألْطَفَ ما صَنَعَ في شَأْنِكَ! جَعَلَكَ مِفْتاحَ شَهْرٍ لأَمْرٍ حادِثٍ، جَعَلَكَ اللهُ هِلاَلَ بَرَكَةٍ لاَ تَمْحَقُهُ الأَيَّامُ[4]، وطَهارَةٍ لا تُدَنِّسُهُ[5] الأَعْوَامُ؛ هِلاَلَ أَمَنَةٍ[6] مِنَ الآفاتِ[7]، وسَلاَمَةٍ مِنَ السَّيِّئاتِ؛ هِلاَلَ سعْدٍ لاَ نَحْسَ فِيهِ، ويُمْنٍ لا نَكَدَ[8] فِيهِ، وَيُسْرٍ لاَ يُمازِجُهُ عُسرٌ، وخَيْرٍ لاَ يَشُوبُهُ شَرٌّ؛ هِلاَلَ أمْنٍ وَإيمانٍ، ونِعْمَةٍ وَإحْسانٍ، وسَلاَمَةٍ وَإسْلاَمٍ، اللَّهُمَّ، اجْعَلْنا مِنْ أرْضى مَنْ طَلَعَ علَيه، وأزكى[9] مَنْ نَظَرَ إلَيْهِ، وأسْعَدِ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيه. اللَّهُمَّ، وَفِّقْنا لِلتَّوْبة، وَاعْصِمْنا مِنَ الحَوْبَةِ[10]، وَأوْزِعْنا شُكْرَ النِّعْمةِ[11] وَأَلْبِسْنَا العافِيَةَ، وأَتْمِمْ علَيْنا – باسْتِكْمالِ طاعَتِكَ فِيهِ – المِنَّةَ[12] لكَ، إنَّكَ المَنَّانُ الحَمِيدُ.

وقال كرَّم الله وَجْهَهُ في حقِّ العالِم

مِنْ حَقِّ العالِم أنْ لاَ تُكْثِرَ علَيهِ السُّؤَالَ، ولاَ تُعْنِتَهُ[13] في الجَوَابِ، ولاَ تُلِحَّ علَيهِ إذَا كَسِلَ، ولاَ تَأْخُذَ بِثَوْبِهِ إذَا نَهَضَ وَلاَ تُفْشِيَ لهُ سِرّاً[14]، ولاَ تَغْتَابَ عِنْدَهُ أحَداً، وأنْ تَجْلِسَ أمامَهُ، وَإذَا أتَيْتَهُ قَصَدْتَهُ بالتَّحِيَّةِ، وسَلَّمْتَ علَى القَوْمِ عامَّةً، وأنْ تَحْفَظَ سِرَّهُ، ومَغِيبَهُ، ما حَفِظَ أمْرُ اللهِ[15] عَزَّ وجَلَّ، فإنّما العالِمُ بِمَنْزِلَةِ النَّخْلَةِ، تَنْتَظِرُ مَتى يَسْقُطُ علَيكَ مِنْها شَيْءٌ؛ والعالِمُ أفْضَلُ مِنَ الصَّائِمِ القائِمِ الغَازِي في سَبِيلِ اللهِ؛ وَإذَا ماتَ العالِمُ، انْثَلَمَ بِمَوْته في الإسلاَمِ ثُلْمةٌ[16] لاَ تُسَدُّ إلى يَوْمِ القِيامةِ. وَإذَا ماتَ العالِمُ، شَيَّعهُ سَبْعَةٌ وسَبْعُونَ ألْفاً، مِنْ مُقَرَّبِي السَّماءِ[17]

وقال كرَّم الله وجهَهُ:

---

[1] البُهَم: المُبهمات، والظّلمات.

[2] آية من آيات: علامة من علامات.

[3] فامتهنك: استعملت.

[4] لا تمحقه الأيام: لا تبطله ولا تمحوه.

[5] لا تُدَنِّسه: لا توسّخه.

[6] أمَنَة: أمان وسلامة.

[7] الآفات: جمع (آفة) وهي الجائحة.

[8] يُمن لا نكد منه: خير لا كدَر فيه.

[9] أزكى من نظر إليه: أكثر نُمُوّاً وزيادة من الخيرات.

[10] الحَوبة: الذّنب.

[11] أوزعنا شكر النِّعمة: ألهمنا شكرك عليها.

[12] المِنَّة: النِّعمة.

[13] ولا تُعنتَه في الجواب: لا تكلّفه المشقّة فيه.

[14] لا تفشيَ له سِرّاً: لا تظهر له سِرّاً لأحد من النّاس.

[15] ما حفظ أمر الله: ما دام حافظاً أمر الله؛ وأمَّا العالم الذي لم يحفظ أمر الله –تعالى– فلا يستحق شيئاً من هذه الوصيّة.

[16] ثُلْمةٌ: فرحة، خَلَل.

[17] مقرّبي السَّماء: الملائكة المقرَّبين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

أيُّها النَّاسُ، إنّ أوَّلَ وُقُوعِ الفِتَنِ أهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وأحكامٌ تُبْتدَعُ[1]، يُخالَفُ فِيها حُكْمَ اللهِ، ويَتَوَلَّى عليْها رِجالٌ رجالاً. ولَوْ أنّ الحَقَّ أُخلِصَ، فعُمِلَ به، لم يَخْفَ على ذِي حِجاً[2]، ولكنَّهُ يُؤخَذُ ضِغْثٌ مِنْ هذَا وضِغْثٌ مِنْ هذَا[3]، فيُخْلَطُ، فيُعْمَلُ بِهِ؛ فعِنْدَ ذلِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيطانُ على أَوْلِيائِه. ويَنْجُوا الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ منَّا الحُسْنى[4].

خبرُ النَّاقوسِ

مَرَّ عليٌّ – كرّم الله وجهه – وَمَعَهُ الحارثُ الأَعْوَرُ، فإذَا دَيْرَانِيٌّ[5]، يَضْرِبُ بالنَّاقُوسِ. فَقالَ عَليٌّ – كرّ الله وجهَهُ –: يَا حارِثُ، أتَعْلَمُ ما يَقُولُ هذَا النَّاقُوسُ؟ قالَ: اللهُ، وَرَسُولُهُ، وَابْن عَمِّ رَسُولِهِ أعْلَم. قالَ: إنَّهُ يَصِفُ مَثَلَ خَرَابِ الدُّنْيا، يقولُ:

مَهْلاً مَهلاً يا بْنَ الدُّنْيا ... مَهْلاً مَهْلاً إنَّ الدُّنْيَا

قَدْ غَرَّتْنا وَاسْتَهْوَتْنَا ... لَسْنا نَدْرِي ما فَرَّطْنَا

فِيهَا إلاَّ أنْ قَدْ مُتْنا ... ما مِنْ يَوْمٍ يَمْضِي عَنَّا

إلاَّ هَدَّتْ مِنَّا رُكْنَا

زِنْ ما تأْتِي زِنْ ما تأْتِي ... زِنْ ما تأْتِي زِنْ ما تأتِي

وَزْناً وَزْناً وَزْناً وَزْناً ... تَفْنِي الدُّنْيا قرْناً قَرْنَ

يَابْنَ الدُّنْيا جَمْعاً جَمْعا ... يَابْنَ الدُّنْيا سَرْطاً سَرْطاً

مامِنْ يَوْمٍ يَمْضِي عَنَّا ... إلاّ أنْقَلْ مِنَّا ظَهْرَا

إنّ المَوْلى قَدْ خَبَّرْنا ... أنَّا نُحْشَرُ غُرْلا بُهْمَا

قَدْ ضَيَّعْنا داراً تَبْقى ... وَاسْتَوطَنَّا داراً تَفْنى

فَقال الحارِثُ لِعَلِيٍّ – كرّم الله وجهه –: أَوَ تَعْلَمُ النَّصارَى ذَلكَ؟ قالَ: لاَ يَعْلَمُ ذلِكَ إلاّ نَبِيٌّ، أوْ صِدِّيقٌ[6]، أوْ وَصِيُّ نَبِيٍّ[1]؛ فإنَّ عِلْمِيَ مِنْ عِلْمِ النَّبِيّ – صلى الله عليه وآله وسلم – وَعِلْمُ النَّبِي – صلى الله عليه وآله وسلم – مِن عِلمِ جِبْرِيلَ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – وَعِلْمُ جِبْرِيلَ –عَلَيْهِ السَّلاَمُ – مِنْ عِلْمِ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالَى.

---

[1] تُبتدع: تستحدث على غير مثال سابق؛ ومنه البدعة في الدِّين؛ وهي كلّ زيادة مخالفة لأصوله.

[2] ذي حِجا: صاحب عقل.

[3] ضِغث من هذا وضِغث من هذا: كلام ملفّق الطّرفين من هذا، ومن هذا؛ والضّغث: قبضة حشيش مختلط رطبها بيابسها؛ والمراد: البدع والشّبهات المخالفة للكتاب والسُّنّة والإجماع.

[4] الحُسنى: ضدُّ السوأى، والعاقبة الحسنة.

[5] ديرانيّ: صاحب دير.

[6] صدِّيق: صيغة مبالغة من الصِّدق؛ والصّديق: كثير التّصديق للنّبيّ – عليه وآله الصّلاة والسّلام – ولهذا، سُمّي أبو بكر – رضوان الله عليه – صدِّيقاً.

This file was downloaded from QuranicThought.com

شرْطٌ لهُ – كرَّم الله وَجهه – في شِرَاءِ دَارٍ

اشْتَرَى شُرَيْحٌ[2] دَاراً، وَأشْهَدَ شُهُوداً، وَكَتَبَ كِتَاباً، فَبَلَغَ ذلكَ عَليَّ بْنَ أبي طالِب – كرّم الله وجههُ – فَقَالَ لَهُ: يا شُرَيْحُ، اشْتَرَيْتَ دَاراً؟ قالَ: نَعَمْ. وأشْهَدْتَ شُهُوداً؟ قالَ: نَعَمْ. قالَ احْذَرْ أنْ تَكُونَ قَدِ اشْتَرَيْتَ مِنْ غَيْرِ مالِكٍ، وَوَزَنْتَ مالاً مِنْ غَيْرِ حِلٍّ، وَسَوْفَ يأْتِيكَ مَنْ لاَ يَنْظُرُ في بَيِّنَتِكَ، وَلاَ يَسْأَلُكَ عَنْ كِتابكَ، وَيُزْعِجُكَ عَنْها، فَتَكُونُ قَدْ خَسِرْتَ الدَّارَيْنِ، الدُّنْيا وَالآخِرَةَ[3]. وَلَوْ أنَّكَ حِينَ أرَدْتَ شِرَاءَ الدَّارِ، أوْ إذَا أرَادَ أحَدٌ شِرَاءَ دَارٍ جاءَنِي، لَكُنْتَ أكْتُبُ لَهُ كِتاباً، أُزَهِّدُ فيهِ البائِعَ المَغْرورَ، وَالمُشْتَرِيَ. قُلْتُ. وما كُنْتَ تَكْتُبُ؟ قالَ: كُنْتُ أكْتُبُ.

بسْم الله الرَّحمنِ الرَّحِيمِ

هذَا ما اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيِّتٍ[4] قدْ أُزْعِجَ بالرَّحِيلِ. اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دُورِ الآفاتِ[5]، مِنَ الجَانِبِ الفَانِي[6] مِنْ عَسْكَرِ الهالكينَ، وَمَجْمَعِ الغَافِلِينَ[7] يَجْمَعُ هذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أرْبَعَةٌ؛ فالحَدُّ الأَوَّلُ، يَنْتَهِي إلَى الآفَاتِ، وَالحَدُّ الثَّاني، يَنْتَهي إلى عِظَمِ المُصِيبَاتِ، والحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إلَى الغَفَلاَتِ، وَالحَدُّ الرَّابعُ، ينْتَهي إلَى الشَّيْطَانِ المُغْوِي[8]، وَالهَوَى المردي[9]، وإلَيْهِ يُشْرَعُ بَابُ هذِهِ الدَّارِ الَّتي اشْتَرَاها هذَا المَرْعُوجُ بالأَجَلِ، مِنْ هذَا المَغْرُورِ بالأَمَلِ، فَما أدْرَكَ مُشتَري هذِهِ الدَّارِ، فَعلَى مُبَلْبِلِ الأَجْسامِ[10]، وَقَاصِمِ[11] الجبابرَةِ؛ مِثْلِ كِسرَى، وقَيْصَرَ، وَسابُورَ الأَكْبَرِ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ. ما أوْضَحَ الحَقَّ لِذِي عَيْنَيْنِ! إنّ الرَّحِيلَ حقُّ أحَدِ اليَوْمَيْنِ[12].

وقال كرَّم الله وجهَهُ في رِسالَةٍ لرفاعةَ

لاَ حِمىً إلاَّ مِنْ ظَهْرِ مُؤْمِنٍ[13]، وَظَهْرِ فَرَسِ مُجاهِدٍ، وحَرِيمِ بِئْرٍ، وحَرِيمِ نَهرٍ، وحَرِيمِ حِصْنٍ[14]. والحُرْمَةُ بَيْنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ: وهْيَ الحُجُبُ. وحَرِيمٌ بَيْنَ الحَلاَلِ والحَرَامِ، لاَ مَرْتَعَ فِيهِ؛ وحَرِيمٌ لاَ يُؤْمَنُ في الأَوَّلِينَ والآخرِينَ؛ وحَرِيمٌ حُرْمَتُهُ الرَّحِمُ؛ وحَرِيمُ ما جاوَزَ الأَرْبَعَ مِنَ الحَرَائِرِ؛ وحَرِيمُ القضاءِ.

وقال كرَّم الله وجهه:

---

[1] وضيّ نبيّ: من أوصى له نبيّ بالولاية من بعده.

[2] شُريح: (...– 78 هـ) شُريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكنديّ، أبو أميّة، من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام. ولي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعليّ ومعاوية. واستعفى في أيام الحجّاج، فأعفاه سنة 77هـ. كان ثقة في الحديث، مأموناً في القضاء؛ له باع في الأدب والشعر، عُمِّر طويلاً، ومات بالكوفة.

[3] الدّنيا والآخرة: أي دار الدُّنيا، ودار الآخرة؛ وذلك هو الخسران المبين.

[4] من ميِّت: أي ممَّن سيموت ويفنى (باعتبار ما سيكون).

[5] الآفات: العاهات.

[6] الفاني: الزّائل الهالك.

[7] الغَافلين: الغافلين عن ذكر الله –تعالى– لانشغالهم بالدُّنيا.

[8] الشَّيطان المغوي: الشَّيطان المضلّ.

[9] الهوى المردي: الهوى المهلك.

[10] مبلبل الأجسام: محرّكها ومهيِّجها.

[11] قاصم الجبابرة: مهين ومذلّ الجبابرة.

[12] أحد اليومين: اليوم الذي أنت فيه، أو الذي يليه.

[13] لاَ حِميّ إلاَّ من ظهر مؤمن: لا شيء يُحمى مثل ظهر المؤمن؛ فينبغي حمايته وعَدَمُ استِبَاحَتِهِ من قبل أحد.

[14] حريم حصن: مُحرَّم ممنوع لا يُمَسّ من قبل أحد.

This file was downloaded from QuranicThought.com

إِنِّي لأَسْتَحيِي مِنَ الله أنْ يَكُونَ ذَنْبٌ أعْظَمَ مِنْ حِلْمِي، أوْ عَوْرَةٌ لاَ يُوَارِيهَا سَتْرِي. أوْ خَلَّةٌ[1] لاَ يَسُدُّهَا جُودِي.

وقال كرَّم الله وجهَهُ:

إنَّ النِّعْمَةَ مَوْصُولَةٌ بالشُّكْرِ؛ والشُّكْرَ مُتَعَلّقٌ بالمَزِيدِ، وهُما مَقْرُونان في قَرَنٍ[2]. فَلَنْ يَنْقَطِعَ المَزيدُ مِنَ الله – عزَّ وجَلَّ – حَتَّى يَنْقَطِعِ الشُّكْرُ مِنَ العِبَادِ.

وقال كرَّم الله وجهَهُ:

أرْبَعٌ يُمِتْنَ القَلْبَ: الذّنْبُ على الذَّنْب، ومُلاَحَاةُ الأَحْمَقِ[3] وكَثْرَةُ مُثَافَنَةِ[4] النّساءِ، والجُلُوسُ مَعَ المَوْتى، قالَ ومَنِ الموْتى يا أمِيرَ المُؤْمِنينَ؟ قال: كُلُّ عَبْدٍ مُتْرَفٍ[5].

وقال كرَّم الله وجهَهُ:

يا أيُّها النَّاسُ، مَنْ عَلِمَ مِنْ أخِيهِ مُرُوأَةً جَميلةً، فلاَ يَسْمَعَنَّ فيهِ الأَقاوِيلَ[6]. ومَنْ حَسُنَتْ عَلاَنِيَتُهُ، فنَحْنُ لِسَرِيرَتِهِ أرْجَى، ألاَ لاَ يَزِيدَنّ أحَدُكمْ نَفْسَهُ شَكّاً. فإنَّ مَنْ عَلِمَ مِنْ أخِيهِ مُرُوأَةً جَميلةً، فسَمِعَ فيهِ الأقاوِيلَ، فقَدْ شَكَّكَ نَفْسَهُ. ألاَ وَإنّ الرَّامِيَ، قَدْ يَرْمِي، وقدْ تُخْطِيءُ السِّهَامُ، وباطلُ ذلِكَ يَبُورُ[7]؛ ألاَ وَإنّ بَيْنَ الحَقِّ وَالباطِلِ أرْبَعَ أصابعَ (وَأشارَ بأصابِعِهِ الأَرْبَعِ فوَضَعَها بَيْنَ العَيْنِ وَالأُذُنِ)؛ فالحَقُّ أنْ تقُولَ رَأيْتُهُ بعَيْنِي، وَالباطِلُ أنْ تَقُولَ: سَمِعْتُهُ بأُذُنِي.

وقال كرَّم الله وَجهه:

مَنْ عَزَفَتْ نَفْسُهُ[8] عَنْ دَنِيّ[9] المَطامِعِ، كَمُلَتْ مَحاسِنُهُ. وَمَنْ كَمَلَتْ مَحاسِنُهُ، حُمِدَ؛ والمَحْمُودُ مَحْبُوبٌ، وَلَنْ يُحِبَّ العِبادُ عَبْداً إلاَّ بَعْدَ حُبِّ الله – عزَّ وَجلَّ –[10] إيَّاهُ. فتكُون المَحَبَّةُ دَرَجةً إلى نَيْلِ صَلاَحِ مَعاشِهِ، مَعَ وَفُور مَعادِهِ. وَمَنِ اجْتَمَعتْ لَهُ الخَصْلَتانِ؛ كمَلَتْ سَعادَتُهُ؛ وَالشَّقِيُّ[11] الكامِلُ الشَّقاءِ مَنْ كانَ بخلاَف ذلِكَ. وَقال كرّمَ الله وَجهَهُ: لَيْسَ الخَيْرُ أنْ يَكْثُرَ مالُكَ وَوَلَدُكَ، ولَكِنَّ الخَيْرَ أنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَأنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأنْ تُباهِيَ النَّاسَ بِعبادَةِ رَبّكَ.

---

[1] خَلَّة: حاجة، فقر.

[2] في قَرَن: (القَرَن) الحبل الذي يقرن فيه البعير.

[3] ملاحاة الأحمق: منازعته ومحاججته.

[4] كثرة مثافنه النّساء: كثرة مجالستهنَّ وملازمتهنّ.

[5] مُتْرف: متنعِّم.

[6] فلا يَسْمَعَنَّ فيه الأقاويل: لا يُصغي إلى ما يقوله النّمّامون من الأقاول على عادتهم؛ بل عليه أن يتثبّت في مواطن العذل قبل أن يُلام.

[7] باطل ذلك يبور: باطل ذلك يهلك.

[8] من عزفت نفسه: زهدت نفسه عن المطامع وانصرفت.

[9] دنيّ: دنيء المطامع.

[10] حبّ الله – تعالى – إيّاه: محبته له؛ وكذا الحال فيمن أبغضه النّاس، فلا يبغضونه حتّى يبغضه الله تعالى.

[11] الشَّقيّ: عكس السَّعيد؛ وفعله: شقي يشقى إشقاءً وشقاوة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

فإنْ أحْسَنْتَ، حَمِدْتَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ. وَإن أَسأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللهَ، وَلاَ خَيْرَ في الدُّنْيا إلاَّ لِرَجُلَيْنِ؛ رَجُلٌ أذْنَبَ ذُنُوباً، فَهُوَ يَتَدَارَكُ ذلِكَ بِتَوْبَةٍ. وَرَجُلٌ يُسارِعُ في الخَيْرَاتِ، وَلاَ يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ تَقْوَى؛ فَكَيْفَ يَقِلُّ ما يُتَقَبَّلُ[1]؟!.

وقال كرَّم الله وَجهَهُ:

إنَّ أبْغَضَ الخَلْقِ إلى اللهِ لَرَجُلاَنِ؛ رَجُلٌ وَكَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ – إلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ جائرٌ[2] عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ[3] بِكلاَمِ بِدْعَةٍ، قَدْ لَهِجَ[4] مِنْها بالصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ[5] عَنْ هَدْى مَنْ كانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ حَيَاتَهُ ومَوْتَهُ، حَمَّالٌ[6] لِخَطايا غَيْرِهِ، رَهِينٌ[7] بِخَطيئَتِهِ، وَرَجُلٌ قَمَشَ[8] جَهْلاً في جُهَّالِ النَّاسِ بالأباطِيلِ وَالأَضالِيلِ، نَصَبَها عُدَّةً مِنْ حَبائِلِ غُرُورٍ، وَقَوْلِ زُورٍ. قَدْ حَمَلَ الكِتابَ عَلَى رَأْيِهِ، واسْتَعْطَفَ الحَقّ عَلَى هَوَاهُ يُزَيِّنُ العَظائِمَ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الجَرَائِمِ، لَمْ يُرَاقِبْ مَنْ خَلَقَهُ، فَيَسكُتَ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُ. قَدِ اغْتَرَّ مَعَ ذلكَ فُسَّاقاً تُصَدِّقُهُ، يَسْتَجْهِلُ بِهِمْ أشْبَاهَ النَّاسِ. وَجَافٍ مُتَجافٍ أعمى حَيْرَانُ يَدْعُو إلى العَمَى[9]، وَيَرَى البَصَرَ في تَرْكِ النَّظَرِ. يَقولُ: أقفُ عنْدَ الشُّبُهاتِ؛ وَفيها وَقَعَ. وَيَقُولُ: أَعْتَزِلُ البِدَعَ؛ وَفيها اضْطَجَعَ[10]. فَهُوَ في النَّاسِ رَجُلٌ؛ الصُّورَةُ صُورَةُ إنْسانٍ، وَالقَلْبُ قَلْبُ حَيْرَانَ بَهِيمَةٌ[11] بَل البَهيمَةُ خَيْرٌ مِنْهُ. فَهُوَ في الأحْياءِ في التَّقَلُّبِ وَالمَوتُ أغْلَبُ عَلَيْهِ في الصِّفَةِ. عَشْوَةٌ[12] غارٌّ بأغْباشٍ[13]، غُمْرٌ بِمَا في رَيْثِ الهُدنَةِ[14] قَدْ سَمَّاهُ أشْبَاهُ النَّاس عَالِماً، وَلَمْ يَغْنَ فيهِ[15] يَوْماً سَالِماً. تَكَثَّرَ فاسْتَكْثَرَ، وَما قَلَّ خَيْرٌ مِمَّا كَثَّرَ؛ حتَّى إذَا ارْتَوَى مِنْ غَيْرِ آجِنٍ[16]، وَاكْتَنَزَ[17] مِنْ غَيْرِ طائِلٍ، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضامِناً[18] لِتخْلِيصِ ما التَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ. وَإنْ خالَفَ قاضياً فَسَّقَهُ[19]، وَلَمْ يأْتَمَّ في حُكْمِهِ بِمَنْ خَالَفَهُ وَإنْ نَزَلَتْ بِهِ إحْدَى المُبْهَمَاتِ[20] المُعْضِلاَتِ، هَيَّأَ لَها

---

[1] فكيف يَقِلُّ ما يُتقبّل: المراد – هنا – أنَّ العمل المقبول، لا يقال فيه: إنَّه قليل، ولو كان كذلك؛ لأنَّ الله – تعالى – يُضاعف لمن يشاء.

[2] جائر: مائل عن الطّريق المستقيم.

[3] مشغوف بكلام: مأخوذ بكلام.

[4] لَهِجَ منها الصّوم: أُولِعَ منها بالصَّوم.

[5] ضالٌّ عن هدي من قبله: ضائع بعيد عن هدي من قبله.

[6] حَمّال لخطايا غيره: كثير الحمل لذنوب غيره.

[7] رهين بخطيئته: محبوس بخطيئته.

[8] قمش جهلاً: جمع من الجهل ما لا يُحصى، ومن الأباطيل ما لا يُستقصى، وجعلها حبائل يصطاد بها من وقع في شركه من الغافلين والجاهلين.

[9] يدعو إلى العمى: يدعو إلى طريق الضّلال.

[10] اضطجع: استلقى.

[11] بهيمة: كلُّ حيوان لا يُميِّز فهو بهيمة، ويجمع على بهائم.

[12] عشوة: ظلمة.

[13] غارٌّ بأغباش: الأغباش جمع (غَبَش) ظلمة آخر اللّيل.

[14] غُمر بما في ريث الهدنة: جاهل بما في إبطاء الصُّلح.

[15] لم يَغن فيه: لم يلبث فيه يوماً تامّاً، أو لم يقم فيه.

[16] آجن: متغيّر اللّون والطّعم.

[17] اكتنز من غير طائل: امتلأ من غير فضل.

[18] ضامناً: ملتزماً.

[19] فسَّقه: نسبه إلى الفِسق.

[20] المبهمات: المسائل العويصة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

حَشْواً رَأياً مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ[1]. فَهُوَ من لَبْسِ الشُّبُهاتِ في غَزْلِ العَنْكَبُوتِ[2]؛ لأَنَّهُ لاَ يَدْرِي، أصابَ أَمْ أخْطَأَ. لاَ يَحْسِبُ العِلْمَ في شَيْءٍ مِمَّا أنْكَرَ، وَلاَ يَدْرِي أنّ وَرَاءَ ما بَلَغَ مَذْهباً إنْ قاسَ شَيْئاً بِشَيءٍ، لَمْ يُكَذِّبْ نَظَرَهُ. وَإنْ أظْلَمَ[3] عَلَيْهِ أمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ؛ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ؛ لِكَيْ لاَ يُقالَ لَهُ: لاَ يَعْلَمُ. ثُمَّ جَسَرَ فَحَكَمَ؛ فَهُوَ مِفْتَاحُ عَشَوَاتٍ[4]، رَكَّابُ شُبُهاتٍ[5]، خبَّاطُ جَهالاتٍ[6]، لاَ يَعْتَذِرُ مِمَّا لاَ يَعْلَمُ فَيَسْلَمَ، وَلاَ يَعَضُّ في العِلْمِ بِضِرْسٍ قاطِعٍ فَيَغْنَمَ. يَذْرُو الرِّوَايَةَ ذَرْوَ الرِّيحِ الهَشِيمَ، تَبْكِي مِنْهُ المَواريثُ، وَتَصْرُخُ مِنْهُ الدِّماءُ، وَيُسْتَحَلُّ بِقَضائِهِ الفَرْجُ الحَرَامُ[7]. لاَ مَلِيءَ بِإصْدَارِ ما أُورِدَ عَلَيْهِ[8] وَلا هُوَ أهْلٌ لِمَا مِنْهُ فَرَطَ مِنَ ادّعائِهِ في عِلْمِ الخَلْقِ. ألاَ وَإنَّ أحَبَّ النَّاسِ إلَى اللهِ لَعَبْدٌ أعانَهُ اللهُ – جَلَّ ثَناؤُهُ – عَلَى نَفْسِهِ، فاسْتَشْعَرَ الخَوْفَ[9]، وَتَجَلْبَبَ الحُزْنَ[10]، وَأضْمَرَ اليَقِينَ، وَتَجَنَّبَ الشَّكَّ وَالشُّبُهَاتِ، وَتَوَهَّمَ الزَّوَالَ؛ فَهُوَ مِنْهُ عَلَى بَالٍ، قَدْ زَهَرَتْ مَصابيحُ الهُدَى في قَلْبِهِ فَقَرَّبَ بِهِ البَعيدُ، وَهُوِّنَ بِهِ الشَّديدُ، فَكَّرَ فاسْتَكْثَرَ، وَنَظَرَ فأَبْصَرَ، حتَّى إذَا ارْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ؛ سَهُلَتْ مَوَارِدُهُ؛ فَشَرِبَ نَهَلاً[11]، وَسَلَكَ سَبِيلاً سَهْلاً لَمْ يَدَعْ مَظْلِمَةً إلاّ أبْصَرَ جلاءَهَا[12]، وَلاَ مُبْهَمَةً[13] إلاّ عَرَفَ مَدَاهَا قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ[14]، وتَخلَّى مِنَ الهُمُومِ إلاَّ هَمَّا وَاحِداً انفَرَدَ بِهِ دُونَ الهمُومِ الشَّاغِبَةِ[15] الشَّاغِلَةِ لِلْعُقُولِ؛ فَخرَجَ مِنْ صِفَةِ العَمى[16]، وَمُشارَكَةِ الهَوَى، فَصارَ مِنْ مَفاتِيحِ أبْوَابِ الهُدَى، وَمَغالِيقِ أبْوابِ الرَّدَى، وَاستَفْتَحَ[17] بِما فَتَحَ بِهِ العالِمُ أبْوَابَهُ، فَخاضَ بِحارَهُ، وَقَطَعَ غِمارَهُ[18]، وَوَضَحَتْ لَهُ سُبُلُهُ وَمَنَارُهُ قَدِ اسْتَمْسَكَ مِنَ العُرَى[19] بِأَوْثَقِها، وَمِنَ الحِبَالِ بِأَمْتَنِها[20]؛ فَهُوَ مِنَ اليَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضياءِ الشَّمْسِ. قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ للهِ – عَزَّ وَجَلَّ – فِي أرْفَعِ الأُمُورِ مِنْ إصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَرَدّ كُلِّ فَرْعٍ إلَى أصلِهِ. فالأَرْض الَّتِي هُوَ فيها مُشْرِفَةٌ بِضِيَاءِ

---

[1] ثم قطع: المراد –هنا– ثمّ أفتى وحكم.

[2] من لبس الشّبهات في غزل العنكبوت: فهو من اختلاط الشّبهات عليه في غاية الضّعف والوهن.

[3] إن أظلم عليه أمر: إذا أعياه فَهْمُ مشكلة أو مسألة صعبة، كتم أمره، و لم يقل: لاَ أعلم؛ خوفاً من أن يصفه النَّاس بالجهل.

[4] مفتاح عشوات: مفتاح ضلالات.

[5] رَكَّاب شبهات: كثير الخَوضَ في الشُّبهات.

[6] خبَّاط جهالات: يخبط خبطَ عَشواء في وادي الجهالات.

[7] (ولا يغضّ ... الحرام): مرّ شرحها وتفسيرها.

[8] لا مليء بإصدار ما أورد عليه: ليس لديه قدرة على القضاء فيما يُستقضى فيه، ولا هو أهل لما يدّعيه في علم الخلق، وإنما هو فتنة.

[9] استشعر الخوف: (الشِّعار) الثوب يلي الجسد؛ والمقصود: استتر بالخوف.

[10] تجلبب الحزن: تلبّس به.

[11] فشرب نهلاً: (النَّهل) الشّرب الأول.

[12] لم يدع مَظْلمةَ إلاّ أبصر جلاءها: لم يترك ظُلامةً إلا أدرك حلّها، وأوضح أمرها.

[13] ولا مُبهمة إلاّ عرف مداها: ولا قضيّة غير ظاهرة وغير معلومة إلاَّ عرف نهايتها وبعدها.

[14] خلع سرابيل الشّهوات: ترك شهوات نفسه بهجره إيَّاها، أو بمخالفتها.

[15] الشَّاغبة: المهيَّجة للشرّ والفتن.

[16] صفة العمى: صفة الجهل والضّلال.

[17] استفتح بما فتح به العالم أحواله: نهج نهج العلماء المخلصين.

[18] قطع غِماره: (الغِمار) جمع (غَمْر) وهو الماء الكثير.

[19] العُرى: جمع (عُروة) وهي مقبض الدَّلو والكوز؛ وهي أحت الزّرّ من الثّوب.

[20] بأمتنها: بأقواها وأرساها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

نُورِهِ، سَاكِنَةٌ بقَضائِهِ. فرَّاجُ عَشَوَاتٍ[1]، كَشَّافُ مُهِمَّاتٍ[2]، دَفَّاعُ مُعْضِلاَتٍ[3]، مِصْباحُ ظُلُمَاتٍ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ[4]، لاَ يَدَعُ لِلخَيْرِ مَطْلَباً فالعِلْمُ ثَمَرَةُ قَلْبِهِ، وَمُنى نَفْسِهِ الَّتِي إِلَيْها يَقْصِدُ، وإِيَّاها يُحَاوِلُ. بَقِيَّةٌ، أَبْقَاهُ الله –عَزَّ وَجَلَّ– لِدِينِهِ، وَحُجَّتِهِ. خَلِيفَةٌ مِنْ خَلاَئِفِ أَنْبِيَاءِ الله بلُزُومِ طريقَتِهِمْ، والدُّعَاءِ إِلى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ دَعْوَتُهُمْ، والقِيَامِ بِحُجَّتِهِمْ. قَدْ أَمْكَنَ الكِتَابَ[5] مِنَ زِمَامِهِ، فَهُوَ قَائِدُهُ وإِمَامُهُ. يضَعُ رَحْلَهُ حَيْثُ حَلّ ثَقَلُهُ[6]. والنَّاسُ عَنِ الصِّرَاطِ نَاكِبُونَ[7]، في غَمْرَةٍ[8] ساهُونَ، وفي حَيرَةٍ يَعْمَهُونَ[9].

وقال عليٌّ كرَّم الله وجهَهُ:

ألاَ وإِنَّ النَّاسَ سَبْعُ طَبَقاتٍ:

الطَّبقة الأولى الفراعنة: يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى عِبادَتِهِمْ. أَمَا إِنَّهُمْ لاَ يَأْمُرُونَهُمْ أَنْ يُصَلُّوا لَهُمَ، ولاَ يَصُومُوا، وَلكِنَّمَا يأْمُرُونَهُمْ بِطَاعَتِهِم، فَيطيعُونَهُمْ؛ فَبِطاعَتِهِمْ لَهُمْ فِي مَعْصِيَةِ الله –جَلَّ ثَناؤُهُ– قَد اتّخَذُوهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ الله جَل ثَناؤُهُ.

والطَّبقةُ الثَّانيةُ جَبَابِرَةٌ: أَكْلُهُمُ الرِّبَا وَبَيْعُهُمُ السُّحْتُ[10].

والطَّبقَةُ الثَّالِثَةُ فُسَّاقٌ: قَدْ تَشَرَّدُوا مِنَ الدِّين كَمَا يَتَشَرَّدُ الشَّارِدُ مِنَ الإِبلِ.

وَالطَّبقةُ الرَّابعَةُ: أَصْحابُ الرِّياءِ: لَيْسَ يَعْبُدُونَ إِلاّ الدّينَارَ وَالدِّرْهَمَ.

والطَّبقةُ الخامِسَةُ: قُرَّاءٌ مُخادِعُونَ: يَطلُبُونَ الدُّنْيا بزِيّ الصَّالِحينَ[11].

والطَّبقةُ السَّادِسَةُ فُقَرَاءٌ: إِنّماهَمُّ أَحَدِهِمْ أَنْ يَشْبَعَ شَبْعَةً مِنَ الطَّعامِ، لاَ يُبالي أَحَلاَلاً أَخَذَها، أَمْ حَرَاماً.

والطَّبقةُ السَّابعةُ: الَّذِينَ أَثنى الله –جَلَّ وعَزَّ–عَلَيْهِمْ فَقال: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [12] (الفرقان:63) ثُمَّ قالَ: وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرأَ النَّسَمَةَ[13]، إِنّهُمْ لَلَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فيها خَالِدُونَ. ثُمَّ التفت إلى كُمَيلِ بن زيادٍ، فقال: يا كُمَيلُ بنَ زيادٍ، اطلُبْهُمْ. قالَ: كُمَيْلٌ: وَأَيْنَ أَطلُبُهُمْ؟ يا أَمِيرَ المُؤمْنينَ. قالَ: في أَطْرَافِ الأَرْضِ، تَجِدْهُمْ قَدِ اتَخَذُوا الأَرْضَ فِرَاشاً، وَالمَاءَ طِيباً، وَالقُرْآنَ شِعاراً[14]،

---

[1] فرّاج عشوات: كشّاف ظُلُمات.

[2] كشّاف مهمّات: كشّاف الأمور الشّديدة.

[3] دفّاع معضلات: دفّاع شدائد.

[4] دليل فلوات: دليل مَفَازات (صحراوات).

[5] أمكن الكتاب من زمامه: استمسك بالقرآن الكريم، وانقاد لأوامره ونواهيه.

[6] ثَقَلُه: (الثَّقل) متاع المسافر، ويأتي بمعنى كلّ شيء نفيس مصون.

[7] عن الصِّراط ناكبون: عن طريق الحقّ عادلون.

[8] في غَمرة ساهون: في غفلةٍ شاردون.

[9] في حَيرةٍ يعمهون: في حيرة يتخبَّطون، ويتردَّدون.

[10] السُّحت: الحرام.

[11] يزّي الصَّالحين: بلباسهم وهيئتهم.

[12] قالوا سلاماً: قالوا سداداً من القول يسلمون فيه شرّهم وأذاهم.

[13] برأ النَّسمة: خلق النَّفس.

[14] شعاراً: (الشِّعار) الثّوب الذي يكون يلي الشِّعار.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَالدُّعَاءَ دِثَاراً[1]، بَاكِينَ العُيُونَ، دَنِسِينَ[2] الثِّيابَ، يَقْرِضُونَ العَيْشَ قَرْضاً[3]؛ إِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا[4]، وَإِنْ شَهِدُوا لَمْ يُعْرَفُوا[5]، وَإِنْ خَطَبُوا لَمْ يُزَوَّجُوا، وَإِنْ قَالُوا لَمْ يُنْصَتْ لقوْلِهِمْ. يَدْفَعُ اللهُ -عَزَّ وجَلّ- بِهِمِ العَاهَاتِ وَالآفاتِ وَالبَلاَيَا[6] عَنِ النَّاس؛ وَبِهِمْ يَسْقِي اللهُ -عَزّ وَجَلَّ- العِبَادَ الغَيْثَ مِنَ السَّماءِ، وَيُنْزِلُ القَطْرَ مِنَ السَّحابِ، أولئكَ عِبادُ اللهِ حَقّاً حَقّاً.

وَقال كرَّمَ اللهُ وَجهَهُ:

النَّاسُ سَبْعُ طَبَقاتٍ؛ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُها إِلاَّ بِبَعْضٍ، وَلاَ غِنى بِبَعْضِها عَنْ بَعْضٍ، فَمِنْها جُنُودُ اللهِ، وَمِنْها كُتَّابُ العامَّةِ وَالخَاصَّةِ، وَمِنْها قُضَاةُ العَدْلِ، وَمِنْها كُتَّابُ الدَّوَاوِينِ، وَمِنْها أَهْلُ الجِزْيَةِ وَالخَرْجِ[7] وَالذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْها التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّناعَاتِ، وَمِنْها الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الحَاجَاتِ وَالمَسكَنَةِ: فكُلٌّ قدْ سَمَّى اللهُ سَهْمَهُ[8]، وَوَقَفَ عَلى حَدِّهِ في فَرِيضَتِهِ، فِي كِتَابِهِ، أَوْ سُنَّةِ نَبِيْهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَهْداً للَّهِ عَنْدَنا مَحْفُوظاً. فالجُنُودُ بِإِذْنِ اللهِ -عَزّ وَجَلَّ- حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الوُلاَةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسَبِيلُ الأَمْنِ وَالخَفْضِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلاّ بِهِمْ. ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِلْجُنْدِ[9] إِلاّ بِما يُخْرِجُ اللهُ -جَلَّ وَعَزَّ- لَهُمْ مِنْ الخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَى جِهادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا أَصْلَحَهُم وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حاجَاتِهِمْ. ثُمَّ لاَ نَمَاءَ لِهذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلاَّ بالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ القُضَاةِ، والعُمَّالِ والكُتَّابِ بِما يُحْكِمُونَ مِنَ الأُمُورِ، وَيُظْهِرُونَ مِنَ الإِنْصَافِ، وَيَجْمَعُونَ من المَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وَعَوَامِّها. وَلاَ قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلاّ بالتُّجَّارِ، وَذَوِي الصناعَاتِ فيمَا يَجْمَعُونَ مِنْ مَرَافِقِهِمْ[10]، وَيُقِيمُونَ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ، مِمَّا لاَ يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ. ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلى مِن أَهْلِ الحَاجَةِ وَالمَسكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ[11] في اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لِكُلِّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى الوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ. وَلاَ يُخْرِجُ الوَالِي مِن حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعالى- إِلاّ تَوْطِينَ نَفْسِهِ[12] عَلَى لُزُومِ الحَقِّ والصَّبرِ عَلَيْهِ، فيمَا خَفَّ أَوْ ثَقُلَ.

وقال كرَّم اللهُ وجهَهُ:

---

[1] دِثاراً: (الدِّثار) الثّوب الذي يكون فوق الشِّعار.

[2] دنسين الثّياب: وسخي الثّياب؛ لتقَشُّفهم.

[3] يقرضون العيش قَرضاً: يقطعونه، ويتجاوزنه تجاوزاً.

[4] إن غابوا لم يُفتقدوا: لم يسأل أحدٌ عنهم، و لم يطلبهم عند غيابهم.

[5] إن شهدوا لم يُعرفوا: إذا حضروا لا يُعرفون؛ لأنهم ليسوا من أرباب المناصب والخصوصيّات.

[6] العاهات والآفات والبلايا: كناية عن المصائب التي تعتري النّاس في البدن أول المال وغير ذلك.

[7] الخَرْج: الخَرَاج.

[8] سمّى الله سهمه: سمّى الله نصيبه؛ أي: أنّ الله -تعالى- بيَّن في محكم تنزيله، وفي سُنّة نبيّه -عليه وآله الصّلاة والسّلام- ما لكلّ طبقة من الطّبقات السّبع، كما اقتضته حكمه الله تعالى.

[9] لا قوام للجند: لا قُوة للجند، ولا قيام لهم بإداء واجباتهم إلاّ بما يُصرف لهم من مال الخراج؛ لأنّهم عندما يكتفون تقوى قلوبهم، وتعلو هممهم، وترتفع معنوياتهم، ولا يزالون -والحال هكذا- ظاهرين على أعدائهم مدافعين عن حمي دينهم وأمّتهم.

[10] مرافقهم: المقصود -هنا- منافعهم.

[11] يحق رِفدهم: يحقّ إعطائهم.

[12] توطين نفسه: تمهيد النّفس وتعويدها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

إنّمَا أنْتَ أحَدُ رَجُلَيْنِ: إمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بالبَذْلِ[1] في الحَقِّ، فَفِيمَ احْتِجَاجُكَ[2] مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، وَخُلُقٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ[3]؟؟ وَإمَّا مُبْتَلىً بالمَنْعِ، فَما أسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مسألتك، إذَا يَئِسُوا منْ بَذْلِكَ[4]؟!.

وَقالَ كرّم الله وجهَهُ:

حَقُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِم سَبْعُ خِصَالٍ: يُسَلِّمُ عليْهِ إذَا لَقِيهُ، وَيُجيبُهُ إذَا دَعَاهُ، وَيَعُودُه[5] إذَا مَرِضَ، وَيَتْبَعُ جنَازَتَهُ إذَا مَاتَ، وَيُحِبُّ لَهُ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُ ما يَكْرَهُ لَها، وَالْمُوَاسَاةُ في مالِهِ[6].

وَقالَ كرّم الله وجهَهُ:

النَّاسُ ثَلاَثَةٌ أصْنافٍ: زَاهِدٌ مُعْتَزِمٌ[7]، وَصابِرٌ علَى مُجاهَدَةِ[8] هَوَاهُ، وَرَاغِبٌ مُنْقادٌ لِشَهَواتِهِ[9]؛ فالزَّاهِدُ لاَ يُعَظِّمُ ما آتاهُ اللهُ فَرَحاً بِهِ، وَلاَ يُكْثِرُ على ما فاتَهُ أسَفاً؛ والصَّابِرُ: نازَعَتْهُ إلَى الدُّنْيا نَفْسُهُ فَقَدَعَها[10]، وَتَطَلَّعَتْ إلى لَذّاتِها فَمَنَعَها؛ وَالرَّاغِبُ: دَعَتْهُ إلَى الدُّنْيا نَفْسُهُ فأجابَها، وَأمَرَتْهُ بإيثارِها[11]، فأطَاعَها؛ فدَنَّسَ بِها عِرْضَهُ، وَوَضَعَ لَها شَرَفَهُ، وَضيَّعَ لَها آخِرَتَهُ.

وَقالَ كرّم الله وجهَهُ:

الجِهادُ ثَلاَثَةٌ: أوَّلُ ما يُغْلَبُ علَيْهِ مِنْ الجِهادِ اليَدُ، ثُمَّ اللّسانُ، ثُمَّ القَلْبُ؛ فإذَا كانَ القَلْبُ لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفاً، وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَراً، نُكِسَ فَجُعِلَ أعْلاَهُ أسْفَلَهُ.

وَقالَ كرّم الله وجهَهُ:

ثَلاَثَةٌ وَاثْنانِ لَيْسِ لَهُمْ سادِسٌ؛ مَلَكٌ يَطيرُ بِجنَاحَيْنِ، وَنَبِيٌّ أخَذَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِضَبْعَيْهِ[12]، وَساعٍ مُجْتَهِدٌ، وَطالِبٌ يَرْجُو، وَمُقَصِّرٌ في النَّارِ. اليَمِينُ والشِّمَالُ مَضِلَّةٌ، والطَّرِيقُ المَنْهَجُ علَيْهِ باقِي الكِتَابِ، وَآثَارُ النُّبُوَّةِ. هَلَكَ بَعْدُ مَنِ ادَّعى، وَخَابَ مَنِ افْتَرَى. إنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أدَّبَ هذِهِ الأُمَّةَ بالسَّيْفِ وَالسَّوطِ، لَيْسَ لأَحَدٍ عِنْدَ الإمامِ فيهما هَوَادَةٌ[13]؛ فاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ، وَأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُم[1]

---

[1] سخت نفسك بالبذل: جادت نفسك بالعطاء.

[2] ففيم احتجابك: فما الذي حجبك ومنعك من الإعطاء فيما يجب عليك من الحقوق، ما دمت اعتدت على البذل والسّخاء.

[3] خلق كريم تسديه: خلق كريم حسن تخالق به النّاس.

[4] يئسوا من بذلك: يئسوا من عطائك.

[5] يعوده إذا مرض: يزوره في مرضه.

[6] المواساة في ماله: يعطيه من ماله، ويجعله أسوته فيه.

[7] زاهد معتزم: عازم.

[8] صابر على مجاهدة هواه: مغالبة هواه.

[9] راغبٌ منقاد لشهواته: راغب في الملذّات، مُسيَّر من قبل شهواته؛ تتحكّم به بدل من أن يتحكّم بها.

[10] فقدعها: كفّها وخالفها.

[11] أمرته بإيثارها: باختيارها وتفضيلها.

[12] بضبعته: بعضُديه.

[13] هوادة: لين ورفق.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَقالَ – كرّمَ الله وجهَهُ – في تَوْحيدِ الله عزَّ وَجلَّ:

إنّ أوَّلَ الدِّيانَةِ مَعْرِفَةُ الله[2]، وَكَمالُ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمالُ تَوْحِيدِهِ الإخلاَصُ لَهُ، وَالإخْلاَصُ نَفْيُ الصِّفاتِ عَنْهُ بشَهادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أنّها غَيْرُ المَوْصُوفِ، وَشَهادَةِ المَوْصُوفِ أنَّهُ غيْرُ الصِّفَةِ، وَشَهادَتُهُما جَميعاً بالتَّثْنِيهِ عَلَى أنْفُسِهما بالحَدَثِ المُمْتَنِعِ مِنَ الأَزلِ، فَمَنْ وَصَفَ الله –عَزَّ وَجَلَّ– فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَمَنْ عَدَّهُ، فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ. وَمَنْ قالَ: كَيْفَ؟ فَقَدِ استَوْصَفَهُ، وَمَنْ قالَ: فِيمَ؟ فَقَدْ ضَمَّنَهُ؟ وَمَنْ قالَ عَلاَمَ؟ فَقَدْ أخْلَى مِنْهُ، وَمَنْ قالَ: أيْنَ؟ فَقَد نَعَتَهُ. ومَنْ قالَ: إلَى فَقَدْ عَدَّاه؛ عَالِمٌ إذْ لاَ مَعْلُومَ، وَقادِرٌ إذْ لاَ مَقدُورَ، وَرَبٌ إذْ لاَ مَرْبُوبَ، ومُصَوِّرٌ إذ لاَ مُصَوَّرٌ، فكذلِكَ رَبُّنا –تَبارَكَ وَتَعَالى– وَفَوْقَ ما يَصِفُهُ الوَاصِفُونَ.

وقال –كرَّم الله وجهه– في مِثْلِهِ مِن تَوْحيدِ الله عزَّ وجلَّ:

إنّ الله –جَلَّ ثَناؤُهُ– وَاحِدٌ بغَيْرِ تَشبيهٍ، وَدَائِمٌ بِغَيْرِ تَكْوِينٍ، خَالِقٌ بِغَيْرِ كُلْفَةٍ[3]، قائِمٌ بِغَيْرِ مَنْصَبَةٍ[4]، مَوْصُوفٌ بغَيْرِ غايةٍ، مَعْرُوفٌ بِغَيْرِ مَحْدُودِيَّةٍ، باقٍ بغَيْرِ تَسْوِيَةٍ، عَزِيزٌ لَمْ يَزَلْ، قَدِيمٌ في القِدَمِ. زَاغَتِ القُلُوبُ لِمَهابَتِهِ، وَذَهَلَتِ الأَلْبابُ لِعِزّتِهِ، وَخَضَعَتِ الرِّقابُ لِقُدْرَتِهِ. لاَ يَحْطُرُ عَلَى القُلُوبُ لَهُ مَبْلَغُ كُنْهٍ[5]، وَلاَ يَعْتَقِدُ ضَمِيرُ التَّسْكِينِ مِنَ التَّوَهُّمِ في إمْضاءِ مَشِيئَتِهِ. لاَ تَبْلُغُهُ العُلَماءُ بألبَابِها[6]، وَلاَ أهْلُ التَّفَكُّرِ بتَدْبِيرِ أُمُورِها، بأكْثَرَ مِمَّا وَصَفَ –جَلَّ وَعَزَّ– به نَفْسَهُ.

وقال كرّم الله وجهَهُ:

إنّ لِلْمَكْرُوهِ غَايَاتٍ، لاَ بُدَّ أنْ تَنْتَهِيَ إلَيْها. فَيَنْبَغِي للعَاقِلِ أنْ ينامَ لها، إلَى حِينِ انْقِضائِها؛ فإنّ إعْمالَ الحِيلَةِ فِيها قَبْلَ تَصَرُّمِهَا[7] زِيَادَةٌ في مَكْرُوهِهَا.

وقال كرّمَ الله وجهَه:

دَارِىءْ عَنِ المؤْمِنِ[8] ما اسْتَطَعْتَ، فإنّ ظَهْرَهُ حِمَى الله[9] –عَزَّ وَجَلَّ– ونَفْسَهُ كَرِيمَةٌ عَلَى الله –تعالى– وَلَهُ يَكُونُ ثَوَابُ الله –سُبْحَانَهُ– فَظَالِمُهُ خَصْمُ الله؛ فَلاَ يَكُنْ خَصْمَكَ.

وقال كرّم الله وجهه:

---

[1] أصلحوا ذات بنكم: أصلحوا ما بينكم من الأحوال، حتّى تكون أحوالكم أحوال محبّة وائتلاف لا أحوال تباغض واختلاف.

[2] معرفة الله: المقصود –هنا– معرفته حقّ المعرفة بأنّه الله الواحد، الأحد، الفرد، الصّمد، المنزّه عن الوالد والولد، والشّريك، والمماثل، القاهر فوق عباده، الفعّال لما يريد، العيّ عن عباده، المُحْتَاجُ إليه في كُلِّ أمرٍ من قبل خلقه، لا يعرف قدره غيره، ولا يدرك المدركون والواصفون مُطْلَق صفاته.

[3] بغير كلفة: بغير تكلُّف.

[4] بغير منصبة: منصبة من (النَّصب)؛ وهو التّعب.

[5] كُنه: كنه الشَّيء حقيقته وقدره.

[6] بألبابها: بعقولها.

[7] قبل تصرُّمِها: قبل انقضائها أو انقطاعها.

[8] دارىء عن المؤمن: دافع عنه.

[9] ظهره حمى الله: أي أنَّ الله تعالى حمى ظهر المؤمن، ومنعه من أن يضام، فلا تحاول ظلمه، ولا تهضم جانبه؛ لأنّك تصبح خصم الله –تعالى– فتستجلب غضبه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

واللهِ، لَيَسْبِقَنَّ إلى جَنَّاتِ عَدْنٍ يَوْمَ القِيَامَةِ أقْوَامٌ، ما كانُوا بأكْثَرِ النَّاسِ صَلاةً، وَلاَ صِياماً، وَلاَ حَجّاً، وَلاَ عُمْرَةً، وَلكِنْ علَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ[1].

أخْبَرَنا أبُو القَاسِمِ عَبْدُ المَلِكِ بن الحَسَنِ بنِ إبْرَاهِيمَ قِرَاءَةً علَيْهِ. قالَ: أخبرَنَا أبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بن القَاسِمِ بْنِ فَهْد بْنِ عيسى بْنِ صالحٍ، البَزّازُ، قالَ: أخْبَرَنا أبُو الحَسَنِ أحْمَدُ بْنُ مُطَرِّفِ بْنِ سَوَّارٍ البُستِيُّ، قالَ: حَدَّثَنا العبَّاسُ بْنُ الفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، قالَ: حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَحجَّاجُ بنُ حَمْزَةَ بْنِ سُوَيْدٍ، العِجْلِيُّ، قالَ: حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الحُبَاب، قالَ: حَدَّثَنا عيسى بنُ الأَشْعَثِ عَنْ جُوَيْبِرٍ عَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ النَّزّالِ ابْنِ سَبْرَةَ عَنْ عَليٍّ بن أبي طالِب –كرّم الله وَجهه–، قالَ: مَنْ ابْتَدَأ غَذَاءَهُ[2] بالمِلْحِ، أذْهَبَ اللهُ عَنْهُ سَبْعِينَ باباً مِنَ الشَّرِّ، وَمَنْ أكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، قَتَلَتْ كُلَّ دَابَّةٍ في بَطْنِهِ، وَمَنْ أكَلَ إحْدَى وَعِشْرِينَ زَبِيبَةً حَمْرَاءَ لَمْ يَرَ في جَسَدِهِ شَيئاً يَكْرَهُهُ. وَاللَّحْمُ يُنْبِتُ اللَّحْمَ، وَالثَّرِيدُ طَعامُ العرَبِ، وَالشُّفَارِجَاتُ[3] تُعْظِّمُ البَطْنَ، وَتُرْخِي الأَلْيَتَيْنِ؛ وَلَحْمُ البَقَرِدَاءُ، وَشَحْمُها دَوَاءٌ، وَلَبَنُها شِفاءٌ، وَالشَّحْمُ يُخْرِجُ مِنَ الدَّاءِ مِثْلَهُ. وَالسَّمَكُ يُذِيبُ الجَسَد، وَلَنْ تَسْتَشْفِيَ النُّفَسَاءُ[4] بشَيْءٍ أفْضَلَ من الرُّطَبِ[5]. وَالمَرْءُ يَسعَى بجَدِّهِ[6]، وَالسَّيْفُ يَقْطَعُ بحَدِّهِ. وَمَنْ أرَادَ البَقاءَ، وَلاَ بقاءَ؛ فَلْيُباكِرِ الغَدَاءَ، وَلْيُقِلَّ غُشْيانَ النِّساءِ[7]، وَلْيُخَفِّفِ الرِّدَاءَ. قِيلَ: يا أميرَ المُؤْمِنِينَ، وَما خِفَّةُ الرِّدَاءِ؟ قالَ: قِلَّةُ الدَّينِ.

---

[1] على قدر عقولهم: لعلَّ المراد محدوديّة قدراتهم الذّهنيّة والفكريّة؛ لأنَّ النَّاس درجات من حيث قوّة العقل والفهم.

[2] غداءه: المراد يبدأ غذاءه بلحس الملح.

[3] الشُّفارجات: جمع (شُفَارج) الطّبق التي يكون عليها الصِّحاف والقصَاع؛ والمراد ما فيها من طعام.

[4] تستشفي النُّفساء: تطلب الشِّفاء. و(النُّفساء): المرأة التي تضع؛ فمنذ الولادة وحتى انقطاع الدّم، تظلّ نفساء.

[5] الرُّطب: ثَمَرُ النَّخل إذا أدرك ونضج قبل أن يتتمَّر؛ الواحدة: رُطْبَة؛ والجمع: أرطاب. وأرطبت البسرة (إرطاباً) بدا فيها التَّرطيب. والرُّطَب نوعان؛
أحدهما: لا يتتمَّر، وإذا تأخّر أكله تسارع إليه الفساد.
والثاني: يتتمَّر ويصير عجوة وتمراً يابساً.

[6] يسعى بجدّه: أي بحظّه.

[7] لِيُقِلَ غشيان النِّساء: يقلّل جماعهنَّ؛ لأنّ الكثير من ذلك، يؤدّي إلى السَّقام وضعف النّظر.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الباب الثّامن

في أدْعِيَتِهِ وَمُناجاتِهِ

أخْبَرَني أبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بْنُ منْصُورِ بْنِ شِيكَانَ التُّسْتَرِيُّ مُجيزاً، قالَ: أخْبَرَنا مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ بْن غُرَابٍ، قالَ: حَدَّثَنا القاضِي أحْمَدُ بن مُحَمَّدٍ، قالَ: حَدَّثَنا القَاضِي مُوسى بنُ إسْحَاق، قالَ: حَدَّثَنا عَبْدُ الله بنُ أبي شَيْبَةَ، قالَ: حَدَّثَنا محمَّدُ بنُ فَضَيْلٍ عنْ عَبْدِ الله الأَسَدِيِّ، قالَ: كانَ أمِيرُ المُؤْمِنينَ، يَقُولُ في مُناجاتِهِ: إلهِي، لَولاَ ما جَهِلْتُ منْ أمْرِي، ما شَكَوْتُ عَثَراتِي[1]، ولَوْلاَ ما ذَكَرْتُ منَ الإفْراطِ، ما سَفَحَتْ عَبَراتِي[2]. إلهِي، فامْحُ مُثْبِتاتِ العَثَراتِ، بمُرْسَلاَتِ العَبَرَاتِ، وهَبْ كَثِيرَ السَّيِّئَاتِ، لِقَليلِ الحَسَناتِ.

إلهِي، إنْ كُنْتَ لاَ تَرْحَمُ إلاّ المُجدّين في طاعَتِكَ، فإلَى مَنْ يَفْزَعُ المُقَصّرُونَ؟ وَإنْ كُنْتَ لاَ تَقْبَلُ إلاّ مِنَ المُجْتهِدِينَ، فإلَى مَنْ يَلْتجِئُ المُخْطِئُون[3]؟! وَإنْ كُنْتَ لاَ تُكْرِمُ إلاّ أهْلَ الإحْسان، فكَيْفَ يَصْنَعُ المُسيئُونَ[4]؟! وَإنْ كانَ لاَ يَفُوزُ يَوْمَ الحَشْرِ إلاّ المُتَّقُونَ، فَبِمَنْ يَسْتَغِيث المُذْنبُونَ؟! إلهِي، إنْ كانَ لاَ يَجُوزَ علَى الصِّرَاطِ إلاَّ مَنْ أجازَتْهُ بَرَاءَةُ عَمَلِهِ، فأنَّى بالجَوَازِ[5] لِمَنْ لَمْ يَتُبْ قَبْلَ حُلُولِ أجَلِهِ؟! إلهِي، إنْ حُجِبَ عنْ مُوَحِّدِيكَ نَظَرُ تَعَمّدٍ لِجنَايَاتِهِمْ، أوْقَعَهُمْ غَضَبُكَ بَيْنَ المُشْرِكِينَ في كُرُباتِهِمْ[6]. إلهِي، فأوْجِبْ لنا بالإسْلاَمِ مَذْخُورَ هِبَاتِكَ[7]، وَاستَصْفِ لَنا ما كَدَّرَتْهُ[8] الجَرّائِمُ بصَفْحِ صِلاَتِكَ[9]. إلهِي، ارْحَمْ غُرْبَتَنا إذَا تَضَمَّنَتْنا بُطُونُ لُحُودِنا، وعُمِّيَتْ علَيْنا باللَّبِنِ[10] سقُوفُ بُيُوتِنا. وَأُضْجِعْنَا على الأَيْمَانِ في قُبُورِنا، وَخُلِفْنا فُرَادى في أَضْيَقِ المَضاجِعِ، وَصَرَعَتْنا المَنايَا في أَنْكَرِ المَصارِعِ، وَصِرْنا في دِيَارِ قَومٍ، كَأَنَّهَا مَأْهُولةٌ وَهْيَ مِنْهُمْ بَلاَ قِعُ[11]. إلهِي، فإذَا جئْنَاكَ عُرَاةً مُغْبَرَّةً مِنْ ثَرى الأَجْدَاثِ[12] رُؤُوسُنا، وَشَاحِبَةً[13] مِنْ تُرَابِ المَلاَحِدِ[14] وُجُوهُنَا، وَخاشِعَةً مِنْ أهْوَالِ القِيامَةِ أبْصارُنا، وَجائِعةً مِنْ طُولِ القِيَامِ بُطُونُنَا، وَبَادِيَةً هُنَاكَ[15] -لِلْعُيُونِ سَوْآتُنا[16]، وَمُثْقَلةً منْ أعْبَاءِ الأَوْزَارِ[1] ظُهُورُنا، وَمَشْغُولينَ بِمَا قَدْمَناهُ[2] عَنْ أهْلِينَا وَأوْلاَدِنا؛ فلاَ تُضَاعِفْ[3] علَيْنا

---

[1] ما شكوت عثرتي: ما شكوت زلّاتي.

[2] ما سفحت عبرتي: ما صببتُ دموعي وأرسلتها.

[3] إلى من يلتجئ المخطئون؟: إلى من يستند المذنبون؟

[4] فكيف يصنع المسيئون؟: كيف يعمل المسيئون لينالوا إحسانك؟ والمراد: كيف يكون حالهم يوم الحشر؟

[5] فأنّي بالجواز لمن لم يتب: فكيف بالجواز لمن يصرّ على المعصيّة، و لم يتب منها.

[6] في كرباتهم: جمع (كُرْبة) وهي الغمُّ الذي يأخذ بالنّفس وكذا الكَرْب.

[7] مذخور هِباتك: عطاياك التي ادّخرتها لنا.

[8] ما كدّرته الجرّائم: غيّرته الجرّائم.

[9] بصفح صلاتك: بعفو عطاياك.

[10] عُمِّيت علينا باللَّبِنِ: التبست علينا باللَّبِنِ؛ و(اللَّبِن) جمعُ (لَبِنة) وهو ما يُبنى به.

[11] بلاقع: جمع (بَلْقَع) وهي الأرض القفر التي لا شيء عليها من نبات وغير.

[12] ثرى الأجداث: تراب القبور.

[13] شاحبة: متغيّرةً.

[14] الملاحد: القبور.

[15] بادية هناك: ظاهرة هناك.

[16] سوآتنا: جمع (سوأة)؛ وهي العَورة؛ والمراد –هنا– نقائصنا وعيوبنا.

This file was downloaded from QuranicThought.com

المَصائِبَ بإعْرَاضِ وَجْهِكَ الكريمِ عَنَّا، وَسَلْبِ عائِدَةِ ما مَثَّلَهُ الرَّجاءُ مِنَّا[4]. إلهِي، ما حَنَّتْ هذِهِ العُيُونُ إلى بُكائِها، ولا جادَتْ مُتَسَرِّبَةً بمائِها[5]. ولاَ شَهَرَتْ[6] بنَحِيبِ[7] المُثْكِلاتِ[8] فَقْدَ عَزَائِها؛ إلاَّ لِمَا سَلَفَ مِن نُفُورِهَا وَإِبَائِهَا، وَمَا دَعَاهَا إِلَيْهِ عَوَاقِبُ بَلاَئِها. وَأَنْتَ القَادِرُ يَا كَرِيمُ عَلَى كَشْفِ غَمَّائِها[9]. إلهِي، ثَبِّتْ حَلاَوَةَ مَا يَسْتَعْذِبُهُ لِسَانِي مِنَ النُّطْقِ فِي بَلاَغَتِهِ، بِزَهَادَةِ ما يَرْفَعُهُ قَلْبِي مِنَ النُّصْحِ فِي دَلاَلَتِهِ. إلهِي، أمَرْتَ بالمَعْرُوفِ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِهِ مِنَ المأْمُورِينَ. وَأَمَرْتَ بصِلَةِ السُّؤَالِ، وأَنْتَ خَيْرُ المَسْؤُولِينَ. إلهِي، كَيْفَ يُقبِلُ بنَا اليَأْسُ عَنِ الإمْسَاكِ، كَمَا لَهجْنَا[10] بِطِلاَبِهِ؟ وَقَدِ ادَّرَعْنا مِنْ تأْمِيلِنَا إِيَّاكَ أَسْبَغَ أَثْوَابِهِ[11]. إلهِي، إِذَا تَلَوْنَا مِنْ صِفاتِكَ شَدِيدَ العِقاب، أَشْفَقْنَا[12]، وإِذَا تَلَوْنَا مِنْها الغَفُورَ الرَّحِيمَ فَرِحْنا، فَنَحْنُ بَيْنَ أَمْرَيْنَ؛ لاَ يُؤْمِنُّا سَخَطُكَ[13]، وَلاَ تُؤْيِسُنَا[14] رَحْمَتُكَ. إلهِي، إِنْ قَصَّرَتْ بنَا مَسَاعِينَا عَنَ اسْتِحْقاقِ نَظَرِكَ، فَمَا قَصَّرَتْ رَحْمَتُكَ بنَا عَنْ دِفاعِ نِقْمَتِكَ. إلهِي، كَيْفَ تَفْرَحُ بِصُحْبَةِ الدُّنْيا صُدورُنا؟ وكَيْفَ تَلتَئِمُ فِي عُمْرَانِها أُمُورُنا؟ وكَيْفَ يَخْلُصُ فيها سُرُورُنا؟ وكَيْفَ يَمْلكُنا باللَّهْوِ وَاللَّعِبِ غُرُورُنا، وَقَدْ دَعَتْنا باقْتِرَابِ آجَالِنَا قُبُورُنا؟ إلهِي، كَيْفَ نَبْتَهِجُ بِدارٍ حُفِرَتْ لَنَا فيها حفَائِرُ صَرْعَتِها، وَقَلَّبَتنا بأَيْدِي المَنايا حَبائِلُ غَدْرَتِها[15]، وَجَرَّعَتْنا مُكْرَهِينَ جُرَعَ مَرَارَتِها، وَدَلَّتْنا العِبَرُ عَلَى انْقِطاعِ عِيشَتِهَا، إلهِي، فَإِلَيكَ نَلْتَجِئُ مِنْ مَكَايِدِ خَدْعَتِها[16]، وَبِكَ نَسْتَعِينُ عَلَى عُبُورِ قَنْطَرَتِها[17]، وَبِكَ تَسْتَعْصِمُ الجَوَارِحُ عَلَى خِلاَفِ شَهْوَتِها، وَبِكَ نَسْتَكْشِفُ[18] جَلاَبِيبَ حَيْرَتِها، وَبِكَ يُقَوَّمُ مِنَ القُلُوبِ اسْتِصْعَابُ جَهالتها. إلهِي، كَيْف لِلدُّورِ أَنْ تَمْنَعَ مَنْ فيها مِنْ طَوَارِقِ الرَّزَايا[19]، وَقَدْ أُصيبَ فِي كُلِّ دَارٍ سَهْمٌ مِنْ أَسْهُمِ المَنايَا؟ إلهِي، مَا نُفْجَعُ بأَنْفُسنا عَنِ الدِّيَارِ، إِنْ لَمْ تُوحِشْنا هُنَاكَ مِنْ مُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ. إلهِي، مَا تَضُرُّنَا فُرْقَةُ الإِخْوَانِ وَالقَرَابَاتِ إِذَا قَرَّبْتَنا مِنْكَ يَا ذَا العَطِيَّاتِ. إلهِي، ارْحَمْنِي إِذَا انْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيا أَثَرِي، وَامَّحَى[20] مِنَ المَخلُوقِينَ

---

[1] أعباء الأوزار: أحمال الذُّنوب.

[2] دَهانا: أصابنا من عظيم الأمور.

[3] فلا تضاعف علينا المصائب بإعراض وجهك عنا: لا تكثر مصائبنا بتخلّيك عن تدبير شؤوننا.

[4] سلب عائدة ما مَثّله الرّجاء منّا: أي سلب منفعة ما صوّره وحقّقه الرّجاء.

[5] متسرّبة بمائها: سائلة بمائها أسفاً لما سلف منها من نفورها وامتناعها.

[6] ولا شَهَرت: وَلاَ أظهرت وأوضحت.

[7] بنحيب: (النَّحيب) رفع الصّوت بالبكاء.

[8] المثكلات: جمع مثكل؛ وهي المقلّات التي لا تعيش لها ولد.

[9] كشف غمائها: تفريج كربها.

[10] لهجنا بطلابه: أولِعنا بطلبه.

[11] أسبغ أثوابه: أكملها.

[12] أَشْفَقْنَا: حذرنا.

[13] لا يؤمنّا سَخَطُك: لا نأمن من سخطك.

[14] لا تُؤيِسُنَا رحمتك: لا تقنِّطنا رحمتك؛ والمعنى: إن كنّا على خوفٍ من سخطك فنحن على رجاء لرحمتك التي وسعت كلّ شيء.

[15] حبائل غدرتها: حبائل غدرها؛ والحبائل جمع (حُبالة)؛ وهي ما يُصاد به.

[16] مكايد خدعتها: مَكَايد جمع (مَكيدة)؛ وهي الخداع والمكر.

[17] عبور قنطرتها: جواز قنطرتها؛ والقنطرة: ما يُبنى على الماء للعبور عليه.

[18] نستكشف جلابيب حيرتها: نطلب إليك أن تكشف عنّا ما نزل بنا من الحيرة؛ والجلابيب جمع (جلباب) وهو ما يُتغطّى به من فوق الثّياب.

[19] طوارق الرَّزايا: حوادث الزّمان ومصائبه.

[20] امَّحى: انمحى.

This file was downloaded from QuranicThought.com

ذِكْرِي، وَصِرْتُ فِي المَنْسِيِّينَ كَمَنْ قَدْ نُسِي. إِلهِي كَبِرَتْ سِنِّي، وَدَقَّ عَظْمِي، وَرَقَّ جِلْدِي، وَنالَ الدَّهْرُ مِنّي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، وَنَفِدَتْ[1] أَيّامِي، وَذَهَبَتْ شَهْوَتِي، وَبَقِيَتْ تَبِعَتِي[2]، وَامْتَحَتْ[3] مَحاسِنِي، وَبَلِيَ جِسْمِي، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالِي، وَتَفَرَّقَتْ أَعْضَائِي. إِلهِي، فارْحَمْنِي. إِلهِي، أَفْحَمَتْنِي ذُنُوبِي[4] وانْقَطَعَتْ مَقالَتِي؛ فَلاَ حُجَّةَ لِي وَلاَ عُذْرَ، فأَنَا المُقِرُّ بُجُرْمِي، وَالمُعْتَرِفُ بِإِساءَتِي، والأَسِيرُ بِذَنْبِي، وَالمُرْتَهَنُ[5] بِعَمَلِي، المُتَهَوِّرُ فِي خَطِيئَتِي، المُتَحَيِّرُ عَنْ قَصْدِي، المُنْقَطَعُ بِي[6]، إِلهِي، فَصَلِّ عَلَى محمَّدٍ، وَآلِ محمَّدٍ، وَارْحَمْنِي برَحْمَتِكَ، وَتَجاوَزْ عَنّي. إِلهِي، إِنْ كانَ صَغُرَ فِي جَنْبِ طَاعَتِكَ عَمَلِي؛ فَقَدْ كَبِرَ فِي جَنْبِ رَجائِكَ أَمَلِي. إِلهِي، كَيْفَ أَنْقَلِبُ بالخَيْبَةِ مِنْ عِنْدِكَ مَحْرُومًا، وكانَ ظَنِّي بِجُودِكَ أَنْ تَقْلِبَنِي مَرْحُوماً؟ كَلّا، إِنّي لَمْ أُسَلِّطْ عَلَى حُسْنِ ظَنّي بِكَ، قُنُوطَ ظَنِّ الآيسين[7]. فَلاَ تُبْطِلْ صِدْقَ رَجائي لَكَ بَيْنَ الآمِلِينَ. إِلهِي، إِنْ كُنَّا مرْحُومِينَ، فإِنَّا نَبْكِي عَلَى ما ضَيَّعْناهُ فِي طَاعَتِكَ ما تَسْتَوْجِبُهُ. وَإِنْ كُنَّا مَحْرُومِينَ، فإِنَّا نَبْكِي إِذَا فاتَنَا مِنْ جِوَارِكَ ما نَطْلُبُهُ. إِلهِي، عَظُمَ جُرْمِي إِذْ كُنْتَ المُبَارَزَ بِهِ، وَكَبُرَ ذَنْبِي

إِذْ كُنْتَ المُطَالِبَ بِهِ، ألاَ إِنّي إِذَا ذَكَرْتُ كَثْرَةَ ذُنُوبِي، وَعَظِيمَ غُفْرَانِكَ، وجَدْتُ الحَاصِلَ لِي بَيْنَهُما عَفْوَ رِضْوَانِكَ. إِلهِي، إِن أَوْحَشَتْنِي الخَطَايَا[8] مِنْ مَحاسِنِ لُطْفِكَ، فَقَدْ آنَسَنِي اليَقِينُ بمكارِمِ عَطْفِكَ. إِلهِي إِنْ أَنامَتْنِي الغَفْلَةُ عَنِ الاسْتِعْدَادِ لِلقَائِكَ، فَقَدْ أَنْبَهَتْنِي المَعْرِفَةُ بكَرِيمِ آلاَئِكَ[9]. إِلهِي، إِنْ عَزَبَ لُبّي[10] عَنْ تَقْوِيمِ ما يُصْلِحُنِي، فَما عَزَبَ إِيقَانِي[11] بِنَظَرِكَ فِيما يَنْفَعُنِي. إِلهِي، جئتُكَ، مَلْهُوفاً، قَدْ أُلْبِسْتُ عَدَمِي وَفاقَتِي[12]، وَأَقامَنِي مَقَامَ الأَذَلِّينَ بَيْنَ يَدَيْكَ ذُلُّ حَاجَتِي. إِلهِي، كَرُمْتَ فأَكْرِمْنِي إِنْ كُنْتُ مِنْ سُؤَّالِكَ، وجُدْ بِمَعْرُوفِكَ؛ فاخْلِطنِي بأَهْلِ نَوَالِكَ[13]. إِلهِي، أَصْبَحْتُ على بابٍ مِنْ أَبْوابِ مِنَحِكَ[14] سائِلاً، وَعن التَّعَرُّضِ لِغَيْرِكَ بالمسألة عادِلاً، وَلَيْسَ مِنْ جَمِيلِ امْتِنانِكَ، أَنْ تَرُدَّ سَائِلاً مَلْهُوفاً، وَمُضْطَرّاً لانْتِظارِ أَمْرِكَ مأْلُوفاً. إِلهِي أَقَمْتُ على قَنْطَرَةِ الأَخْطَارِ[15]، مَبْلُوّاً بالأَعْمَالِ[16] وبالاعْتِبارِ. فأَنَا الهَالَكُ، إِنْ لَمْ تُعِنْ عَلَيْها بتَخْفِيفِ الآصارِ[17]. إِلهِي، أَمِنْ أَهْلِ الشَّقاءِ خَلَقْتَنِي؛ فأُطِيلَ بُكائي أَمْ مِنْ أَهْلِ السَّعادَةِ فأُبَشِّرَ رَجائِي؟ إِلهِي،

---

[1] نفدت أيّامي: انتهت أيّامي.

[2] بقيت تبعتي: بقي ما يتبعني من جرّاء الذّنوب التي ارتكبتها.

[3] امتحت محاسني: انمحت محاسني؛ وهي لغة قَلِيلَة.

[4] أفحمتني ذنوبي: أسكتتني، وأخرستني ذنوبي.

[5] المرتهن بعملي: محبوس بعملي.

[6] المُنقَطع بي: أي ليس لي سند غيرك، ولا مولى سواك، أعتمده في شؤوني.

[7] لم أُسَلِّطْ ... الآيسين: لم أجعل للقنوط على حسن ظنّي بك سبيلاً كعادة الضّالّين الذين لا يَقِين لهم، ولا بصيرة عندهم.

[8] أوحشتني الخطايا: (المراد) إن صيرّتني الذّنوب في وحشةٍ من محاسن لطفك بي، فقد آنسني ما عندي من اليقين بمكارم عطفك عليّ.

[9] كريم آلائك: شريف نعمك.

[10] عَزَب لُبّي: غاب عقلي.

[11] ما عزب إيقاني: ما غاب يقيني بك.

[12] فاقتي: فقري وحاجتي.

[13] أهل نوالك: أهل عطاياك.

[14] من أبواب منحك: من أبواب عطاياك.

[15] قنطرة الأخطار: أي أقمت على مشارف الهلاك؛ والقنطرة ما يبنى على الماء للعبور عليه.

[16] مبلوّاً بالأعمال: مُمتَحناً بها ومُختبرّاً.

[17] تخفيف الآصار: تَهوينُها؛ والآصار جمع (إصر) وهو الثّقل؛ والآصار: الأثقال؛ وتخفيفها: وضعها عنه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

لَوْ لَم تَهْدِنِي إِلَى الإِسْلاَمِ ما اهْتَدَيتُ، وَلَو لَمْ تُطْلِقْ لِسَانِي بِدُعائِكَ مَا دَعَوتُ، وَلَو لَمْ تَرْزُقْنِي الإِيمانَ بِكَ مَا آمَنْتُ وَلَوْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حَلاَوَةَ نعْمَتِكَ، مَا عَرَفْتُ، وَلَوْ لَمْ تُبَيّنْ شَدِيدَ عِقابِكَ مَا اسْتَجَرْتُ. إِلهي، إِنْ أَقْعَدَنِي التَّخلُّفُ عَن السَّبْقِ مَعَ الأَبْرَارِ[1]، فَقَدْ أقامَتنِي الثِّقَةُ بِكَ علَى مَدَارِجِ الأَخْيَارِ[2]. إِلهي، نَفْساً أَعْزَزْتَها بتأييدِ إِيمَانِكَ. كَيْفَ تُذِلُّها بَيْنَ أَطْباقِ نيرَانِكَ؟! إِلهي، لِسَاناً كَسَوْتَهُ مِنْ وَحْدَانِيَّتِكَ أَنْقَى أَثْوَابِهَا، كَيْفَ تَهْوِى إِلَيْهِ مِنَ النَّارِ شُعُلاَتُ التِهَابِها؟ إِلهي، كُلُّ مَكْرُوبٍ فإِلَيْكَ يَلْتَجِي، وَكُلُّ مَحْزُونٍ فإِيَّكَ يَرْتَجِي. إِلهي، سَمِعَ العَابِدُونَ بجَزِيلِ ثَوَابِكَ فَخَشَعُوا. وَسَمِعَ المُذْنِبُونِ بسَعَةِ رَحْمَتِكَ فَقَنَعُوا. وَسَمِعَ المُوَلُّونَ عَنِ القَصْدِ[3] بجُودِكَ فَرَجَعُوا. وسَمِعَ المُجْرِمُونَ بسَعَةِ غُفْرَانِكَ فَطَمِعُوا؛ حتَّى ازْدَحَمَتْ عَصَائِبُ العُصَاةِ[4] مِنْ عِبَادِكَ بِبَابِكَ. وَعَجَّ مِنْهُمْ إِلَيكَ[5] عَجِيجُ الضَّجِيجِ بالدُّعَاءِ في بلادِكَ. وَلَكُلِّ أَمَلٌ سَاقَ صَاحِبَهُ إِلَيكَ مُحْتاجاً. وَلِكُلِّ قَلْبٌ تَرَكَهُ يَا رَبِّ وَجِيفُ الخَوْفِ[6] مِنْك مُهْتَاجاً[7]. فأَنْتَ المَسْؤُولُ الَّذِي لاَ تَسْوَدُّ لَدَيْهِ وُجُوهُ المَطَالِب، وَلاَ يَرُدُّ نَائِلَهُ قاطِعَاتُ المَعَاطِب. إِلهي، إِذَا أَحْطَأْتُ طَرِيقَ النَّظَرِ لِنَفْسِي بِمَا فيهِ كَرَامَتُهَا؛ فَقَدْ أَصَبْتُ طَرِيقَ الفَزَعِ[8] إِلَيكَ بِمَا فيهِ سَلاَمَتُها. إِلهي، إِنْ كانَتْ نَفسِي اسْتَسْعَدَتْنِي[9] مُتَمَرِّدَةً علَى ما يُرْدِيهَا[10]؛ فَقَدْ اسْتَسْعَدتُها الآنَ بِدُعَائِكَ عَلى مَا يُنْجِيهَا. إِلهي، إِنْ قَسَطْتُ في الحُكْمِ[11] علَى نَفْسِي بِمَا فيهِ حَسْرَتُها؛ فَقَدْ أَقْسَطْتُ[12] فِي تَعْرِيفِي إِيَّاهَا مِنْ رَحْمَتِكَ أَسْبابَ رَأْفَتِها. إِلهي، إِن قَطَعَنِي قِلَّةُ الزَّادِ[13] في المَسِيرِ إِلَيْكَ؛ فَقَدْ وَصَلْتُهُ بِذَخَائِرِ ما أَعْدَدْتُهُ مِنْ فَضْلِ لَعْوِيلِي عَلَيكَ[14]. إِلهي، إِذَا ذَكَرْتُ رَحْمَتَكَ؛ ضحِكَتْ لَها عُيُونُ وَسَائِلِي، وَإِذَا ذَكَرْتُ سَخَطَكَ؛ بَكَتْ لَهُ عُيُونُ مَسَائِلِي. إِلهي، أَدْعُوكَ دُعَاءَ مَنْ لَمْ يَرْجُ غَيْرَكَ في دُعائِهِ. وَأَرْجُوك رَجَاءَ مَنْ لَمْ يَقصِدْ غَيْرَكَ في رَجائِهِ. إِلهي، كَيْفَ أُسْكِتَ بالإِفْحَامِ[15] لسَانُ ضَرَاعَتِي، وَقَدْ أَقْلَقَنِي ما أَبْهَمَ علَيَّ[16] مِنْ مَصِيرِ عَاقِبَتِي؟! إِلهي، قَدْ عَلِمْتَ حاجَةَ جِسْمِي إِلى ما تَكَفَّلْتَ لَهُ مِنَ الرِّزْقِ في حَياتِي. وَعَرَفْتَ قِلَّةَ اسْتِغْنائِي عَنْهُ في الجَنَّةِ بَعْدَ وَفاتِي. فَيا مَنْ سَمَحَ لِي بِهِ مُتَفَضِّلاً في العَاجِلِ، لا تَمْنَعْنِيهِ[17] يَوْمَ فَاقَتِي إِلَيْهِ[1] في الآجِلِ. إِلهي، إِن عَذَّبْتَنِي، فَعَبْدٌ خَلَقْتَهُ لِمَا أَرَدْتَ؛ فَعَذَّبْتَهُ. وَإِنْ

---

[1] السِّبق مع الأبرار: السَّبق مع أهل البرّ والخير والفلاح.

[2] مدارج الأخيار: مسالكهم ومذاهبهم.

[3] المولّون عن القصد: المعرضون عن طريق الهدى والحقّ؛ طريق الاستقامة في الحياة.

[4] عصائب العصاة: (عصائب) جمع (عُصبة)؛ وهي الجماعة؛ والمعنى: إن تكاثرت جماعات العصاة.

[5] عجّ منهم إليك عجيج الصّوت بالدّعاء: رفع صوته إليك.

[6] وَجيف الخوف: اضطرابه.

[7] مهتاجاً: هائجاً هائماً.

[8] الفزع إليك: اللّجوء إليك.

[9] استسعدتني: رأتني سعيداً.

[10] ما يرديها: ما يهلكها.

[11] قسطت في الحكم: جرت فيه.

[12] أقسطت: عدلت.

[13] قِلّة الزّاد: قِلّة التّقوى.

[14] عويلي عليك: تعويلي عليك؛ أي اعتمادي وتوكّلي عليك.

[15] بالإفحام: بالإسكات بالحجّة؛ يقال (أفْحَمه) إذا أسكته بالحجّة.

[16] ما أبهم عليَّ: ما اشتبه عليّ.

[17] لا تمنعنيه: لا تنعي إيّاه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

رَحِمْتَني، فَعَبْدٌ أَلْفَيْتَهُ مُسيئاً؛ فأَنْجَيْتَهُ. إلهي، لاَ اِحْتِرَاسَ مِنَ الذّنْبِ[2] إلاّ بِعِصْمَتِكَ، ولاَ وُصُولَ إلى عَمَلِ الخَيْرَاتِ إلاّ بِمَشِيئَتِكَ؛ كَيْفَ لي بِإفادَةِ ما سَلَبْتَني فيهِ مَشيئَتُكَ[3]؟ وكَيْفَ لِي باحتِرَاسٍ مِنَ الذّنْبِ، ما لَمْ تُدْرِكْني فِيهِ عِصْمَتُكَ؟ إلهي، أَنْتَ دَلَلْتَني على سُؤَالِ الجَنَّةِ قَبْلَ مَعْرِفَتِها؛ فأَقْبَلَتِ النَّفْسُ بَعْدِ العِرْفانِ على مسألتها أفتَدُلُّ على خَيْرِكَ السُّؤَالَ، ثُمَّ تَمْنَعُهُ وأنتَ الكريمُ المَحْمُودُ في كُلّ ما تَصْنَعُهُ يَا ذَا الجَلاَلِ وَالإكْرَامِ؟! إلهي، إنْ كُنْتُ غَيْرَ مُسْتأْهِلٍ لِمَا أرْجُو مِنْ رَحْمَتِكَ، فأَنْتَ أهلٌ أن تَجُودَ على المُذْنبينَ بَفْضْلِ سَعَتِكَ. إلهي، نَفْسي قائِمةٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَقدْ أظَلَّها[4] حُسْنُ تَوَكُّلِها عَلَيْكَ، فاصْنَعْ بِي ما أنتَ أهْلُهُ وَتَغَمَّدْني بِرَحْمَتِكَ[5]. إلهي، إنْ كانَ دَنَا أجَلِي، وَلَمْ يُقَرِّبْني مِنْكَ عَمَلي، فقَدْ جَعَلْتُ الاعتِرَافَ بالذَّنْبِ وَسائِلَ عِلَلِي[6]؛ فَإنْ عَفَوْتَ فَمَنْ أولَى مِنْكَ بذلِكَ، وَإنْ عَذَّبْتَ فَمَنْ أعْدَلُ مِنْكَ[7] في الحُكْمِ هُنَالِكَ؟! إلهي، إنَّكَ لَمْ تَزلْ بارّاً بي أيَّامَ حَياتِي، فلاَ تَقْطَعْ بِرَّكَ بي بَعْدَ وَفَاتِي إلهي، كَيْفَ آيْسُ مِنْ حُسْنِ نَظَرِكَ بَعْدَ مَمَاتِي، وَأنْتَ لَمْ تُولِنِي[8] إلاَّ الجَمِيلَ في حَياتي؟! إلهي، إنَّ ذُنُوبي قَدْ أخافَتْني، وَمَحبَّتِي لَكَ قَدْ أجارَتْني[9]، فَتَوَلَّ في أمْرِي ما أنت أهْلُهُ، وَعُدْ بفَضْلِكَ[10] على مَنْ غَمَرَهُ جَهْلُهُ، يا مَنْ لاَ تَخْفَى عَلَيْهِ خافِيَةٌ، صَلِّ على مُحمَّدٍ وعَلى آلِ محمَّدٍ، وَاغْفِرْ لي ما خَفِيَ عنِ النَّاسِ مِنْ أمْرِي. إلهي، لَيْسَ اعْتِذَارِي إلَيكَ اعْتِذَارَ مَنْ يَسْتَغْنِي عنْ قَبُولِ عُذْرِهِ؛ فاقْبَلْ عُذْرِي يا خَيْرَ مَنِ اعتَذَرَ إلَيْهِ المُسيئونَ. إلهي، إنَّكَ لَوْ أرَدْتَ إهانَتِي، لَمْ تَهْدِنِي، وَلَوْ أرَدْتَ فَضيحَتِي؛ لَمْ تُعافِنِي؛ فَمَتِّعْني بِمَا لَهُ هَدَيْتَني، وَأَدِمْ لي ما بِهِ سَتَرْتَني. إلهي، لَوْلاَ ما اقتَرَفْتُ[11] مِنَ الذُّنُوبَ؛ ما خِفْتُ عِقابَكَ، وَلَوْلاَ ما عَرَفْتُ مِنْ كَرَمِكَ؛ ما رَجَوْتُ ثَوَابَكَ، وَأنتَ أكْرَمُ الأكرَمِينَ بتَحْقِيقِ آمالِ الآمِلِينَ، وَأرْحَمُ مِنْ استُرْحِمَ[12] في تَجاوُزِهِ عنِ المُذْنبينَ. إلهي، نَفْسِي تُمَنِّيني بأَنَّكَ تغْفِرُ لِي، فأَكْرِمْ بها أُمْنِيَّتِي، فقَد بَشَّرَتْ بَعَفْوِكَ وَصِدْقِ كَرَمِكَ مُبَشِّرَاتُ تَمنِّيها، وَهَبْ لي بِجُودِكَ مُقَصِّرَاتِ تَجَنِّيها[13]. إلهي، أَلْقَتْنِي الحَسَناتُ بيْنَ جُودِكَ وَكَرَمِكَ، وَأَلْقَتْنِي السَّيِّئاتُ بَيْنَ عَفْوِكَ وَمَغْفِرَتِكَ. وَقدْ رَجوْتُ أنْ لاَ يَضِيعَ بَيْنَ ذَيْنِ[14] وَذَيْنِ[15] مُسِيءٌ وَمُحْسِنٌ. إلهي، إذَا شَهِدَ لِيَ الإيمانُ بتَوْحِيدِكَ، وَانطَلَقَ لِساني بتَمْجيدِكَ، وَدَلَّني القُرْآنُ على فَضائِلِ جُودِكَ؛ فَكَيْفَ لاَ يَبْتَهِجُ رَجائي بحُسْنِ مَوعِدِكَ؟! إلهي، تَتابُعُ إحْسانِكَ، يَدُلُّني عَلى حُسْنِ نَظَرِكَ؛

---

[1] فاقتي إليه: فقري وحاجتي إليه.

[2] لا احتراس من الذَّنب: لا تَحفُّظ من الذَّنب.

[3] كيف لي ... مشيئتك: كيف أستفيد شيئاً لم يكن في مشيئتك أنّي أستفيده.

[4] قد أظلّها: لابسها، وقام بها.

[5] تَغمَّدني برحمتك: اغمرني بها، واستر ما كان منّي.

[6] وسائل عِللي: وسائل تعلُّلي وتأمُّلي.

[7] فمن أعدل منك؟: المراد: لا أحد أعدل منك في الحكم يا أحكم الحاكمين.

[8] لم تولِني: المراد لم تعطني إلاّ الجميل في حياتي.

[9] أجارتني: حفظتني.

[10] عد بفضلك: أنعم بفضلك على من غلب عليه جهله.

[11] اقترفت: اكتسبت.

[12] أرحم من استرحم: أي أنت أرحم منكلّ من طُلبت رحمته؛ لأنَّ من استرحمك، تكفيه عن رحمة من سِواك. ومن استرحم بغيرك، فلا تكفيه تلك الرّحمة عن رحمتك، يا واسع المغفرة.

[13] تجنِّيها: (التّجنِّي) ادِّعاء الإنسان على غيره ذنباً لم يفعله.

[14] ذَين: جودك وكرمك.

[15] ذين: عفوك ومغفرتك.

This file was downloaded from QuranicThought.com

فكَيْفَ يَشقَى امْرُؤٌ أَوْلَيْتَهُ مِنْكَ حُسْنَ النِّظَرِ؟! إلهي، إِنْ نَظَرَتْ إِلَيَّ بالهَلَكَةِ[1] عُيُونُ سُخْطِكَ، فما نامَتْ عنِ استنْقاذِي مِنْها عُيُونُ رَحْمَتِكَ. إلهي، إن عَرَّضَنِي ذَنْبِي لِعِقابِكَ، فَقَدْ أدْنانِي رَجائي مِنْ ثَوابِكَ. إلهي، إِنْ غَفَرْتَ فبفَضْلِكَ، وَإِنْ عَذّبْتَ فبعَدْلِكَ. فيا مَنْ لاَ يُرْجى إلاّ فَضْلُهُ، وَلاَ يُخافُ إلاَّ عَدْلُهُ، صلِّ على محمَّدٍ، وَآل محمَّدٍ، وَامنُنْ علىَّ بفَضْلِكَ، وَلاَ تَستَقْصِ[2] علىَّ عَدْلَكَ. إلهي، خَلَقْتَ لي جسْماً، وَجَعلْتَ لي فيهِ آلاَتٍ أُطيعُكَ بها، وَأَعْصِيكَ، وَأُغْضِبُكَ بها، وَأُرْضِيكَ. وَجَعلْتَ لي مِنْ نَفْسي دَاعِياً إلى الشَّهَوَاتِ، وَأسكَنْتني دَاراً مُلِئَتْ مِنَ الآفاتِ[3] وَقُلْتَ لي:

ازْدَجِرْ[4]؛ فَبكَ أَعتَصِمُ[5]، وَبكَ أحترِزُ، وَأستَوفِقُكَ[6] لِمَا يُرْضِيكَ، وَأسأَلُكَ فإنّ سُؤَالي لاَ يُحْفِيكَ[7]. إلهي، لَوْ عَرَفْتُ اعتِذَاراً وَتنَصُّلاً[8] هُوَ أبلَغُ مِنْ الاعتِرَافِ بهِ؛ لأَتيْتُهُ فهَبْ لي ذَنْبِي[9] بالاعتِرَافِ وَلاَ تردّني في طَلَبِي بالخَيْبَةِ عنْدَ الانْصِرَافِ. إلهي، كأَنِّي بنَفْسي قدِ اضطَجعتْ فِي حُفْرَتِها، وانْصَرَفَ عنْها المُشَيِّعُونَ مِنْ عَشِيرَتِها، وناداها مِنْ شَفِيرِ القَبْرِ[10] ذَوُو مَودّتِها[11]، ورَحِمَها المُعادِي لها في الحَياةِ عِنْدَ صَرْعَتِها، و لَمْ يَخفَ على النَّاظِرِينَ إلَيْها ذُلُّ فاقَتِها[12]. ولاَ عَلى مَنْ قَدْ رآها توَسَّدَتِ الثّرى[13] عَجْزُ حِيلَتِها؛ فقُلْتَ ملاَئِكتِي[14]، قَرِيبٌ نأَي عنْهُ الأَقْرَبُونَ، وَبَعِيدٌ جَفَاهُ[15] الأَهْلُونَ، وخَذَلَهُ المُؤَمَّلُون[16]، نَزَلَ بي قريباً، وأصْبحَ في اللَّحْدِ غريباً، وقدْ كانَ لي في دَارِ الدُّنْيا رَاعِياً[17]، وَلِنَظَرِي إلَيْهِ في هذَا اليَوْمِ رَاجياً[18]؛ فَتُحْسِنُ عِنْدَ ذلكَ ضِيَافَتِي، وَتَكُونُ أَشْفَقَ عَلَيَّ مِنْ أَهْلي وَقَرَابَتِي. إلهي، سَتَرْتَ علَيَّ في الدُّنيا ذُنُوباً، وَلَمْ تُظْهِرْها؛ فَلاَ تَفْضَحْنِي يَوْمَ ألقاكَ عَلى رُؤُوسِ العالَمِينَ، وَاستُرْها عَلَيَّ هُناكَ يا أَرْحَمَ الرَّحِمِينَ. إلهي، لَو طَبَّقَتْ ذُنُوبِي[19] بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرضِ، وَخَرَقَتِ النُّجُومَ، وَبَلَغَتْ أَسْفلَ الثَّرَى، ما رَدَّنِي اليأسُ عَنْ تَوَقُّعِ غُفْرَانِكَ، وَلاَ صَرَفَنِي القُنُوطُ عَنِ انْتِظارِ رِضْوَانِكَ. إلهي، سَعَت نَفْسِي إلَيْكَ، لِنَفْسَي تَسْتَوْهِبُها[20]، وفَتَحتْ أفْوَاهَ أمَلِها تَستَوْجبُها؛

---

[1] بالهَلَكة: بالعذاب.

[2] لا تَسْتَقْصِ: لا تبلغ بي الغاية في عدلك.

[3] الآفات: جمع آفة، وهي الجائحة المهلكة.

[4] ازدجر: انزجر، امتنع، وابتعد.

[5] أعتصم: أمتنع وأحتمي.

[6] أستوفقك: أسألك التَّوفيق.

[7] سؤالي لا يحفيك: لا يشغلك أو يتعبك؛ فهو سهل هيِّن عندك.

[8] تنصلاً: (التّنصّل) التَّبرُّءُ من الذَّنب.

[9] هب لي ذَنْبي: سامحني، ولا تؤاخذني به.

[10] شفير القبر: ناحية القبر، حافة القبر.

[11] مودّتها: محبَّتها.

[12] ذلُّ فَاقِتها: ذلُّ فقرها وحاجتها.

[13] توسَّدت الثّري: اتّخدته كالوسادة؛ كناية عن ذِلّتها وهوانها.

[14] فقلت: ملائكتي: أي قلت –من باب الرّأفة بي– يا ملائكتي هذا قريب؛ ابتعد عنه الأقربون.

[15] جفاه الأهلون: قطعةُ الأهلون.

[16] خذله المؤمَّلون: تخلّي عن نصرته من كان يأمل فيهم خيراً.

[17] راعياً: أي مُراعياً، مُراقباً.

[18] راجياً: مؤمّلاً، ومُريداً.

[19] طبَّقت ذنوبي: ملأت ذنوبي.

[20] تستوهبها: تطلب إليك أن تهبها إيّاها، كناية عن مغفرتك لها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

فَهَبْ لها ما سأَلَتْ، وَجُدْ لَها بِما طَلَبتْ؛ فإنَّكَ أكْرَمُ الأكْرَمِينَ، بِتَحْقِيقِ أمَلِ الآمِلِينَ، إلهي، قَدْ أصبَحْتُ مِنَ الذُّنُوبِ ما عَرَفْتَ، وَأَسْرَفْتُ[1] عَلى نَفْسِي بِما قَدْ عَلِمتَ؛ فاجْعَلْنِي عَبْداً لَكَ؛ إمَّا طائِعاً أكْرَمْتَنِي، وَإمَّا عَاصِياً فَرَحِمْتَنِي. إلهي، دَعَوْتُكَ بالدُّعاءِ الَّذِي عَلَّمْتَنِي؛ فَلاَ تَحْرِمْنِي مِنْ حِبَائِكَ[2] الَّذِي عَرَّفْتَنِي. فَمِنَ النِّعْمة أنْ هَدَيْتَنِي لِحُسْنِ دُعَائِكَ، وَمِنْ تَمامِها أنْ تُوجِبَ لِي مَحْمُودَ جَزَائِكَ. إلهي، انْتَظَرْتُ عَفْوَكَ كمَا يَنْتظِرُ المُسيئُون، وَلَسْتُ مِنْ رَحْمَتِكَ الَّتِي يَتَوَقَّعُها المُحْسِنُونَ[3]. إلهي، جُودُكَ بَسَطَ أمَلِي، وَشُكْرُكَ قِبَلَ عَمَلِي. فَصَلِّ عَلَى مُحمَّدٍ، وَعلى آلِ محمَّدٍ، وَبَشِّرنِي بِلِقائِكَ، وَأَعْظِمْ رَجائِي لجَزَائِكَ. إلهي، أنْتَ الكَرِيمُ الَّذِي لاَ يَخِيبُ لَدَيْكَ أمَلُ الآمِلِينَ، وَلاَ يَبْطُلُ عِنْدَكَ سَبْقُ السَّابِقِينَ[4]. إلهي، إنْ كُنْتُ لَمْ أسْتَحِقَّ مَعْرُوفَكَ، وَلَمْ أسْتَوْجِبْهُ، فَكُنْ أَنْتَ أهْلَ التَّفَضُّلِ[5] بِهِ عَلَيَّ؛ فالكَرِيمُ لَمْ يَضَعْ مَعْرُوفَهُ عِنْدَ كلِّ مَنْ يَسْتَوْجِبُهُ. إلهي، مَسْكَنَتِي[6] لاَ يَجْبُرُها[7] إلاّ عَطاؤُكَ، وَأُمْنِيَّتِي لاَ يُغنيها إلاّ نَعْماؤكَ. إلهي، أسْتَوفِقُكَ[8] لِما يُدنِيني مِنْكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِمَّا يَصْرِفُنِي عَنْكَ. إلهي أحَبُّ الأُمُورِ إلى نَفْسِي، وَأعْوَدُها علىَّ مَنْفَعة[9] ما أرْشَدتَها بِهدَايتِكَ إلَيْهِ، وَدَلَلْتَها برَحْمَتِكَ عليْهِ؛ فاسْتَعْمِلْها بذلِكَ عنّي، إذْ أنْتَ أَرْحمُ بها منّي. إلهي، أرْجُوكَ رَجاءَ مَنْ يَخافُكَ، وأخافُكَ خَوْفَ مَنْ يَرْجُو ثَوابَكَ، فَقِنِي بالخَوْفِ شرَّ ما أَحْذَرُ. وأَعْطِنِي بالرَّجاءِ خيْرَ ما أُحاذِرُ[10]. إلهي، انْتظَرْتُ عَفْوَكَ كما ينْتظِرُ المُذْنِبُونَ، ولَسْتُ آيِساً[11] مِنْ رَحْمتِكَ الَّتِي يَتوقَّعُها المُحْسِنُونَ. إلهي، مدَدْتُ إلَيْكَ يَداً بالذُّنُوب مأسُورَةً[12]، وَعَيْناً بالرَّجاءِ مَذْرُورَةً[13]، وحقِيقٌ[14] لِمَنْ دَعاكَ بالنَّدَم تَذَلُّلاً، أنْ تُجيبَ لَهُ[15] بالكَرَم تفضُّلاً. إلهي، إنْ عَرَّضَتْنِي ذُنُوبِي لِعقابِكَ، فقدْ أدْنانِي رَجائي مِنْ ثَوابكَ. إلهي، لَمْ أُسلِّط[16] على حُسْنِ ظَنِي بكَ قُنُوطَ الآيسينَ، فلا تُبْطِلْ صِدْقَ رَجائي بكَ بيْنَ الآمِلِينَ. إلهي، إنِ انْقَرَضَتْ[17] بغيْرِ ما أحْبَبْتُ مِنَ السَّعي أيَّامِي. فبالإيمانِ أمْضتْها الماضِيَاتُ مِنْ أعْوَامي. إلهي، إن أَخْطأْتُ طَرِيقَ النَّظرِ لِنَفْسي بِمَا فيهِ كرَامتُها، فقدْ أَصبْتُ طريقَ الفزَعِ إلَيْكَ بِمَا فِيهش سلامتُها. إلهي، ما أضيْقَ[18]

---

[1] أسرفت علي نفسي: جاوزت القصد علي نفسي بإكثاري من الذّنوب والخطايا التي ترديها وتهلكها.

[2] من حِبائك: من عطائك.

[3] يتوقّعها المحسنون: ينتظرها المحسنون.

[4] سبق السّابقين: سبقهم بما قدّموه من العمل الصّالح ابتغاء مراضاتك، وطمعاً في جنّتك.

[5] التّفضُّل: التّكرّم.

[6] مسكنتي: ذِلّتي.

[7] لا يجبرها: لا يُصلحها.

[8] أستوفقك: أسألك التّوفيق.

[9] أعودها عليّ منفعة: أكثرها نفعاً.

[10] ما أحاذر: ما أخشاه وأخافه.

[11] آيساً: يائساً.

[12] مأسورة: أسيرة.

[13] مذرورة: مصابة بالذّرور؛ وهو ما يُذَرُّ في العين.

[14] حقيق لمن دعاك: خليق بمن دعاك.

[15] أن تجيب له: أن تستجيب له دعاءه.

[16] لم أسلّط الخ: لم أجعل القنوط من رحمتك مسيطراً على رجائي وحسن ظنّي بك، كما يفعل الضّالّون عن سبيلك.

[17] انقرضت: تلاشت وذهبت.

[18] ما أضيق الطّريق الخ: ما أصعب السّير على طريق الحقّ والهداية لمن لم يهتدِ بهديك، وما أوحش المسلك لمن تكن مؤنساً له ومرشداً!!

This file was downloaded from QuranicThought.com

الطَّرِيقَ على مَن لَمْ تكُنْ أنتَ دَلِيلَهُ[1]! وَما أوْحَشَ المَسْلَكَ عَلى مَنْ لَمْ تَكُنْ أنْتَ أنِيسَهُ[2]! إلهي، انْهملَتْ عَبرَاتِي[3] حِينَ ذَكَرْتُ خَطيآتِي، وَما لَها لاَ تَنْهَمِلُ، وَلاَ أدْرِي ما يَكُونُ إلَيْهِ مَصِيري؟! أوْ ماذَا يَهْجِمُ عليْه[4] عِنْدَ البَلاَغِ مَسِيرِي؟! وأرَى نَفْسِي تُخَاتِلُنِي[5]، وَأيَّامِي تُخادِعُنِي، وَقَدْ خَفَقَتْ فَوْق رأسِي أجْنِحَةُ المَوْتِ، وَرَمَتْنِي مِنْ قَرِيبٍ أعْيُنُ الفَوْتِ؛ فَمَا عُذْرِي وَقَدْ أوْجَسَ[6] في مَسَامِعِي رَافِعُ الصَّوْتِ؟! لَقَدْ رَجَوْتُ مِمَّنْ ألْبَسنِي بَيْنَ الأَحْيَاءِ ثَوْبَ عَافِيَتِهِ، أنْ لاَ يُعْرِيَنِي مِنْهُ بَيْنَ الأَمْوَاتِ بِجُودِ رَأفَتِهِ. وَلَقَدْ رَجَوْتُ حِينَ تَوَلاّنِي[7] بَاقِيَ حَيَاتِي بِإحْسَانِهِ، أنْ يُسْعِفَنِي عِنْدَ وَفَاتِي بِغُفْرَانِهِ. يا أنِيسَ كُلِّ غَرِيبٍ، آنِسْ في القَبرِ وَحْشَتِي، ويَا ثَانِيَ كُلِّ وَحِيدٍ، اِرْحَمْ في القَبْرِ وَحْدَتِي. يَا عَالِمَ السِّرِّ وَأخْفى، وَيا كَاشِفَ الضُّرِّ وَالبَلْوَى، كَيْفَ نَظَرُكَ لِي[8]، مِنْ بَيْنِ سَاكِنِي الثَّرى؟! وَكَيْفَ صُنْعُكَ بِي في دَارِ الوَحْشَةِ وَالبِلَى؟! قدْ كُنْتَ بِي لَطِيفاً أيَّامَ حَياةِ الدُّنْيا يَا أفْضَلَ المُنْعِمِينَ في آلائِهِ[9]، وَأنْعَمَ المُفْضِلِينَ في نَعْمَائِهِ. كَثُرَتْ عِنْدِي أيادِيكَ[10] فَعَجَزْتُ عَنْ إحْصائِهَا. وَضقْتُ ذَرْعاً في شُكْرِي لَكَ بِجَزَائِهَا؛ فَلَكَ الحَمْدُ على ما أوْلَيْتَ[11]، وَلَكَ الشُّكْرُ عَلى مَا أبْلَيْتَ[12]. يا خَيْرَ مَنْ دعاهُ دَاعٍ، وأفْضَلَ مَنْ رَجَاهُ رَاجٍ، بِذِمَّةِ الإسْلاَمِ أقْبَلْتُ إلَيْكَ، وَبِحُرْمَةِ القُرْآنِ أعْتَمِدُ عَلَيْكَ، وَبِمُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وآله وسلم- أتَقَرَّبُ إلَيْكَ؛ فَصَلِّ عَلَى مُحمَّدٍ، وَعلى وآلِ محمَّدٍ، واعْرِفْ لِي ذِمَّتِي الَّتِي بِها رَجَوْتُ قَضاءَ حَاجَتِي، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطاعَتِكَ، وَاخْتِمْ لِي بِخَيْرٍ، وَأعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ، وأسْكِنِّي الجَنَّةَ، وَلاَ تَفْضَحْنِي بِسَرِيرَتِي حَيًّا وَلاَ مَيِّتاً، وَهَبْ لِيَ الذنُوبَ[13] الَّتِي فيمَا بَيْنِي وبَيْنَكَ، وَأَرْضِ عِبادَكَ عَنِّي[14] في مَظالِمِهِمْ قِبَلِي، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ رَضِيتَ عنْهُ فَحَرَّمْتَهُ عَلى النَّارِ وَالعَذَابِ، وَأَصْلِحْ لِي كُلَّ أُمُورِي الَّتِي دَعوْتُك فيهَا في الآخِرَةِ والدُّنْيا. يا حَنَّانُ، يا مَنَّانُ، يا ذَا الجَلاَلِ وَالإكْرَامِ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ، يا مَنْ لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ، تَبارَكْتَ يا أحْسَنَ الخَالِقِينَ، يَا رَحِيمُ، يا كَرِيمُ، يا قَدِيرُ، صَلِّ عَلى محمَّدٍ، وَعَلى آلِهِ الطَّيِّبِينَ؛ وَعلَيْهِ وعَلَيهِمُ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، إنَّهُ حَمِيدٌ مَجيدٌ. أخْبَرَنَا حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قالَ: أخْبَرَنا الحُسَيْنُ بن خَالَوَيْهِ، قالَ: حَدَّثَنا ابْنُ دُرَيْدٍ، قالَ: حَدَّثَنا السَّكَنُ بْنُ سَعِيدٍ عنْ مُحمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ الكَلبِيّ عنْ أبيهِ، قالَ: حَدَّثَنا حَوْثَرَةُ بْنُ الهِرْماسِ، وَكانَ شَيْخاً هِمّاً[15]، وَذَكَرَ وُفُودَ بَنِي دَارِمٍ[16] إلَى أمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ -كرّم الله

---

[1] دليلَه: دالَّة.

[2] أنيسه: مُؤنسه.

[3] انهملت عبراتي: فاضت دموعي من جرّاء بكائي.

[4] ماذا يهجم عليه: ماذا ينتهي إليه؟

[5] تخاتلني: تخادعني.

[6] أوجس في مسامعي رافع الصّوت: أخطر في مسامعي من عالي صوته ما انحطّ به حولي وجاشت له نفسي.

[7] تولاّني: تعهّدني، وكفلني.

[8] كيف نظرك لي؟ المراد إليّ بعين الرّحمة.

[9] آلائه: نعمه.

[10] كثرت عندي أياديك: كثرت نعمك التي لا تُحصى عليّ؛ فكيف أستطيع شكرك عليها؟ لأنّني مخلوق ضعيف وأنت الخَالِقُ القادر.

[11] أوليت: منحت، أعطيت، ملّكت.

[12] أبليت: امتحنت، اختبرت.

[13] هب لي الذّنوب: لا تؤاخذني بها.

[14] وأرض عبادك عني: اجعلهم راضين عنّي فيما يتعلّق بي من حقوقهم الواجبة عليّ.

[15] هِمّاً: طاعناً في السِّنّ.

[16] وفود بني دارم: (الوفود) القادمون من سفر.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وجهه- وَذَكَرَ حَدِيثَ الاسْتِسْقَاءِ بِطُولِه، وقالَ فيهِ؛ فَقامَ إِلَيْه منَّا رَجُلٌ منْ حِسْلٍ، فَقالَ: يا أَمِيرَ المُؤمِنِين، جادَتْكَ الأَنْوَاءُ[1]، وَضَفَا لَدَيْكَ[2] البلاءُ، وتُمِّمَتْ بِكَ الآلاءُ[3]، وَكُشِفَتْ بِيُمنكَ اللّأوَاءُ[4]، أَتَتْكَ عَما عِمُ مِنْ أَفْنَاءِ دَارِم[5]، تَطْوِي إِلَيْكَ سُهُوبَ الأَمْلاَءِ[6]، بالحَرَاجِيج[7] الأَبْلاَءِ[8] تَبُثُّكَ أَزَبَاتِ اللأوَاءِ[9]، وَلَزْبَاتِ الشَّهْبَاءِ[10]. تَزْدَلِفُ بِكَ[11]، وَتَسْتَمْطِرُ بِغُرَّتِك[12]، وَتَسْتَدْفِعُ[13] البَلْوَى بِسُنَّتِكَ.

وَقامَ إِلَيْهِ أَبُو سُرَادِق، فَتَكَلَّمَ بِكَلاَمٍ قالَ فِي آخِرِهِ: أَنْتَ رَبِيعُ الأَيَّامِ، وَعُصْرَةُ الأَنَامِ[14]، وَمِصْباحُ الظَّلاَمِ، وَغايَةُ المِعْدَامِ[15]، وَالسَّيِّدُ الهُمَامُ، وَالإِمَامُ القَمْقَامُ[16]، لاَ مُعْتَصَرَ عنْكَ[17]، وِلاَ مُعْتَصَمَ دُونَك.

فَقالَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ كرَّم الله وجهه.

الحَمْدُ لله، وَالصَّلاَةُ عَلى خَيْرِ خَلْقِ الله، وَسَلاَمٌ علَى المُصْطَفَيْنَ مِنْ عِبَادِ الله. يا قَنبرُ، نادِ: الصَّلاَةُ جامعَةٌ. ثُمَّ نَهَضَ مُضْجِراً بِنَصِيفٍ مُزَبْرَق[18]، كأَنَّما غُرَّتُهُ البَدْرُ لِتِمِّهِ[19]، يَكَادُ يُعْشِي النَّاظِرِينَ[20]، يَؤُمُّ المَسْجِدَ، فَصلَّى، ثُمَّ دَنا مِنَ القَبْرِ، فَهَيْنَمَ بِكَلِمَاتٍ[21] لَمْ أُوجسْهُنَّ[22]، ثُمَّ قام قانتاً، فقال أَمِيرُ المُؤمِنِينَ كرّم الله وجهه: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّبْعِ الطِّبَاقِ،

---

[1] جادتك الأنواء: أمطرتك (النّجوم) حيث كانت العرب تضيف الأمطار إليها.

[2] ضَفا لديك: عمَّ وكثر لديك.

[3] تمَّت لديك الآلاء: كملت بك النِّعم.

[4] اللأواء: الشِّدّة.

[5] أتتك عما عم من أفناء دارم: جاءتك جماعات متفرّقة من أوباش دارم وأخلاطهم.

[6] تطوي سهوب الإملاء: تطوي نواحي المفاوز والصّحارى.

[7] بالحراجيج: بالنِّياق الطّويلة.

[8] الأبلاء: القوّية على الأسفار.

[9] تبُثُّك للأزَبات اللأواء: تظهر لك ما نزل بها، وتشكو إليك؛ والأزبات: الشّدائد، واللأّواء: الشِّدَّة.

[10] لزبات الشَّهباء: شدائد الشّهباء؛ والشَّهباء: السَّنة التي لا مطر فيها، ولا خضرة.

[11] تزدلف بك: تتقرَّب بك.

[12] تستمطر بغُرَّتك: تطلب المطر بتزلُّفها إليكم.

[13] تستدفع البلوى: تطلب دفع البلاء الذي نزل بها.

[14] عُصرة الأنام: منجاة المخلوقين.

[15] غاية المعدام: غاية المحتاج ومقصده.

[16] الإمام القمقام: الإمام السَّيِّد.

[17] لا مُعتصر عنك: لا مُلتجأ عنك إلى غيرك.

[18] نصيب مزبرق: ثوب ملوَّن.

[19] لِتمّة: لتمامه.

[20] يغشي النَّاظرين: يردّ أبصارهم كَليلةً لصباحته وشدّة الحياء منه.

[21] هينم بكلمات: قرأها بصوت خافت خفيّ.

[22] لم أوجسهنّ: لم أسمعهن.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَالرُّقَعِ الوِثَاقِ[1]، خالِقَ الخَلْقِ وَباسِطَ الرِّزْقِ، عَالِمَ الخَفِيَّاتِ، وَكاشِفَ الكُرُبَاتِ، وَمُجِيبَ الدَّعَوَاتِ، وَقَابِلَ الحَسَنَاتِ، وَغافِرَ السَّيِّئَاتِ، وَمُقِيلَ العثَرَاتِ، وَمُنْزِلَ البركاتِ، مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ بِعِلْمِكَ؛ مَنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِكَ، وأَكْنافِ كَرَامَتِكَ، علَى شاكِرِي آلائِكَ[2]، وكَافِرِي نَعْمَائِكَ مَنْ عِبادِكَ، وَقُطَّانِ بلادِكَ رَأْفَةً مِنْكَ، وَنِعْمَةً علَيْهِمْ. أَنْتَ غايَةُ الطَّالبينَ، ومَلاذُ الهاربينَ، أَتَاكَ مَلأ منْ عَبيدِكَ، بِإِزَاءِ قَبْرِ نَبِيِّكَ، تَزْدَلِفُ إِلَيْكَ[3] بعَبْدِكَ، وتَشْكُو ما أَنْتَ أَعْلَمُ به. اللَّهُمَّ، فإِنَّا نَسأَلُكَ بِكَ، فَلاَ شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْكَ، وبِمَا اسْتَقَلَّ بِهِ عَرْشُكَ[4] مِنْ عَظَمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ؛ السَّمَاءَ والأَرْضَ، وَمَلأَتِ البَرَّ والبَحْرَ، أَنْ تُصَلِّيَ على مُحمَّدٍ خاتِمِ النَّبِيِّينَ، وسيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخرِينَ. اللَّهُمَّ، كاشِفَ الضُرِّ ومُزِيلَ الأَزْلِ[5]، أَزِلْ عَنْ عِبادِكَ ما قَدْ غَشِيَهُمْ[6] مِنْ آياتِكَ، وبَرَّحَ بِهِمْ[7]، منْ عَقابك؛ إِنّهُ لاَ يَكْشِفُ السُّوءَ إِلاّ أَنْتَ إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ.

[1] الرُّقع الوثاق: السّموات المحكمات؛ وسُمِّيت بالرُّقع؛ لأنّ كلّ سماء تُرفع فوقها، كما يُرفع الثُوب بالرّقعة.

[2] شاكري آلائك: شاكري نعمك.

[3] تزدلف إليك: تتقرَّب إليك.

[4] استقلّ به عرشك: ارتفع به عرشك.

[5] مُزيل الأزْل: كاشف الضِّيق والشِّدَّة.

[6] غشيهم: أصابهم، وأحاط بهم من علامات قدرتك.

[7] برَّح بهم: بلغ بهم الغاية في الجهد والمشقَّة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الباب التاسع
في المَحْفُوظِ منْ شِعْرِه

رَوَى أَبُو عَبْدِ اللهِ إِبْرَاهِيمُ بن مُحَمَّدِ بْنِ عَرَفَةَ الأَزْدِيُّ النَّحْوِيُّ نِفْطَوَيْهِ[1] مِنْ شِعْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ كرّم الله وجهه:

(البسيط)

الحَمْدُ للهِ رَبّي الخَالِقُ الصَّمَدُ ... فَلَيْسَ يَشْرَكُهُ[2] في مُلْكِهِ أَحَدُ
هُوَ الَّذِي عَرَّفَ الكُفَّارَ كُفْرَهُمُ ... وَالْمُؤْمِنُونَ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا وُعِدُوا[3]
فإِنْ تَكُنْ دَولَةٌ[4] كانَتْ لَنا عِظَةً ... وَهَلْ عَسَى أنْ يُرَى في غَيِّها[5] رَشَدُ

وَيَنْصُرُ اللهُ مَنْ وَالاَهُ إِنّ لَهُ ... نَصْراً وَيَمْثُلُ[6] بالكُفَّارِ إِذْ عَنَدُوا
فإِنْ نَطَقْتُمْ بِفخْرٍ لاَ أَبَالَكُمُ ... فِيمَنْ تَضَمَّنَ مِنْ إِخْوانِنَا أُحُدُ
فإِنَّ طَلْحَةَ غادَرْناهُ مُنْجَدِلاً[7] ... وَلِلصَّفَائِحِ[8] نارٌ بَيْنَنا تَقِدُ
يَعْنِي طَلْحَةَ بنَ أبي طَلْحَةَ العَبْدَرِيّ، وَكانَ مَعَهُ لِوَاءُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ:
وَالمَرْءَ عُثْمانَ أَرْدَتْهُ أَسِنَّتُنا ... فَجَيْبُ زَوْجَتِهِ إِذْ خُبِّرَتْ قِدَدُ
هُوَ عُثْمَانُ بْنُ أبي طَلْحَةَ، قَتَلَهُ حمزةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَوْمَ أُحُدٍ:
في تِسْعَةٍ وَلِوَاءٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ[9] ... لَمْ يَنْكِلُوا عَنْ حِيَاضِ المَوْتِ إِذْ وَرَدُوا
كانُوا الذُّؤَابَةَ مِنْ فِهْرٍ[10] وَأَكْرَمِهَا ... حَيْثُ الأُنُوفُ[11] وَحَيْثُ الفَرْعُ وَالعَدَدُ
وَأَحْمَدُ الخَيْرُ[12] قَدْ أَرْدَى[13] عَلَى عَجَلٍ ... تَحْتَ العَجَاجِ أُبَيًّا وَهْوَ مُجْتَهِدُ

---

[1] نفطويه: إبراهيم بن محمد بن عرفة الازديّ العتكيّ، من أحفاد المهلّب بن أبي صفرة. إمام في النّحو، وكان فقيهاً، رأساً في مذهب دواد، مسنداً في الحديث ثقة، جالس الملوك والوزراء، وأتقن حفظ السِّيرة، ووفيات العلماء، مع المروأة والفتوة والظّرف. ومن مؤلّفاته: كتاب التاريخ، وغريب القرآن، وكتاب الوزراء، وأمثال القرآن. وفيات الأعيان:11/1، وإنباه الرّواة:176/1.

[2] يَشْرَكُهُ: يُشَارِكُهُ.

[3] عَرَّف الكفَّار كُفرَهم: عرَّفهم، وبيَّن لهم عاقبة كفرهم، وما يترتب عليه من الجزاء.

[4] دولة: غلبة

[5] غَيِّها: ضلالها.

[6] يَمثُلُ: (يمثل بالكفّار) ينكل بهم، ويجعلهم مثله بين النَّاس.

[7] مُنجَدِلاً: تركناه طريحاً على الجدالة (الأرض).

[8] للصّفائح: للسّيوف.

[9] بين أظهرهم: بينهم.

[10] الذُّؤابة من فهر: الصّفوة من فهر؛ لأنَّ الذُّؤابة –هنا– كِنَاية عن الشَّرف والفضل.

[11] الأُنوف: السَّادات الطّيبو الأصل والفرع.

[12] أحمد الخير: أي النَّبيّ محمد صلّى الله عليه وآله وسلم.

[13] أردى: أهلك.

This file was downloaded from QuranicThought.com

يَعْنِي أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ، قَتَلَهُ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم بِيَدِهِ وَطَعَنَهُ طَعْنَةً يَوْمَ أُحُدٍ

فَظَلَّتِ الطَّيْرُ وَالضِّبْعانُ تَرْكَبُهُ ... فَحَامِلٌ قِطْعَةً مِنْهُ وَمُقْتَعِدُ

وَمَنْ قَتَلْتُمْ علَى ما كانَ مِنْ عَجَبٍ ... مِنَّا فَقَدْ صادَفُوا خَيْراً وَقَدْ سَعِدُوا

لَهُمْ جِنانٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ طَيِّبَةٌ ... لاَ يَعْتَرِيهِمْ بِها حَرٌّ وَلاَ صَرَدُ[1]

صلَّى الإلهُ عَلَيْهِمْ كُلَّما ذُكِرُوا ... فَرُبَّ مَشْهَدِ صِدْقٍ قَبْلَهُ شَهِدُوا

وَمُصْعَبٌ كانَ لَيْثاً دُونَهُ حَرِداً[2] ... حتَّى تَرَمَّلَ مِنْهُ[3] ثَعْلَبٌ[4] جَسِدُ[5]

مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ صاحِبُ لِوَاءِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ

لَيْسُوا كَقَتْلَى مِنَ الكُفَّارِ أَدْخَلَهُمْ ... نارَ الجَحِيمِ علَى أَبْوَابِها الأُصُدُ

الأُصُدُ مِنَ الوَصِيدِ، يُقَالُ: أَوْصَدْتُ البابَ، وَآصَدْتُهُ؛ أيْ

أَغْلَقْتُهُ؛ وَالوَصِيدُ –أَيْضاً– الفِنَاءُ مِن قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ (الكهف:18).

وقال كرّم الله وجهه:

في قَتْلِهِ عَمْرَو بْنَ وُدٍّ، وَكانَ حِينَ قَتَلَهُ سَقَطَ عَمْرٌو؛ فانْكَشَفَ، فَتَنَحَّى عَنْهُ وقالَ:

(الكامل)

أَعَلَيَّ يَقْتَحِمُ الفَوَارِسُ[6] هكَذَا ... عَنِّي وَعَنْهُمْ أَخِّرُوا أَصْحَابِي

اليَوْمَ يَمْنَعُنِي الفِرَارَ حَفِيظَتِي[7] ... ومُصَمِّمٌ فِي الرَّأْسِ لَيْسَ بِنابِ[8]

وَغَدَوْتُ أَلْتَمِسُ القِرَاعَ وَصَارِمٌ ... عَضْبٌ[9] كَلَوْنِ المِلْحِ فِي أَقْرَابِ[10]

آلَى ابنُ عَبْدٍ[11] حِينَ شَدَّ أَلِيَّةً ... وَحَلَفْتُ فاسْتَمِعُوا مِنَ الكَذَّابِ

أَلاَّ يَفِرَّ وَلاَ يُهَلِّلَ فالتَقَى ... رَجُلاَنِ يَضْطَرِبَانِ كُلَّ ضِرَابِ

وَصَدَدْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ مُتَقَطِّراً[12] ... بالدَّرْعِ بَيْنَ دَكَادِكٍ[13] وَرَوَابِي[14]

---

[1] ولا صَرَد: ولا برد.

[2] حَرِداً: غضبان.

[3] ترمَّل منه: تلطَّخ بدمه.

[4] ثَعلب: طرف الرمح.

[5] الجَسِد: (الجَسَد) الدّم إذا يبس؛ والمقصود بالثّعلب الجَسِد: الدِّم اللّاصق بالرُّمح؛ وُصف به الرُّمح لأنهما بالتَّلاصق صارا كالشّيء الواحد.

[6] يقتحم الفوارس: يتجاسرون على لقائي من دون نظر في العواقب.

[7] حفيظتي: حميَّتي وغضبي.

[8] ليس بناب: ليس بمخطئ ضَربته.

[9] صارم عضب: سيف قاطع.

[10] في أقراب: (أقراب) جمع قِراب؛ وقراب السّيف معروف؛ ولكنَّ جمعه يأتي على قُرُب وأقربة؛ فجمعه هنا خلاف المألوف.

[11] آلى ابن عبد: حلف وأقسم.

[12] متقصراً: ساقطاً على قطريه (جانبيه).

[13] بين دكادك: (الدّكادك) الرِّمال المتلبّدة بالأرض، و لم ترتفع.

[14] روابي: جمع رابية؛ وهي ما ارتفع من الأرض.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وَعَفَفتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوَ انَّني ... كُنْتُ المُقَطَّرَ[1] بَزّنِي أَثْوَابِي
نَصرَ الحِجَارَةَ[2] مِنْ سَفاهَةِ رَأْيِهِ[3] ... وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ
لاَ تَحْسَبُنَّ اللهَ خاذِلَ دِينِهِ ... وَنَبِيِّهِ يا مَعْشَرَ الأَحْزَابِ
وَجاءَتْ أُخَتُ عَمْرو، فَوَجَدَتْهُ قَتِيلاً، فَقالتْ: مَنْ قتلَهُ؟ قالُوا: عَليُّ بْنَ أبي طالِبٍ كرّم الله وجهه. قالَتْ: كُفْوٌ كَرِيمٌ. ثُمَّ قالَتْ:

(البسيط)

لَوْ كَانَ قاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ ... لَقَدْ بَكَيْتُ عَلَيْهِ آخِرَ الأَبَدِ[4]
لكِنَّ قاتِلَهُ مِنْ لاَ يُعابُ بِهِ ... مَنْ كانَ يُدْعَى قَدِيماً بَيْضَةَ البَلَدِ[5]
قال –كرّم الله وجهه– في قَتْلِه عَمْرو بْنَ عَبْدِوُدٍّ:

(الطَويل)

كانُوا عَلى الإسْلاَمِ ألباً[6] ثَلاَثَةً ... فَقَدْ بُزَّ[7] مِنْ تِلْكَ الثَّلاَثةِ وَاحِدُ
ألباً: مُجتَمعينَ؛ يُقالُ: تألَّبوا على الشَّيْءِ؛ أي: اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ
وَفَرَّ أَبُو عَمْرٍو هُبَيْرَةُ لَمْ يَعُدْ ... لَنا وأخُو الحَرْبِ المُجَرَّبُ عائِدُ
نَهَتهُمْ سُيُوفُ الهِنْدِ[8] أنْ يَقِفُوا لَنا ... غَدَاةَ التَقَيْنا وَالرِّماحُ المَصايِدُ[9]
وقال كَرَّم الله وجهه:

(الطّويل)

ضَرَبْنا غُواةَ[10] النَّاس عَنْهُ تَكَرُّماً ... ولَمَّا يَرَوْا قَصْدَ السَّبِيلِ[11] ولاَ الهُدَى
فلمَّا تَبَيَّنَّا الهُدَى كانَ كلُّنا ... علَى طاعَةِ الرَّحمنِ وَالحَقِّ والتُّقى
نَصَرْنا رَسُولَ الله لَمَّا تَدَابَرُوا[12] ... وَثَابَ إِلَيْهِ المُسْلِمُونَ[13] ذَوو الحِجَا[14]

---

[1] المقطَّر: السَّاقط على قطريه (جانبيه).
[2] نصر الحجارة: نصر الأصنام والأوثان.
[3] سفاهة رأيه: طيشه وخِفَّة رأيه.
[4] آخر الأبد: المراد –هنا– بكيت عليه حتّى آخر الدَّهر.
[5] بيضة البلد: واحد بلده، أو مرجع بلده؛ يرجع النّاس إليه في المهمَّات؛ لرجاحة عقله وحنكته.
[6] ألْباً: مجتمعين؛ والمراد –هنا– اجتماعهم على الإسلام يمكرون بأهله ويتربّصون بهم الدَّوائر.
[7] بُزَّ: قُتل واحد من الثّلاثة.
[8] سيوف الهند: السّيوف المصنّوعة في الهند.
[9] المصايد: المُصَاد بها؛ والرِّماح المصايد: التي يُصْطَادُ بها الأعداء.
[10] غُواة: ضَالّين، خائبين.
[11] قصد السَّبيل: المراد سبيل الإسلام والاستقامة عليه.
[12] تدابروا: تقاطعوا
[13] ثاب إليه المسلمون: رجع إليه المسلمون.
[14] الحِجا: العقل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقال –كرّم الله وجهه– في يوم أحد:

(الوافر)

رَأَيْتُ المُشْرِكِينَ بَغَوْا[1] علَيْنا ... وَلَجُّوا[2] في الغَوَايَةِ[3] وَالضَّلَالِ
وَقالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ إذْ نَفَرْنا ...غَدَاةَ الرَّوْعِ[4] بالأَسَلِ النِّهالِ[5]
فإنْ تَبْغُوا وَتَفْتَخرُوا علَيْنا ... بِحَمْزَةَ وَهْوَ في الغُرَفِ العَوَالِي[6]
فَقَدْ أَوْدَى بِعُتْبَةَ[7] يَوْمَ بَدْرٍ ... وَقَدْ أَبْلَى وَجَاهَدَ غَيْرَ آلِ[8]
وَقَدْ غادَرْتُ كَبْشَهُمُ[9] جِهَاراً ... بِحَمْدِ اللهِ طَلحَةَ في الضَّلَالِ[10]

وقال كرّم الله وجهه:

(المتقارب)

عَرَفْتُ وَمَنْ يَعْتَدِلْ بَعْرِفِ ... وَأَيْقَنْتُ حَقًّا فَلَمْ أصْدِفِ
عَنِ الحِكَمِ الحُكْمُ آياتها[11] ... مِنَ اللهِ ذِي الرَّأْفَةِ الأَرْأَفِ[12]
رَسائِلُ تُدْرَسُ في المُؤْمنينَ ... بِهِنَّ اصْطَفى أَحْمَدَ المُصْطَفِي
فأَصْبَحَ أَحْمَدُ فِينَا عَزِيزاً ... عزيزَ المُقَامَةِ[13] والمَوْقِفِ
فيا أَيُّها المُوعِوُدهُ سَفَاهاً[14] ... ولَمْ يَأْتِ جَوْراً[15] وَلَمْ يَعْنُفِ[16]
أَلَستُمْ تَخافُونَ أَمْرَ العَذَابِ ... وَمَا آمِنُ اللهِ كالأَخْوَفِ
وَلَمْ يُصْرعُوا تَحْتَ أَسْيَافِهِ ... كَمَصْرَعِ كَعْبٍ أَبي الأَشْرَفِ

كَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ رَئيسُ اليَهُودِ، دَسَّ إِلَيْهِ النَّبيّ –صلى الله عليه وآله وسلم– مَنْ قَتَلَهُ:

غَدَاةَ تَرَاءَى[1] لِطُعْيانِهِ ... وَأَعْرَضَ كالجَمَلِ الأَخْنَفِ[2]

---

[1] بَغَوا: استطاعوا وتجاوزوا الحدَّ في تحدّينا.
[2] لَجُّوا: تمادوا في الخصومة.
[3] الغَوَاية: الضَّلالة والخيبة.
[4] غداة الرّوع: غداة الخوف والفزع.
[5] الأَسَل النِّهال: الرِّماح النَّواهل من دم القتلى.
[6] الغُرَف العَوالي: أعالي الجنَّة.
[7] أودى بعتبه: أهلكه وقتله يوم بدر
[8] غير آل: غير مقصِّر.
[9] كبشهم: سيِّدهم وكبيرهم.
[10] في الضَّلال: في الضَّياع والهلاك
[11] فلم أصدف: لم أعرض، و لم أمل.
[12] الحُكْم آياتها: المحكمات آياتها.
[13] الأرأف: الأرحم
[14] عزيز المقامة: عزيز الجانب والإقامة؛ ممنوع على أعدائنا؛ لا يصله أحد بأذىً
[15] جوراً: ظلماً.
[16] لم يَعْنُفِ: لم يكن صاحب عنف.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فأنْزَلَ جبْرِيلَ في قَتْلِهِ ... بوَحْيٍ إلَى عَبْدِهِ مُلْطَفِ
فَباتَتْ عُيُونٌ لَهُ مُعْولاَتٌ[3] ... مَتَى يُنْعَ كَعْبٌ[4] لَها تَذْرِفِ
فقالوُا لأَحْمَدَ ذَرْنا[5] قَليلاً ... فإنَّا مِنَ النَّوْحِ لَمْ نَشْتَفِ
فأَجْلاَهُمُ[6] ثُمَّ قالَ اظْعَنُوا ... فُتُوحاً عَلى رَغَمِ الآنُفِ[7]
وَأجْلَى النَّضِير[8] إلَى عَرْبَةٍ[9] ... وَكانُوا بدَارٍ ذَوي زُخْرُفِ
إلى أذْرِعاتٍ[10] رَذَايَاهُمُ ... عَلى كُلِّ ذِي دَبَرٍ[11] أعْجَفِ[12]

قال كرّم الله وجهه:

(الطّويل)

أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ أبْلَى رَسُولَهُ ... بَلاَءَ عَزِيزٍ ذِي اقْتِدَارٍ وَذِي فضْلِ
بما أنْزَلَ الكُفَّارَ دَارَ مَذَلَّةٍ ... فَذَاقُوا هَوَاناً مِنْ إسَارٍ[13] وَمِنْ قَتْلِ
وَأمْسَى رَسُولُ اللهِ قَدْ عَزَّ نَصْرُهُ ... وَكانَ رَسُولُ اللهِ أَرْسِلَ بالْعَدْلِ
فجاءَ بفُرْقانٍ مِنَ اللهِ مُنْزَلٍ ... مُبَيَّنَةٍ آياتُهُ لِذَوي العَقْلِ
فآمَنَ أقْوَامٌ بذَاكَ وَأيْقَنُوا ... وَأمْسَوا بحَمْدِ اللهِ مُجْتَمِعي الشَّمْلِ
وَأنْكَرَ أَقْوَامٌ فَزَاغَت[14] قُلُوبُهُمْ ... فَزَادَهُمُ ذُو العَرْشِ خَبْلاً[15] عَلى خَبْلِ
وَأمْكَنَ مِنْهُمْ[16] يَوْمَ بَدْرٍ رَسُولَهُ ... وَقَوماً غِضَاباً[17] فعْلُهُمْ أحْسَنُ الفعْلِ
بأَيْدِيهِمُ بِيضٌ خِفَافٌ[18] عَصَوْابِهَا[19] ... وَقَدْ حَادَثُوها[1] بالجِلاَءِ[2] وَبالصَّقْلِ

---

[1] غداة تراءى: غداة تصدّى، وتعرّض لأن نراه.

[2] الأَخْنَف: الذي يقلب خفّ يده في السَّير إلى جانبه الأيمن.

[3] مُعولات: رافعات الصّوت بالبكاء.

[4] متى يُنعَ كعب: متى يخبرها النّاعون بموته، تَسِلْ دموعها.

[5] ذَرْنا: دعنا، اتركنا.

[6] فأجلاهم: فأخرجهم من ديارهم، وأبعدهم عنها.

[7] رَغَم الآنفِ: على الرّغم من أنوفكم.

[8] أجلى النَّضير: أبعد بني النَّضير ونفاهم.

[9] عَرْبة: ناحية بقرب المدينة المنوّرة.

[10] أذرعات: موضع جنوبي سوريا، ولعلّه مدينة درعا، أو إحدى قراها؛ أوأذرعات: اسم قرية من قُرى اليمن.

[11] ذي دَبَرٍ: (الدَّبر) القرحة تصيب البعير.

[12] أعجف: مهزول، ضعيف.

[13] إسار: أسر

[14] فزاغت: مالت قلوبهم إلى الباطل.

[15] خَبْلاً على خَبْل: فساداً على فساد.

[16] أمكن منهم: أي مكّن الله رسول –صلى الله عليه وآله وسلم– منهم يوم بدر.

[17] قوماً غِضاباً: المؤمنين الصّادقين من أهل بدر الذين يغضبون لدين الله جلّ وعزّ.

[18] بيض خفاف: سيوف خفاف.

[19] عصوا بها: ضربوا بها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

فَكَمْ تركُوا مِنْ نَاشِيءٍ ذِي حَمِيَّةٍ[3] ... صَرِيعاً وَمِنْ ذِي نَجْدَةٍ مِنْهُمُ كَهْلِ[4]
تَبِيتُ عُيُونُ النَّائِحَاتِ عليْهِمِ ... تَجُودُ بِإِسْبَالِ الرَّشَاشِ وَبالوَبْلِ[5]
نَوَائِحُ تَنعَى عُتبَةَ الغَيِّ[6] وَابْنَهُ ... وَشَيْبَةَ تَنْعَاهُ وَتَنْعَى أبَا جَهْلِ[7]
وَذَا الرِّجْلِ تَنْعَى وَابْنَ جُدْعَانَ مِنْهُمُ ... مُسَلَّبَةٌ[8] حَرَّى[9] مُبِيَّنَةُ الثُّكْلِ[10]
ثَوَى مِنْهُمْ في بِئْرِ بَدْرٍ عِصَابَةٌ ... ذَوُو نَجَدَاتٍ في الحُرُوبِ وَفِي المَحْلِ[11]
دَعَا الغَيُّ[12] مِنْهُمْ مَنْ دَعَا فأَجَابهُ ... وَلِلْغَيِّ أسْبابٌ مُرَمَّثَةُ الوَصَلِ[13]
فأَضْحَوْا[14] لَدَى دَارِ الجَحِيمِ بِمَعْزِلٍ ... عَنِ الشَّعْبِ[15] وَالعُدْوَانِ في أشْغَلِ الشُّغْلِ

وقال –كرّم الله وجهه– يَرْثي النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم:

(الطّويل)

أَلاَ طَرَقَ النَّاعِي[16] بِلَيْلٍ فَرَاعَنِي[17] ... وَأَرَّقَنِي[18] لَمَّا اسْتَهَلَّ مُنَادِيَا
فَقُلْتُ لهُ لَمَّا رَأَيْتُ الَّذِي أَتَى ... أَغَيْرَ رَسُولِ اللهِ إِنْ كُنْتَ نَاعِيَا
فَحَقَّقَ مَا أَشْفَقْتُ مِنْهُ[19] وَلَمْ يُبَلْ[20] ... وَكَانَ خَلِيلِي غُرَّتِي وَجَمَالِيَا
فَوَاللهِ لاَ أَنْسَاكَ أَحْمَدُ ما مَشَتْ ... بِيَ العِيسُ[21] في أَرْضٍ وَجَاوَزْتُ وَادِيَا

---

[1] حادثوها: تعهّدوها.
[2] بالجِلاء: بالصّقل.
[3] من ناشئ ذي حميّة: شاب ذي أنفة.
[4] كهل: (الكهل) من جاوز الثّلاثين، وقيل: ومن جاوز الأربعين.
[5] تجود بإسبال الرَّشاش وبالوبل: تفيض بإرسال الدّموع؛ والرّشاش: الدّموع القليلة –هنا– والوبل: الدّموع الكثيرة.
[6] الغَيّ: الضّلال.
[7] تنعى أبو جهل: تخبر بمصرعه وموته؛ وهو فرعون هذه الأمّة؛ قتل سنة 2 هجرية في غزوة بدر.
كان أحد سادات قريش، وأشدّ الناس عداوة للنّبيّ –عليه الصّلاة والسّلام– فدعاه المسلمون أبا جهل.
[8] مُسَلَّبة: مات ولدها.
[9] حرَّى: عَطْشى –كناية عن كثرة البكاء.
[10] مبيَّنة الثُّكل: ظاهرة الثُّكل؛ والثُّكل: فقدان المرأة ولدها.
[11] في المحل: في الجدب والقحط.
[12] الغيُّ: الضّلال.
[13] أسباب مرمَّثه الوصل: حبال متقطّعة، لا يمكن وصل بعضها بالبعض.
[14] فأضحوا: فأصبحوا من أصحاب النار.
[15] الشَّعْب: هيجان الشّرّ وتهييجه.
[16] النَّاعي: ناقل نبأ الوفاة.
[17] فراعني: أفزعني.
[18] أرَّقني: أقلقني.
[19] ما أشفقتُ: ما خف وحذرت منه.
[20] لم يُبَلْ: لم يُبالِ، و لم يكترث.
[21] بِيَ العِيسُ:

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وكُنْتُ متَى أهْبِطْ مِنَ الأَرْضِ تَلْعَةً[1] ... أجِدْ أثَراً مِنْهُ جَدِيداً وَعافِيَا[2]
جَوَادٌ تَشَظَّى الخَيْلُ عَنْهُ[3] كأَنَّمَا ... يَرَيْنَ بِهِ لَيْثاً عَلَيْهِنَّ ضارِبَا[4]
مِنَ الأُسْدِ قَدْ أحْمى العَرِينَ[5] مَهَابَةً ... تَعَادَى سِبَاعُ الأُسْدِ[6] مِنْهُ تَعادِيَا
شَدِيدٌ جَرِيءُ النَّفْسِ نَهْدٌ[7] مُصَدَّرٌ ... هُوَ المَوْتُ مَغْدُوّاً عَلَيْهِ وَغَادِيَا
لِتَبْكِ رَسُولَ اللهِ خَيْلٌ مُغِيرَةٌ[8] ... تُثِيرُ غُياراً[9] كالضَّبَابَةِ كابِيَا[10]
لِتَبْكِ رَسُولَ اللهِ صَفٌّ مُقَدَّمٌ ... إذَا كانَ ضَرْبُ الهَامِ[11] نَقْفاً[12] تَفانِيا[13]

وقال –كرّم الله وجهه– في قومٍ مِنَ الزّنادِقَةِ، قَتَلَهُمْ وَأحْرَقَهُمْ:

(الكامل)

لَمَّا رَأيْتُ الأَمْرَ مُنْكَرَا ... أجَّجْتُ نارِي[14] وَدَعَوْتُ قَنْبَرا[15]

وقال كرّم الله وجهه:

(الطّويل)

لِمَنْ رَايَةٌ سَوْدَاءُ يَخْفِقُ ظِلُّها[16] ... إذَا قِيلَ قَدِّمْهَا حُضَيْنُ تَقَدَّمَا
فَيُورِدُها في الصَّفِّ حتَّى يَرُدَّها ... حِيَاضُ المَنَايَا تَقْطُرُ المَوْتَ وَالدَّما
جَزَى اللهُ قَوْماً قاتَلُوا في لِقَائِهِمْ ... لَدَى المَوْتِ يَوْماً ما أعَزَّوَ أكْرَمَا[17]
وَأطْيَبَ أخْبَاراً وأكْرَمَ شِيمَةً[18] ... إذَا كانَ أصْوَاتُ الرِّجَالِ تَغَمْغُمَا[19]
رَبِيعَةَ أعْنِي إنَّهُمْ أهْلُ نَجْدَةٍ ... وَبَأْسٍ إذَا لاقَوْا خَمِيساً عَرَمْرَمَا[1]

---

[1] تلْعَةَ: ما ارتفع من الأرض، وما انخفض منها، فهي من الأضداد.
[2] عافِياً: قديماً دراساً.
[3] تشظّى الخيل عنه: الأصل (تتشظّى) حُذِفت إحدى التّاءين تخفيفاً؛ والمعنى: تتطاير عنه وَتَتَفَرَّقُ.
[4] ضارياً: من (الضّراوة) وهي التّعوّد على الشَّيء.
[5] أحمى العرين: جعل غابة محميّاً.
[6] تعادى سِباعُ الأُسْدِ منه تعادياً: الأصل (تتعادى) أي: تتعادى عنه، وتهرب منه.
[7] نهد مصدّر: كريم قويّ الصَّدر.
[8] خيل مُغيرة: خيل لها غارة على العدوّ.
[9] تثير غُباراً: تهيج عباراً، وتبعثه.
[10] كابياً: عالياً، مرتفعاً.
[11] ضرب الهام: ضرب الرُّؤوس؛ والهام: جمع (هامة).
[12] نقفاً: (النَّقف) كسر الرّأس عن الدِّماغ.
[13] تفانيا: إفناء القوم بعضهم بعضاً.
[14] أجّجت ناري: أشعلت ناري وقوّيتها.
[15] قنبراً: مولى عليّ كرّم الله وجهه.
[16] يخفق ظِلّها: يضطرب ظلّها.
[17] ما أعزّ وأكرمَا: ما أعزّهم وأكرمهم؟
[18] أكرم شيمة: أكرم طِباعاً وأخلاقاً.
[19] تغمغما: (التّغمغم) الكلام الذي لا يبين، ولا يفهم؛ وهو كلام الأبطال في القتال.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

حُضَيْنُ (مُعْجَمةُ الضَّادِ) وَهُوَ حُضَيْنُ بْنُ المُنذِرِ، أَبُو سَاسَانَ، وَكانَ مَعهُ رَايَةُ قَوْمِهِ يَوْمَ صِفِّينَ، وَعاشَ بَعْدَ ذَلكَ دَهْراً طَوِيلاً.

وقال كرّم الله وجهه:

(الطّويل)

أرَى عِلَلَ[2] الدُّنْيا عَلَيَّ كَثيرَةً ... وَصاحِبُها حتَّى المَمَاتِ عَلِيلُ[3]
لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ[4] فُرْقَةٌ ... وكُلُّ الَّذِي دُونَ المَماتِ قَلِيلُ[5]
وَإِنَّ افْتِقَادِي[6] وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ ... دَلِيلٌ علَى أنْ لاَ يَدُومَ خَلِيلُ

أخْبَرَنِي أَبُو عَبْد الله محمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ التُسْتَرِيُّ مُجيزاً، قالَ: أخْبَرَنا أحْمَدُ بْنُ محمَّدِ بْن خَلِيلٍ، قالَ: حَدَّثَنا الحُسَينُ[7] بْنُ إبْرَاهيمَ، قالَ: حَدَّثنا محمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْن رَجاءٍ، قالَ: حَدَّثنا هَارُونُ بْنُ محمَّدٍ، قالَ: حَدَّثَنا قَعْنَبُ بْنُ المُحْرِزِ، قالَ: حَدَّثَنا الأَصْمَعِيُّ، قالَ: حَدَّثَنا أَبُو عَمْرِو بْنُ العَلاَءِ المُقرِىءُ، قالَ: حَدَّثَنِي الذَّيَّالُ بْنُ حَرْمَلَةَ، قالَ: كانَ عَليُّ بْنُ أبي طالِب–كرّم الله وجهه– يَغْدو[8] وَيَرُوحُ[9] إلى قَبْرِ رَسولِ الله –صلى الله عليه وآله وسلم– بَعْدَ وَفاتِهِ، وَيَبْكِي تَفْجيعاً، ثمَّ يَقُولُ: يا رَسُولَ الله ما أحْسَنَ الصَّبْرَ إلاَّ عنْكَ! وَأقبَحَ البُكاءَ إلاّ علَيْكَ! ثمَّ يقُولُ:

مَا غاضَ دَمْعِي[10] عِنْدَ نازِلَةٍ[11] ... إلاّ جَعَلْتُكَ لِلبُكَا سبَبَا[12]
وَإِذَا ذَكَرْتُكَ مَيّتاً سَفَحَتْ[13] ... مِنّي الجُفُونُ فَفاضَ وَانْسَكَبَا

ثمَّ يُمَرِّغُ وَجْهَهُ في التُّرَابِ، وَيَبْكِي وَيَنْدُبُ، ويَذْكُرُ ما حَلَّ بِهِ –بعْدَهُ– وَيَقُولُ في ذَلكَ:

---

[1] خميساً عرمرماً: جيشاً كثيراً جرّاراً.

[2] علل الدّنيا: أمراض الدُّنيا ومصائبها.

[3] حتّى الممات عليل: وصاحب الدُّنيا يظلّ عَلِيلاً حتّى وقت مماته.

[4] خليلين: صديقين.

[5] كلُّ الذي دون الممات قليل: كلّ ما يتعري الإنسان، من المصائب والعِلل، قليل بالنّسبة إلى موته؛ لأنَّ كلَّ عِلّة يمكن أن يبرأ منها، وأمَّا الموت فهو إذا مَا نزل، فلا مفرّ منه، ولا ملجأ بقي الإنسان من حلوله.

[6] إنّ افتقادي واحداً بعد واحدٍ: إنَّ تَطَلُّبي واحداً بعد واحدٍ عِندَ غيبته –دليلٌ على عدم بَقَاءِ أيّ صديق في هذه الحياة.

[7] وفي رواية الحسن.

[8] يغدو ويروح: (الغدوّ) الذّهاب صباحاً؛ ثم استعمل في الذّهاب والإنطلاق في أيّ وقت.

[9] يروح: (يروح): يأتي بمعنى الغدوّ وبمعنى الرّجوع. قال تعالى: ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ (سبأ: 12) أي: ذهابها ورجوعها. ويتوهم بعضهم أنَّ الرّواح لا يكون إلاّ في آخر النّهار، وليس كذلك.

[10] ما غاض دمعي: لم أجد سبباً لصبّ دمعي

[11] نازلة: مصيبة.

[12]. للبكا سببا: جعلت ذكراك سببا لبكائي.

[13] سفحت: صبّت.

This file was downloaded from QuranicThought.com

www.alalbait.ps
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

(الكامل)

ماذَا عَلى مَنْ شَمَّ[1] تُرْبَةَ أحْمَدٍ ... أَلاّ يَشَمَّ مَدَى الزّمانِ غَوَالِيَا[2]

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصائِبٌ لَوْ أنّها ... صُبَّتْ عَلَى الأَيَّامِ عُدْنَ لَيالِيَا

وَأخْبَرَني أَبُو عَبْدِ الله أيْضاً، قالَ: أخبَرَنا الحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ سَعِيدٍ، قالَ: حَدَّثَنا أحْمَدُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ الجَوْهَرِيُّ، قالَ: أخبَرَنا زَكَرِيَّا بْنُ يَحْيى عَنِ الأَصْمَعِيِّ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ بِلاَلٍ عَن مُجاهِدٍ عَن الشَّعْبي، قالَ عَلِيُّ بنُ أبي طالبٍ –كرّم الله وجهه– لرَجُلٍ كَرِهَ صُحْبَةَ رَجُلٍ، وَهُوَ:

(الهزج)

فَلاَ تَصْحَبْ أخَا الجَهْلِ[3] ... وَإيَّاكَ وَإيَّاهُ

فَكَمْ مِن جاهِلٍ أرْدَى[4] ... حَلِيماً[5] حِينَ آخَاهُ

يُقاسُ المَرْءُ بالمَرْءِ ... إذا ما هُوَ مَا شَاهُ

وَلِلقَلْبِ عَلَى القَلْبِ ... دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

فَلِلْشَيْءِ مِنَ الشَّيْءِ ... مَقايِيسٌ وَأشْبَاهُ[6]

وَفي العَيْنِ غِنَىً لِلعَيْـــ...ـــنِ إنْ تَنْطِقْهُ أفْوَاهُ

وَأخْبَرَني أيْضاً مُجيزاً، قالَ: أخبَرَنا أَبُو الفَضْلِ، يَحْيى بْنُ إبْرَاهِيمَ بْنِ زِيَادٍ القَرْقُوبِيُّ، قالَ: أخبَرنا أحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ الجَارُودِ الرَّقِيّ، قالَ: أخْبَرَنا سُلَيْمانُ بْنُ سَيْفٍ، قالَ: أخْبرنا الأَصْمَعِيُّ عَنِ العَلاَءِ بْنِ جَرِيْرٍ عَن أبيهِ عَن الأَحْنَف بْنِ قَيْسٍ، قالَ: دَخلْتُ عَلَى أمير المُؤْمِنِينَ عَلِيّ بْنِ أبي طالِبٍ –كرّم الله وجهه– وَهُوَ يُصلّي الضُّحى، فقُلْتُ لَهُ: يا أمِيرَ المؤْمِنِينَ، إلى متى هذا[7]

الدُّؤُبُ؛ باللَّيلِ، وَدُؤُبٌ بالنَّهارِ؟! فأَشَارَ إلَيَّ: اجْلِسْ. فلَمَّا سَلَّمَ، قالَ اسمع، وَافْهَمْ، فأَنْشَدَهُ:

(البسيط)

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الإدْلاَجِ[8] بالسَّحَرِ ... وَفي الرَّوَاحِ[9] إلى الحَاجَاتِ وَالبُكَرِ[10]

لاَ تَيْأَسَنَّ وَلاَ تَحْزُنْكَ مَطْلَبَةٌ ... فالنُّجْحُ[11] يَتْلَفُ بَيْنَ العَجْزِ وَالضَّجَرِ

إنّي رَأيْتُ وَفي الأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ ... للصَّبْرِ عاقِبَةً مَحْمُودَةَ الأَثَرِ

---

[1] ماذا على من شمّ: لا شيء على من تَنَشَّق تربة النَّبيّ أحمد –صلى الله عليه وآله وسلم– فاكتفى بطيبها عن اشتمامه كلّ رائحة زكيّة من روائح الدّنيا.

[2] غواليا: (الغّوالي) جمع (غالية) وهي طيب معروف.

[3] لا تصحب أخا الجهل: لا تتخذه خليلاً.

[4] أردي: أهلك.

[5] حليماً: عاقلاً متأنّياً.

[6] أشباه: نظائر وأمثال.

[7] إلى متى هذا؟: إلى متى هذا الجدّ والاجتهاد والهمّة العالية؟!

[8] مضض الإدلاج: ألم الإدلاج؛ والإدلاج –في الأصل– يستعمل للسَّير من أوّل اللّيل؛ وهنا استعمل للسّير في السفر.

[9] الرَّواح: الانطلاق والسّير والذّهاب في أي وقت.

[10] البُكَر: جمع (بُكْرة) وهي الغدوة.

[11] النُّجْحُ: الفوز.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ في أمْرٍ يُطَالِبُهُ ... وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إلاَّ فازَ بالظَّفَرِ[1]

وَأخْبَرَني –أيضاً– قالَ: وَأنْشَدَنا لأَمِيرِ المُؤْمِنينَ، عَلِيِّ بْنِ أبِي طالِبٍ –كرّم الله وجهه–

(المتقارب)

أصَمُّ عَنِ الكَلِمِ المُحْفِظَاتِ[2] ... وَاحْلُمُ وَالحِلْمُ بِي أشْبَهُ[3]

وَإنّي لأَتْرُكُ حُلْوَ الكَلاَمِ ... لِئَلَّا أُجابَ بِما أَكْرَهُ

إذَا اجْتَرَرْتُ[4] سَفَاهَ السَّفِيهِ[5] ... عَلَيَّ فإنّي أنَا الأَسْفَهُ

فَلاَ تَغْتَرِرْ بِرُوَاءِ الرِّجالِ[6] ... وَإنْ زَخْرَفُوالَكَ أوْ مَوَّهُوا[7]

فَكَمْ مِنْ فَتىً يُعْجِبُ النَّاظِرِينَ ... لَهُ أَلْسُنٌ[8] وَلَهُ أوْجُهُ[9]

تَرَاهُ يَنامُ عَنِ المَكْرُمَاتِ[10] ... وَعِنْدَ الدِّناءَةِ يَسْتَنْبِهُ[11]

أخْبَرَنا الحَسَنُ بْنُ محمَّدِ بْنُ عيسى، القَمَّاحُ؛ قالَ: أخبَرَنا الحَسَنُ بْنُ إسْمَاعِيلَ الضَّرَّابُ؛ قالَ: حَدَّثَنا عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ؛ قالَ: حَدَّثَني أحْمَدُ بْنُ محمَّدٍ الأَنْبارِيُّ؛ قالَ: حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ؛ قالَ: حَدَّثَنا عَبْدُ الله بْنُ محمَّدٍ البَلَوِيُّ؛ قالَ: حَدَّثَنا عُمَارَةُ بْنُ زَيْدٍ؛ قالَ: حَدَّثَني مَالِكٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ جابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، قالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا –كرّم الله وجهه– يُنْشِدُ وَرَسولُ الله –صلى الله عليه وآله وسلم– يَسْمَعُ:

(البسيط)

أنا أخُو المُصْطَفى لاَشَكَّ في نَسَبي ... مَعْهُ رَبِيتُ وَسِبْطَاهُ[12] هُما وَلَدِي

جَدِّي وَجَدُّ رَسُولِ الله مُنْفَرِدٌ ... وَفاطِمٌ زَوْجَتِي[13] لاَ قَوْلَ ذِي فَنَدِ[14]

صَدَّقْتُهُ وَجَمِيعُ النَّاسِ في بُهَمٍ[15] ... مِنَ الضَّلاَلَةِ وَالإِشْرَاكِ وَالنَّكَدِ[16]

الحمدُ للَّهِ شُكْراً لاَ شَرِيكَ لَهُ ... البَرُّ بالعبْد وَالبَاقِي بِلاَ أَمَدِ[1]

---

[1] فاز بالظَّفر: حصل على مبتغاه.

[2] المُحفِظَات: المُغضِبات؛ و (الكلم المحفظات): الكلمات المغضبات القبيحات.

[3] الحِلْم بي أشبه: أتأنّى، فالأناة أخلَق بي.

[4] اجترت: جررت.

[5] سفاه السَّفيه: طيش الطّائش ضعيف العقل.

[6] لا تغترر برواء الرّجال: لا تنخدع بحسن منظرهم.

[7] موّهوا: من التّمويه؛ وهو أن يظهر الإنسان الشّيء على غير ما هو عليه.

[8] ألسن: عناية عن كثرة تقلّبه في أحكامه.

[9] أوجه: كِناية عن كثرة تلوّنه، فيأتي هؤلاء بوجه.

[10] المكرُمات: جمع (مَكْرَمة) وهي كلّ فعل حسن ممدوح.

[11] يستنبه: يتنبه ويستعد لفعل الأفعال القبيحة.

[12] فاطم: فاطمة الزهراء بنت رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم–.

[13] ذي فَنَد: صاحب الخطأ.

[14] بُهَم: جمع بُهْمَة؛ وهي الخطّة من خطط الضّلال والبهتان وغير ذلك.

[15] النَّكد: الشُّؤم والإعسار

[16] البَرّ: القابل طاعة العبد.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

فقالَ لهُ –صلى الله عليه وآله وسلم– صَدَقْتَ يَا عَلِيُّ.

[1] بلا أمد: بلا انتهاء.

This file was downloaded from QuranicThought.com

تم الدُّستور بحمد الله، وحسن عونه؛ فله الحمد دائماً على نعمه التي لا تُحصى، وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآلِهِ الطَّاهِرين وسلّم تسليماً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

This file was downloaded from QuranicThought.com